

العدد في القرآن الكريم
لطائفه ومسائله

الدكتور عبد الرحمن سعود إبداح



دروب ثقافية للنشر والتوزيع
Dorub Thakafya For Publishing & Distribution


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العدد في القرآن الكريم
لطائفه ومسائله

الدكتور/ عبد الرحمن سعود إبداح



الطبعة العربية ٢٠١٦

رقم الإيداع (٣/٧١٥/ ٢٠١٣)

التحرير : هيئة تحرير
تصميم الغلاف : نضال جمهور
الصف والإخراج: سامي أبو سعدة
المطبعة: سمير منصور للطباعة



عمان - العبدلي
هاتف: 4626626 6 962+
تلفاكس: 4614185 6 962+
ص. ب: 520646 الرمز البريدي 11152

العدد في القرآن الكريم

لطائفه ومسائله

الدكتور

عبد الرحمن سعود إبداح



دروب للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين

هذا الكتاب

هو البحث المتمم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القران من جامعة ام درمان الاسلامية في جمهورية السودان الشقيق

وقد تمت مناقشة هذا البحث واجازته بتاريخ ٢٥/ ٧/ ١٩٩٨

وتألفت لجنة المناقشة من السادة الفضلاء

١ . الاستاذ الدكتور الطاهر احمد عبدالقادر / رئيسا ومشرفا

٢. الاستاذ الدكتور حسب الرسول عباس / مناقشا خارجيا

٣. الاستاذ الدكتور سر الختم سعيد / مناقشا داخليا

حيث اوصت اللجنة بطبع الرسالة على نفقة الجامعة

التمهيد

ويتضمن خمسة مباحث:

١. مقدمة حول موضوع البحث

٢. اهمية البحث وأهدافه

٣. مشكلة البحث.

٤. منهج البحث

٥. الدراسات السابقة.

أولاً: المقدمة

العدد ظاهرة بارزة في القرآن الكريم، تعبر عن نفسها في عشرات الآيات من الذكر الحكيم. ولا تكاد هذه الآيات تغيب عن ذاكرة القارئ، لما فيها من خصوصية تسترعي الانتباه والتوقف.

والمتأمل في هذه الآيات يجد أن العدد فيها يخرج عن معناه الضيق لينتظم في لوحة بيانية،متناسقة بديعة، واسعة المعاني، مغدقة العطاء، يكسوها النص القرآني جمالاً في اللفظة، ورقة في العبارة، ودقة في التصوير، وعمقاً في الدلالة، وغزارة في المعنى.

وفي هذا الزمن الذي قل فيه اهتمام الكثيرين باللغة وعلومها، والنحو وأصوله استعجمت الالفاظ وتجهمت[1] المعاني، وحرم هؤلاء من تذوق ما في الشواهد القرآنية في موضوع العدد وغيره من روعة في باب الفصاحة والبلاغة والبيان.

لذلك أجدني في هذه الدراسة مهتما بأمرين اساسيين:

أولهما: بيان لطائف وبدائع العدد في القرآن الكريم:من خلال الآيات القرآنية التي تستأثر بمساحة واسعة من كتاب الله العزيز.

وأقصد باللطائف الأمور التي تخفى على القارئ في بادىء الأمر، وتحتاج إلى فضل تدبر وتأمل، نظراً لدقة ملحظها. ويقتضي ذلك التركيز على المعاني التركيبية المستفادة من النص بصيغته الواردة في كتاب الله تعالى، وخصائص هذه الصيغة وميزتها، وبيان الروح التي تسّري في النص القرآني رغم ما يثيره ذكر العدد من فعاليات

(١) الجهام هو السحاب الذي لا ما فيه، ورجل جهم الوجه: أي كالح الوجه، وتجهمت المعاني: أي فُقدت وضاعت بسبب سوء الفهم، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار القلم بيروت، ص١١٥، ومقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت،(١/ ٤٩٠).

عقلية مجردة، كما في قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ البقرة(١٩٦)، وقوله ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعٗا﴾ الكهف(٢٥) وقوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فصلت(١٠) وغير ذلك من الآيات التي تشتملها هذه الدراسة.

فهل العدد هنا متروك فقط ليدل على الرقم الجامد؟ وهل ترى العبارة القرآنية تترك العدد حسيراً من غير ظلال ولا ثمار؟! يقيناً إنَّ الأمر غير ذلك وقد بينت خلال هذه الدراسة كيف استطاع النص القرآني أن يكسو العدد بفيض من المعاني والدلالات والإشارات.

وفي سبيل ذلك عرضت لبعض المقارنات التي تتصل بالعدد الواحد أو معدوده إذا ذكر بأكثر من صيغة في كتاب الله، وبينت ما فتح الله به من أسرار هذا التنوع، كالفرق مثلاً بين (الواحد) و(الأحد)، وبين (اثنين) و(مثنى)، وكالفرق بين كون المعدود جمع قلة وبين كونه جمع كثرة مع أن العدد واحد، كما في قوله تعالى" سبع سنبلات" يوسف (٤٧) وقوله" سبع سنابل" البقرة(٢٦١) ولا يخلو حديث اللطائف من تعرُّض لخصوصية بعض الأعداد الواردة في النسق القرآني على غيرها، كما في قوله تعالى" اربعة من الطير" البقرة(٢٦٠) " نجوى ثلاثة" المجادلة (٧)،" سبع سموات" الملك(٣) ويشمل حديث اللطائف بيان اسرار الفذلكة (وهي جمع العدد بعد تفرقة) في بعض الآيات القرآنية. وغير ذلك من اللطائف التي تشملها هذه الدراسة.

ثانيهما: عرض لقواعد ومسائل العدد بالقدر الذي يخدم النص القرآني ويعين على فهم شواهده وأحكامه مستخدماً الشواهد من النصوص القرآنية ما أمكن. ومبتعداً عن الأحكام التي تندر الحاجة إليها في مخاطباتنا المعاصرة.

وفي هذا الصدد نعرض لاحكام الفئة الاولى من العدد(واحد واثنين) من حديث التذكير والتأنيث والأعراب والتمييز وغيرها، وأحكام الفئة الثانية وهي من (ثلاثة إلى عشرة) من حيث ما تضاف إليه من أنواع الجموع، وأحكامها في التذكير والتأنيث

والأعراب، ونُبّينُ احكام العدد(عشرة) في حالتي الأفراد والتركيب، وأحكام العدد المركب، مبيناً ما يختص به الرقم(اثنا عشر) من أحكام ضمن هذه الفئة.وكذلك نبين أحكام العدد المعطوف وأحكام العقود والمئة والالف ومضاعفاتها، ونلم بأحكام العدد الترتيبي، (وهو ما دل على رتبة معدوده بين أقرانه)، وأحكام العدد الكنائي(وهو ما دل على عدد مبهم غير محدد)ويشمل الحديثُ عن مسائل العدد أحكام(كم)الاستفهامية والخبرية، و(كأين) وخصائص كل منهما. ونلحق بهن الحديث عن (كذا) باعتبارها اسم كناية يدل على عدد مبهم، باذلاً الجهد لربط جميع الأحكام المذكورة بشواهد قرآنية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، لكي تستقر القاعدة في ذهن القارئ، وتعتبر بمثابة دليل قطعي راسخ.

وأنما أقصد من هذا العرض أمرين أساسين:

- **أولهما:** اطلاع القارئ على مدى الخدمة التي قدمها القرآن للعربية في باب العدد.
- **ثانيهما:** الاستعانة بذلك على فهم الآيات القرآنية المتعلقة بالعدد وفقه مدلوتها.

لا سيما وأنها تشغل مساحة واسعة من كتاب الله العزيز وتشمل ميادين الفقه والتشريع والعقيدة والقصص القرآني وأنباء الغيب وغيرها.

ومما يؤسف له أن كثيراً من المؤسسات الثقافية كالصحف والاذاعات ومحطات التلفزة باتت تعزف عن اللفظ الصحيح والكتابة السليمة للاعداد وراحوا ينطقون أو يكتبون الاعداد بالأرقام الحسابية، وإذا حصل أن ذكروها بالحرف فهي في كثير من الأحيان أقرب إلى الخطأ منها إلى الصواب.

ولذا جاءت هذه الدراسة صيحة في زمن الغفلة عن أحكام العدد، ولطائف ذكره في التنزيل الحكيم، إسهاماً متواضعاً في إعادة أهل اللغة إلى الصواب في باب العدد وغيره. وإني لآمل أن تعين هذه الدراسة على تنمية اتجاه القارئ نحو الدراسة التحليلية المتأنية لكتاب الله، ليدرك بعض أسرار الجملة القرآنية والمعاني التي تفهم من تكوينها على نحو مخصوص.

ويبدو واضحاً مما تقدم أن هـذا البحث ليس معنياً ببيان الاعجـاز العددي على النحو الذي تحـدث عنه الدكتـور عبد الـرزاق نوفـل[١] في كتابـه (الاعجـاز العددي فـي القرآن الكريم). والاستاذ عمر النجدي[٢] في كتابه (معجزة القرآن الجديدة).

والدكتور محمد رشـاد خليفـة[٣] فـي كتابه(معجزة القـرآن الكريم)، وغيـر ذلك من الكتب التي تحدث مؤلفوها عن العدد مـن الناحية الاحصائية للآيات والحروف والفواتح، وعقدوا مقارنات بين عدد مكررات بعض الكلمات وغير ذلك، في حين تهتم هذه الدراسة ببيان لطائـف العدد، ودقائـق المعانـي الافرادية[٤] والتركيبيـة[٥] للنصـوص القرآنية. فهي

(١) الدكتـور عبـد الرزاق نوفل: كاتب وباحث مصري معاصر عمل وكيلًا لوزارة التجارة بجمهورية مصر العربية وحصل على درجة البكالوريوس في الزراعة سنة ١٩٣٩ ودبلوم الخدمة الاجتماعية ١٩٦٧، انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل بضع سـنوات، له كتاب الاعجاز العددي المشـار اليه اعلاه، وله مجموعة أخرى من الكتب يزيد عددها على سـتة وثلاثين كتاباً منها: أسرار وعجب، أسـئلة حرجه، السـماء واهل السماء، الله والعلـم الحديث، ويلمح من كتاباته تركيزه على الأمور الدقيقة المثيرة للعجب، كما يلمح في كتبه التواضع ولين الجانب، حيث أنه يظهر سعة الصدر للرأي الآخر.انظر مجلة منار الإسلام العدد العاشر سنة ١٩٧٦

(٢) الا ستاذ عمر النجدي: باحث اسلامي معاصر، مقيم في دولة الكويت.

(٣) محمـد رشـاد خليفـة: باحـث إسـلامي معـاصر، ولـد في كفر الزيـات سـنة ١٩٣٥، حصل عـلى درجة البكالوريـوس في الزراعـة من جامعة عين شـمس، وفي الولايـات المتحدة حصل على درجـة الدكتوراه في الكيميـاء الحيويـة، وعمل مستشـاراً لأحـدى شركات أنتاج الاغذيـة الصناعية بمدينة سـان لويس، في ولايـة ميسـوري الامريكية، كما عمـل بوظيفة خبير فني بمنظمـة التنمية الصناعيـة التابعة لهيئة الامم المتحدة، اضافة لذلك فقد عمل إماماً لمسجد مدينة توسان. وقد ذكرت بعض الاخبار أنه قتل أغتيالاً في الولايات المتحدة.

(٤) المعـاني الإفراديـة: هي المعاني المسـتفادة من الكلمة المفردة في صورتها التـي وردت بها في كتاب الله، مثل كلمة(أحدَ) وكلمة مثنى) على سبيل المثال.

(٥) المعـاني التركيبـة: هي المعاني المسـتفادة من الجملـة القرآنية كما وردت في كتاب الله، كما في قوله سـبحانه: " ويقولـون سـبعة وثامنهم كلبهم" الكهف(٢٢) وقوله تعالى : " أفرايتـم اللات والعزى ومناة الثالثة الآخرى" النجم(٢٠).

دراسة أقرب إلى علوم البلاغة والمعاني والبيان منها إلى الدراسات الاحصائية الرقمية الجامدة. بل إن هذه الدراسة لا علاقة لها البتة بالنواحي الاحصائية.

وبكل تواضع أؤكد للقارئ أن هذا البحث - في صورته التي ورد بها - غير مسبوق، وأن ما ورد من دراسات وأبحاث في موضوع العدد إنما انحاز نحو الدراسات الرقمية، والمقارنات والاستنتاجات الاحصائية، ثم الوصول منها إلى (حقائق) قد تكون مسلّمة، وقد لا تكون. فهي بالنتيجة تظل موضع جدل، وتظل نتائجها ظنية.

****

ثانياً: أهمية هذا البحث

القرآن كلام الله، وفضله على كلام البشر كفضل الله تعالى على خلقه، وهذه الدراسة اسهام متواضع في الكشف عن لطائف القرآن وبدائعه، على نحو يقوي صلة الدارسين به تلاوة وتدبراً واتباعاً، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ النساء (٨٢).

إضافة إلى هذا الهدف الجليل الذي نؤمله، فإن هناك أهدافاً فرعية أخرى أجملها في ما يلي:

١. تأكيد ارتباط العربية بالقرآن الكريم، وبيان أثر الذكر الحكيم في حفظ اللغة وبقائها، وتوحيد لهجاتها، وتهذيب الفاظها، وتعميق معانيها، وتوسيع رقعة انتشارها.

٢. مواجهة التيار المناويء للغة العربية الداعي إلى تهميش دورها في حياتنا الثقافية والعلمية.

٣. أن يكون هذا البحث محطة للتدبر والتأمل في البلاغة القرآنية، والوقوف على شيء من خفايا المعاني التركيبية للألفاظ القرآنية.

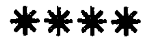
٤. الاطلاع على لطائف العدد في كتاب الله العزيز، وأن العدد في القرآن الكريم ليس رقماً جامداً في منظومة الأعداد المعروفة، لكنه رمز حي مشعٌ بمعانٍ كثيرة.

٥. تقديم بعض مسائل العدد النحوية بلبوس من شواهد الذكر الحكيم، بالقدر الذي يخدم النص القرآني ويعين على فهم شواهده وأحكامه، وتذوُّق لطائفه وبدائعه.

وليس من شك أن هذه الأهداف تكسب البحث أهمية خاصة، لا سيما وأن معركة القرآن لن تزال قائمة في مواجهة خصومة الراغبين في فك ارتباطه وصلته باللغة العربية ليُسَهِّلَ عليهم ذلك تجهيل المسلمين بعلومه وأحكامه، والاكتفاء بالولاء العاطفي له على أنه كتاب مقدس يحتفظ به ويتلى للبركة ليس أكثر.

ويسهم هذا البحث في توجيه الناطقين بالعربية إلى ضرورة مراعاة قواعد العدد، صوناً لألسنتهم من اللحن، ووفاء بحق اللغة على أهلها لا سيما وأنها تواجه الجحود والنكران من أعدائها، مثلما تواجه تقصير أصحابها وضعفهم عن السمو بها لمواكبة ما يستجد من مصطلحات ومفاهيم.

وعسى أن يسد هذا البحث شيئاً من حاجة المكتبة العربية إلى كتاب يجمع ما تشتت من هذا الموضوع في بطون الكتب وثنايا السطور، وأن يلفت نظر الباحثين والعلماء إلى أهمية الاقتراب من اللطائف القرآنية في باب العدد وغيره، حيث إن هذه الدراسة فتحت الباب- لا أكثر - أمام الباحثين والدراسين ليقدموا لنا المزيد مما يفتح الله به عليهم من أسرار هذا القرآن وأنواره.



ثالثاً: مشكلة البحث

تتلخص مشكلة هذا البحث في إظهار الخصائص الإفرادية والتركيبية(١) للعبارة القرآنية في الآيات التي يذكر بها العدد، وبيان الغرض الذي يفهم من الكلمة ومن العبارة في تركيبها على نحو مخصوص؛ إذ غالباً ما يغيب ذلك عن بال القارئ نظراً لتركيزه الاهتمام على الدلالة الرقيمة الجامدة للعدد، التي يحسب الكثيرون أنها لا تحتاج إلى تبصر وفضل تأمل، لوضوح معناها، وسهولة مأخذها، من حيث إن الفاظ العدد نصوص محددة الدلالة والمعنى. ولقد يكون هذا المذهب في فهم الدلالات الرقمية للأعداد متجهاً في كلام البشر، ولكنه في كلام المولى سبحانه غير ذلك، نظراً لما يلمسه الإنسان من اسرار في البنية اللفظية للكلمة القرآنية وفي النظم القرآني استطاعت به أن تحول الاعداد ذات الدلالات الرقمية الجامدة إلى رموز حية توحي بالكثير من المعاني والإشارات.

ونظراً لأن البحث يحتاج إلى فضل تأمل ونظر في المعاني الافرادية والتركيبية للجملة القرآنية فقد نظمته في سلك اللطائف، وبذلت جهدي في إظهار بعض ما يخفى من هذه المعاني إسهاماً في خدمة الذكر الحكيم وتحفيزاً للقارئ لتدبر أيات الله ومحاولة الوصول إلى ما فيها من لطيف المعاني ودقيق الإشارات.

ولتوضيح مشكلة هذا البحث بأمثلة مما جاء فيه أقول: جاء في القرآن قول الحق سبحانه ﴿قل هو الله أحد﴾ الاخلاص(١) كلمة (أحد) هذه ما هي ميزتها؟ وما هو سر

---

(١) الخصائص الافرادية: هي المزايا المستفادة من تركيب كلمة ما على نحو مخصوص مثل ميزة (مثنى) على (اثنين) وميزة (أحد) على (واحد).

والخصائص التركيبية: هي المزايا المستفادة من تركيب الجملة القرآنية على نحو مخصوص كما في التقديم والتأخير والحذف والتوكيد والفصل والوصل وغير ذلك.

اختيارها على كلمة (واحد)؟ . وهل بينهما من صلة في أصل الاشتقاق؟! وكلمة (أحد) هل هي داخلة في منظومة العدد المعروفة؟! وفي القرآن قوله تعالى: " لا نفرق بين أحد من رسله" البقرة(٢٨٥) كيف دخلت (بين) على (أحد) وهي كلمة مفردة، في حين تقتضي كلمة(بين)الاشتراك بين لفظتين؟!.

هنا يأتي دور الباحث في تجلية الغامض وكشف الخفي من هذه المعاني. ومعلوم أن كثيراً من كتب التفسير وعلوم القرآن لا تركز على مثل هذه القضايا، ويحتاج البحث فيها إلى مراجعة لكتب اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ النحل(٥١) ماذا أفادنا وصف المثنى بالاثنينية مع أن المثنى أفاد ذلك؟ ووصف الاسم المفرد بالوحداية ماذا أفادنا هو الآخر في نفس الآية الكريمة السابقة حيث يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ النحل(٥١)؟ مشكلة البحث هنا في الإجابة على هذين السؤالين بما يملأ القلب رضا والنفس طمأنينة إلى صحة الجواب.

وفي سورة المجادلة يقول المولى سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ المجادلة(٧) لماذا ابتدأ النص الكريم بالثلاثة، ولم انتقل إلى الخمسة دون أن يذكر الاربعة ثم لماذا توقف عند الخمسة ولم يتجاوز إلى غيره! اسئلة كثيرة يثيرها البحث في معاني هذه الآية الكريمة.

وفي قصة إبراهيم عليه السلام عندما طلب من المولى سبحانه أن يريه كيف يحي الموتى: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ البقرة(٢٦٠) لماذا خص الأربعة" ولماذا (من الطير) لا من غيره؟ لماذا (على كل جبل) وليس على كل سهل؟ أسئلة ترد في الخاطر، وتشتاق النفس وتتطلع للإجابة عليها. وهنا تكمن مشكلة البحث.

ولا أريد أن استعجل الحديث عن لطائف المعاني التي يشملها هذا البحث، وإنما تنعقد الهمة على إظهار فكرة البحث وهدفه وبيان حجم المعاناة وطول المسافة بين الإنسان وما يريده في هذا السبيل، مؤكداً أن الفرح والسرور الذي كان ولا يزال يغمر القلب بالوصول إلى شيء من هذه المعاني الخفية، سيظل ينسيني كل تعب أو جهد نالني في هذا السبيل، مستشعراً عظمة هذه العلاقة مع كتاب الله العزيز والربح العظيم من هذه التجارة المنجية.

****

رابعاً: منهج البحث

١. تقديم: دراسة تمهيدية حول أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، وبيان دوره العظيم في المحافظة عليها، ونشر قواعدها وعلومها في شتى أرجاء الأرض، وبيان أثره في توحيد لهجاتها،وتهذيب الفاظها وتعميق معاني كلماتها، وأنه جعلها لغة الدولة الإسلامية، وجعل لها قواعد وأصولاً يسهل بها تعلمها وتعليمها.

وتتضمن الدراسة بيان المخاطر والتحديات وصور الكيد التي تواجه العربية تحت أقنعة الخداع المعروفة كالتطوير ومسايرة روح العصر وما شابه ذلك، والتحذير من الدعوات المشبوهة لكتابة هذه اللغة بالحروف اللاتينية أو باللهجة العامية، والوقوف بحزم أمام ما يسمى بتطوير قواعدها في النحو والخط والإملاء.

٢. بيان ملامح ظاهرة العدد في القرآن الكريم: مع الإشارة إلى شمولية هذه الظاهرة، وتناولها جميع نواحي البحث في باب العدد، وبيان الأغراض التي استخدم العدد من أجلها في القرآن، والحديث عن اثر هذه الظاهرة في تقويم ألسنة الناطقين بالعربية وحمايتهم من اللحن. والتنويه بما في هذه الظاهرة من تناسق عددي وإبداع لفظي ينبيء عما وراءه من لطائف، ستكون موضوع حديثنا بالتفصيل.

٣. الحديث عن لطائف العدد، مبتدئاً بالآحاد، حيث أذكر الآيات التي تشملها الدراسة ثم أبينُ ما فيها من معنى دقيق أو لفتة خفية أو لطيفة غائبة، على ما ذكره المفسرون وأهل اللغة وأئمة البلاغة.ويشمل حديث اللطائف الاسرار التركيبية للعبارة القرآنية، وأحياناً الاسرار الافرادية للكلمة القرآنية وبيان ميزة صيغة على غيرها وسرَّ ا ختيارها على ما سواها. ومن شأن ذلك أن يقودنا إلى الحديث

عن العدد المعدول عن أصله، وجمع القلة والكثرة، وواو الثمانية وغيرها من متعلقات حديث اللطائف.

٤. تحدثت هذه الدراسة عن لطائف أخرى ذات صلة بالعلاقات العددية التي تنشؤها العمليات الحسابية كالجمع والطرح حيث بينت كيف استطاع النص القرآني أن يُبسط المعلومة للقارئ والسامع بأمتع أسلوب وأروع بيان.

٥. تحدثت هذه الدراسة بعد ذلك عن المحسنات اللفظية في بعض آيات العدد، وأرتنا كيف استطاعت الكلمة القرآنية أن تجعل العدد زهرة في باقة لا رقماً جامداً يحرك فعاليات عقلية مجردة.

٦. تضمنت هذه الدراسة فصلاً أخيراً حول مسائل العدد وقواعده بالقدر الذي يخدم النص القرآني، دون أن نبعد النجعة في طلب أحكام قليلة الاستعمال في مخاطباتنا المعاصرة. حيث يختم هذا الفصل بالحديث عن العدد الكنائي، أدواته (خصائصها وأحكامها وشواهدها في كتاب الله العزيز).

٧. هذا وقد كنت أخرج الآيات القرآنية، وأضع اسم السورة ورقم الآية بجانب النص القرآني للتخفيف على القارئ، وكذلك خرجت الأحاديث النبوية الشريفة، وبينت مواقعها في كتب الحديث الشريف، وترجمت للأعلام دون استثناء حتى المشاهير من أصحاب النبي المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وذلك من باب التوقف عندهم والتبرك بذكرهم، وقد رجعت في سبيل ذلك إلى مصادر عديدة ومتنوعة لتوثيق والمعلومة واثرائها،وإذا تكرر اسم العلم أشرت إلى مكان ترجمته في الرسالة. أما مصادر البحث ومراجعة فكنت أوثقها عند ذكرها لأول مرة بذكر اسم الكتاب. ثم اسم مؤلفه، ثم اسم مدققه أو مخرجه، ثم اسم المطبعة ثم اشير بعد ذلك إلى رقم الطبعة، وسنة الطبع. وإذا ذكر الكتاب مرة أخرى، فأكتفي بذكر اسم الكتاب.ورقم الجزء والصفحة، إلا إذا رجعت إلى طبعة أخرى من الكتاب فإنني عندها أعيد التوثيق كاملاً. وبالله التوفيق.

خامساً: الدراسات السابقة

تنعقد الهمة في هذه الدراسة على بيان لطائف واسرار المعاني التركيبية في الآيات القرآنية التي يذكر بها العدد، إضافة إلى عرض بعض مسائل العدد النحوية بالقدر الذي يخدم النص القرآني، ويعين على فهم شواهده وأحكامه.

وحيث أن البحث يدور حول لطائف العدد أساساً فإن الباحث يؤكد أنه لم يطلع على بحث أو دراسة أو كتاب يتناول هذا الموضوع بصورة موضوعية متكاملة، وأن كل ما وجده لا يعدو أن يكون شذرات متناثرة في بطون كتب التفسير وعلوم القرآن. وكتب الدراسات اللغوية والقرآنية.

وأكثر الذين كتبوا في موضوع العدد في القرآن الكريم تناولوا لموضوع من جهة الاعجاز. سواء في عدد حروف بعض الآيات ومكرراتها في السورة الوحدة، وعلاقة ذلك بالبسملة وعدد حروفها كما فعل الدكتور محمد رشاد خليفة[١]، أم في عدد مكررات الكلمة الواحدة ومشتقاتها، ودلالة ذلك على الإعجاز عند مقارنتها بعدد مكررات كلمة أخرى تقابلها، كما فعل الدكتور عبدالرزاق نوفل[٢]، - رحمه الله- .

وتوضيحاً لصورة هذه الدراسات والابحاث، فإني أضع بين يدي القارئ ايجازاً لأهم ما تناولته من الموضوعات التي تشكل محور اهتماماتها وبيت قصيدها، وذلك على النحو التالي:

اولاً: الاعجاز العددي في القرآن الكريم:

مؤلف هذا الكتاب هو الدكتور عبد الرزاق نوفل- رحمه الله - ويقع في ثلاثة أجزاء يبلغ عدد صفحاتها مجتمعة نيّفاً وخمسمائة صفحة من القطع المتوسط. يشير المؤلف فيه إلى التوازن والتساوي والتناسق العددي، باعتبار ذلك وجهاً جديداً من وجوه الاعجاز

(١) انظر الترجمة ص٦ من هذه الرسالة.

(٢) انظر الترجمة ص٥ من هذه الرسالة.

العديدة التي يكشف عنها التدبر والتأمل، فيقول مثلاً: لقد تكررت كلمة (الدنيا) في القرآن الكريم خمس عشرة و مئه مرة وتكررت كلمة (الآخرة) خمس عشر ومئة مرة، ومثل هذا التساوي يلاحظ في كلمات: (الملائكة والشياطين)،(السيئات والحسنات)، وتساوي ذكر(الصيف والحر) من جهة مع ذكر(الشتاء والبرد) من جهة أخرىٰ.

وتساوي ذكر عدد المرات التي ذكر فيها كل من (ابليس والامر بالاستعاذة منه)، و(المصيبة والشكر)و(الكافرون والنار)، و(الحرب والاسرىٰ) و(الشدة والصبر) و(الرغبةوالرهبة) وغير ذلك.

ويستنتج المؤلف في ختام الاجزاء الثلاثة أن التوازن الرقمي والتناسب الحسابي في موضوعات القرآن الكريم، لا تستطيع القدرة البشرية ان تحيط به ذكراً، ولا أن تستوعبه توضيحاً وبياناً.

ويصل إلىٰ قناعة مُفادها أن هذا التناسق والتوازن لم يأتِ بالصدفة، وأن هذه الارقام العجيبة والتوافقات الغربية أبلغ دليل علىٰ أن كل ما في القرآن إنما يحكمه ميزان في غاية الدقة.

والمؤلف في بحثه لا يغلق الباب، ولا يجزم بشيء، إلا أنه يشير إلىٰ أن كل باحث ودارس لكتاب الله سيجد في موضوعاته وكلماته وحروفه من أوجه الإعجاز العددي ما يصلح أن يكون آية حديثة علىٰ الإعجاز القرآني، ودليلاً جديداً علىٰ نبوة سيدنا محمد – صلىٰ الله عليه وسلم-.

والدكتور عبد الرزاق نوفل[١] – رحمه الله – لم يقدم تفسيرات لهذا الذي توصل إليه في باب التناسق والتساوي والتوازن العددي في كتاب الله، ولكنه ترك الباب مفتوحاً لأهل هذه الصنعة ليقولوا قولهم ويبُدوا رأيهم.

ثانياً: تأويلات فاسدة في كتاب الاعجاز العددي في القرآن الكريم:

هذا عنوان مقال للشيخ عبد الجليل[٢] عيسىٰ نشرته مجلة المجتمع الكويتية في

(١) الدكتور عبد الرزاق نوفل، سبقت ترجمة ص٥.

(٢) عبد الجليل عيسىٰ ابو النصر: لم اعثر له علىٰ ترجمة، لكنه باحث اسلامي معاصر، تنشر له مجلة المجتمع الكويتية.

عددها رقم سبعة وخمسين ومئة الصادر في شهر يوليو سنة سبعين وتسعمائة والف، ناقش فيه باختصار كتاب الدكتور عبد الرزاق نوفل السابق ذكره، ووصف ما ورد فيه بأنه (قلب للحقائق من أجل أن تتطابق مع أوهام المؤلف، ولكي تلتقي مع تصوراته).

ومما ذكره الشيخ عيسى(أن المؤلف أجرى بحثه على الكلمة المفردة يقتطعها من آيات القرآن، علماً بأن الكلمة بحد ذاتها لا تعتبر قرآناً) وقال: " إن المؤلف إذ يقابل بين الاسم ونقيضه لا يلتفت إلى المعنى، حيث أدخل مثلاً كلمة (الشياطين) الواردة في قوله تعالى: " وإذا خلوا إلى شياطينهم" البقرة(١٤) أدخلها في جملة عدد الشياطين".

ثالثاً: كتاب (الرياضيات في القرآن الكريم):

تأليف الدكتور خليفة عبد السميع(١)، وهذا الكتاب يبين فيه مؤلفه أن جميع الأرقام التي يُعتمد عليها في علم الحساب ورد ذكرها في كتاب الله تعالى، ويشير إلى فائدة ذلك في معرفة الأسلوب القرآني اللغوي السليم في كتابة الأعداد وقراءتها، ويبين وجود بعض العمليات الحسابية والمتواليات العددية، والوسط العددي في آيات القرآن الكريم، وفي هذا الكتاب نوع إثارة وطرافة تستحق الانتباه والتوقف.

رابعاً: كتاب(دراسات نحوية في القرآن الكريم- العدد والمجرورات)

وهذا الكتاب من تأليف الدكتور أحمد ماهر البقري(٢)، تحدث فيه عن العدد مستهلًا حديثه عن أهمية العدد في النحو العربي، وبين نوعي العدد: الصريح والكنائي، وذكر بعض

---

(١) خليفةعبد السميع: هو الدكتور خليفة عبد السميع خليفةاستاذمعاصر عمل في جامعة القاهرة مدرساً في كلية التربية،وله كتاب آخر اسمه(بحوث في تدريس الرياضيات).

(٢) الدكتور أحمد ماهر البقري: ولد في الاسكندرية سنة ١٩٣٨ وحصل من جامعتها على الاجازة في اللغة العربية، وحصل من نفس الجامعة على درجة الماجستير، وكانت رسالته بعنوان (أساليب النفي في القرآن الكريم، وحصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف سنة ١٩٧٨) وكانت رسالته بعنون(ابن القيم اللغوي) عمل مدرساً في كلية الآداب في جامعة المنيا.

حكام العدد في التأنيث والتذكير وتعريف العدد، ثم تحدث عن الكسور حيث أشار إلى أنها تحظى في كتاب الله بنصيب، وإن لم تحظ بعناية النحو القديم، وتطرق إلى موضوع التأريخ بالليالي عند العرب. وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن العدد الكنائي، وقد استغرق الحديث عن العدد من هذا الكتاب ثمانياً وعشرين صفحة لا غير انتقل بعدها للحديث عن المجرورات في القرآن الكريم.

خامساً: دراسات قرآنية في اللغة والنحو

وهذا الكتاب للدكتور أحمد ماهر البقري[1] نفسه يتألف هذا الكتاب من ثلاث وتسعين صفحة، يختص منها بموضوع العدد اثنتان وثلاثون صفحة. والكلام فيه عن العدد يكاد يكون نفس الكلام في كتابه السابق.

وإني لم أستطع أن أعرف أو التمس سبباً واحداً لتأليف هذا الكتاب وتغيير اسمه، مع أن المادة واحدة تقريباً.

سادساً: لمحات عن دراسة العدد في القرآن الكريم

وهذا عنوان لمقالة منشورة في مجلة كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- العدد الثاني عشر سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وألف- للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة[2]. ويبلغ عدد صفحات هذه المقالة اثنتين وأربعين صفحة. وقد رأيت أن صاحب هذه المقالة بذل جهداً كبيراً يستحق الشكر والتقدير، ورجع في بحثه إلى أمهات كتب اللغة والقراءات. ويعد هذا البحث دراسة نحوية للعدد بشواهد من القرآن الكريم.

---

(١) سبقت ترجمته في ص١٨.

(٢) محمد عبد الخالق عضيمة: باحث معاصر، درس في جامعة الأزهر وعمل استناداً بكلية اللغة العربية في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، له كتاب (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) في اربعة مجلدات، وهو كتاب ينم عن سعة علم صاحبه واصالته في البحث والتدريس.

سابعاً: معجزة القرآن الجديدة(بنية الآيات والسور)

وهذا الكتاب من تأليف الاستاذ عمر النجدي[(١)]، يقع في ثلاث وعشرين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط. تحدث فيه المؤلف عن أسرار الحروف المقطعة في أوائل السور، ودلائل الأعجاز العددي، وعن الأعجاز في العدد(سبعة) وغير ذلك من الابحاث والاستنتاجات المثيرة والجديدة حقاً.

وهذا الكتاب يبين عن جهد كبير بذله صاحبه في هذا الموضوع.

ثامناً: تسعة عشر – دلالات جديدة في اعجاز القرآن

وهذا عنوان لمحاضرة القاها في الكويت الدكتور محمد رشاد خليفة، وقد طبعت ووزعت على مدى واسع، ويبلغ عدد صفحاتها نحو ثلاثين صفحة، يعرض فيها صاحبها ما توصل إليه من معجزات مادية في القرآن الكريم(كما سماها هو)، والتي تبدأ بالآية الكريمة الأولى: (بسم الله الرحمن الرحيم) الفاتحة(١) ويقول : إن عدد حروفها تسعة عشر.

ويقول: إنه اكتشف أن كل كلمة في هذه الآية تتكرر في القرآن كله عدداً من المرات هو دائماً من مكررات العدد (تسعة عشر). ويحيل في إحصاءاته هذه إلى المعجم المفهرس في القرآن الكريم. حيث يخلص إلى القول: " إن هذه (الحقائق) تثبت أن القرآن الكريم رسالة الله تعالى إلى الناس كافة".

تاسعاً: كتاب معجزة القرآن الكريم:

للدكتور محمد رشاد خليفة، وهو كتاب مؤلف من ست وعشرين ومئتي صفحة، وهو تطوير لموضوع المحاضرة سالفة الذكر. عرض فيه المؤلف(الحقائق) التي توصل إليها من خلال العدد(تسعة عشر) ضمن جداول وحسابات، وخلص إلى استنتاجات منها معرفة تاريخ نهاية العالم!!؟ وعمر الرسالة المحمدية!!.

---

(١) عمر النجدي:باحث إسلامي معاصر، مقيم في دولة الكويت.

عاشراً: تسعة عشر ملكاً:

مؤلف هذا الكتاب هو السيد حسين ناجي محمد محيي الدين[١]، يقع في ست وسبعين ومئة صفحة ويردُّ فيه مؤلفه على محاضرة الدكتور محمد رشاد خليفة، التي طورها وزاد عليها حتى الف فيها كتاباً نيّف على مئتي صفحة. وقد عرضنا له قبل قليل.

والمؤلف هنا يحمل حملة شعواء على الدكتور محمد رشاد ويصفه بأن يلبّس على القاريء، ويشعره أن جهنم(أكذوبة)!! لا وجود لها. ويصف النشرة بأنها من عمل تنظيم سري مناويء للإسلام، تحارب الدين عن طريق التظاهر بتصديقه وتكيل له الطعنات من تحت ستار.

ويقول: " إن هذا التنظيم يتخذ أسلوب العصر في مخاطبة الناس بزخرف القول، ويدلل على ما يذهب إليه بأن الله سبحانه أخبر في سورة المدثر أن هذا العدد جعله الله تعالى فتنة للذين كفروا والذين في قلوبهم مرض".

ويرى المؤلف في كتابه أن النشرة دعاية ضد وجود النار في الآخرة، ويؤكد أن الرقم(تسعة عشر) شعار البهائية، وسر من أسرارها. ويقرر أن ما يجوز على الرقم(تسعة عشر) يجوز على أي رقم آخر. وأنه لا علاقة بين البسملة وبين نار جهنم. ويؤكد ان جهنم حق وأن عليها تسعة عشر ملكاً لا حرفاً.

حادي عشر: فتنة القرن العشرين

هذا كتاب آخر للمؤلف حسين ناجي محمد محي الدين، يبلغ عدد صفحاته ثمانياً وخمسين ومئتي صفحة، كتبه في الرد على الدكتور محمد رشاد خليفة بخصوص موضوع الـ(تسعة عشر) يواصل فيه حملته الهادرة على خليفة، ويصفه بصفات كثيرة تخرجه من

(١) حسين ناجي محمد محي الدين: باحث معاصر ، يعمل في مهنة المحاماة، عمل مستشاراً لمجلس الوزراء الكويتي لشؤون الفتوى له مؤلفات وابحاث منها: فتنة القرن العشرين، البهائية عميلة الاستعمار والصهيونية. على ميزان القرآن، وغيرها.

الملّة، ويردّ في هذا الكتاب على فُصول كتاب الدكتور خليفة المسمى (معجزة القرآن الكريم) فصلاً فصلاً، حيث بيّن (التضارب في النتائج التي توصل إليها الكمبيوتر) وأظهر (التلاعب في أعداد بعض الحروف، وذكر صوراً من التلفيق والتحايل).

ووصل في كتابه إلى نتيجة مفادها أن دراسة الدكتور خليفة ليست أكثر من بالون هواء ثقب فأصبح فارغاً خواء.

بعد هذا العرض السريع لما استطاع الباحث أن يصل إليه من الدراسات والبحوث والكتب التي ألفت في موضوع العدد في القرآن الكريم نلاحظ أن معظمها بعيداً جد عما نحن بصدده في هذه الدراسة التي تعنى بشكل أساسي بخفايا المعاني التركيبية للآيات القرآنية التي يذكر فيها العدد. في حين تتركز الدراسات والبحوث المذكورة على استنتاجات ومقارنات رقمية، وتحليلات واحصاءات بعيدة عن نظم النص القرآني الذي هو موضوع هذه الدراسة.

هذا وكنت قد أرسلت إلى مجمع الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية في الرياض مستفسراً عما كتب في هذا الموضوع، فأرسلوا إلي (شكر الله تعالى لهم) جميع العناوين المتوفرة لديهم، ثم تفضلوا بإرسال صور للدراسات والبحوث التي طلبتها مما يتعلق بالعدد في القرآن الكريم، وعند دراسة هذه البحوث ومراجعة تلك الكتب وجدت أن المسافة بين ما يرمي إليه هذا البحث وبين ما في هذه الدراساتت والكتب والبحوث كبيرة جداً؛ فازداد عزمي على المضيّ في هذه الدراسة، التي أسأل الله تعالى أن لا يحرمني أجرها وبرّها.

****



الفصل الأول

أثر القرآن الكريم في اللغة العربية

يتضمن هذا الفصل سبعة مباحث

- المبحث الأول: أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية
- المبحث الثاني: أثر القرآن الكريم في توحيد لهجات العربية.
- المبحث الثالث: أثر القرآن الكريم في جعل العربية لغة الدولة الإسلامية.
- المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم في جعل العربية لغة تعليمية.
- المبحث الخامس: أثر القرآن الكريم في تهذيب الفاظ العربية.
- المبحث السادس: أثر القرآن الكريم على أساليب العربية وأغراضها ومعانيها.
- المبحث السابع: العربية في موجهة التحديات

المبحث الأول

أثر القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية

من فضل الله تعالى على العرب أن القرآن الكريم نزل بالعربية ليكون خطاب المولى سبحانه إلى كافة الخلق، فارتفع شأنها بهذا التكريم الرباني، ولولا ذلك لبادت واندثرت منذ زمن بعيد، ولتحولت إلى لهجات متباينة مختلفة، لا يكاد الناطقون بأحدها يفهمون الأخرى.

وهذا عين ما حدث للغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية للامبرطورية الرومانية المترامية الأطراف لعدة قرون، لكنها ماتت بعد ذلك، وتحولت إلى لهجات. ومع مرور الزمن أصبحت هذه اللهجات لغات مستقلة هي الاسبانية والبرتغالية والايطالية والفرنسية والرومانية،ومثلها في ذلك السنسكريتية التي كانت لغة الهند لعدة قرون في الماضي السحيق، ثم انقرضت وتحولت إلى لغات مستقلة كالهندية والبنجابية، والبنغالية، والسندية وغيرها[١].

وهناك لغات لم تنقرض ولم تتحول إلى لهجات، ولكنها تغيرت تغيراً كاملاً، واختلفت عما كانت عليه قبل قرون، ومثال ذلك اللغتان اليونانية والانجليزية؛ فاليونان في عصرنا هذا يتكلمون ما يسمى باليونانية الحديثة، ولا يكادون يفهمون لغة سقراط وارسطو وأفلاطون، أما الانجليزية فقد مرت بثلاث مراحل : القديمة والوسطى والحديثة، ويبلغ من الاختلاف بينها أن الناطقين بالانجليزية الآن لا يستطيعون فهم جملة واحدة من اللغة القديمة[٢].

---

(١) محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في موسمها الثقافي١٣٩٨هـ/ ١٣٩٩هـ المحاضرة الثالثة، د. ف عبد الرحيم (تأثير اللغة العربية في اللغات الأخرى) ص٤٧ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق.

والعربية هي اللغة الوحيدة في العالم التي لم تتغير معانيها ومبانيها وأصولها؛ فالذي فهمه امرؤ القيس[(١)] ومعاصروه قبل خمسمائة وألف عام من قوله هو " قفا نبك من ذكرىٰ حبيب ومنزل[(٢)]" نفهمه نحن الآن كما هو.

هذا وقد بلغ من حسن حظ العربية- بعد أن شرفها الله تعالىٰ بالقرآن فكانت لبوساً له- أن بعض اللغات ترك اصحابها حروف لغتهم واتخذوا حروف العربية، كما حصل للفارسية بعد دخول الفرس في الإسلام.

وفي بعض اللغات وقفت الحروف العربية جنباً إلىٰ جنب مع حروف اللغة الأم فصارت تكتب كلماتها بالعربية إضافة إلىٰ كتابتها بحروفها الأصلية كما حصل في اللغة الاسبانية إبان الحكم الإسلامي.

ودخلت مفردات العربية في كثير من اللغات، حيث نجد في الأردية والتركية والهندية مالا يعد ولا يحصىٰ من الكلمات العربية.وحتىٰ البحور العربية دخلت هي الأخرىٰ في كثير من اللغات التي لم تعرف بحوراً غير البحور والتفعيلات العربية.

وعن طريق الأندلس دخلت العربية في اللغات الاوروبية المختلفة إبان الحكم الإسلامي، وعن طريق الحروب الصليبية وبواسطة التراجم من الكتب العربية إلىٰ اللغات الأوروبية.

ولعل الأرقام العربية بنظامها العددي المكون من الصفر والارقام التسعة أبرز أثر تركته العربية في اللغات الأوروبية[(٣)].

---

(١) امرؤ القيس:هو الشاعر المشهور امرؤ القيس بن حجر الكندي، أشهر شعراء العرب علىٰ الاطلاق، يماني الأصل، مولده نجد، توفي حوالي سنة ٨٠ قبل الهجرة الشريفة،وهو من شعراء المعلقات(تهذيب الا سماء واللغات١/ ١٢٦).

(٢) هذاهو صدر البيت الأول من معلقة امرؤ القيس المشهورة والذي عجزه: (بسقط اللوىٰ بين الدخول فحومل).

(٣) محاضرات الجامعة الإسلامية موسم ١٣٩٨هـ،ص٥٠.

أما حركات التأليف والتدوين فقد نشأت بعد نزول القرآن الكريم الذي كان أول كتاب ظهر في تاريخ العربية[١]. فاهتدت بأنواره، وتأثرت بوحيه وأسلوبه، حيث غدت بلاغة القرآن الوحدة القياسية التي تقاس عليها بلاغة كل نص، وفصاحة كل تعبير وأصبح القرآن مظهراً للحياة الفكرية والأدبية في المجتمع العربي.

وقد أخرج القرآن العربية من عالم الجزيرة إلى عالم الرسالة الرحب عندما خاطب بها العشيرة، وخاطب بها أهل مكة، ثم خاطب بها الناس أجمعين، فاستطاع أن يعرّب بين يديها معظم أنحاء العراق وبلاد الشام وشمال افريقيا، واستطاع المسلمون الفاتحون أن ينشروا العربية في معظم البلاد المفتوحة؛ ذلكم أن التعريب بالقرآن وتحت رايته جزء لا يتجزء من رسالة الإسلام[٢].

وأصبح تعلم العربية ضرورة دينية؛ فالصلاة لا تكون إلا بالعربية، وكذلك الأذان ، فلا بد من قراءة القرآن ورفع الأذان وأداء الصلاة بالعربية[٣].

ومن هنا يمكننا القول إن القرآن كان وسيظل سفير العربية إلى مختلف شعوب العالم، وأنه وإن انحسرت العربية عن بعض الأقطار، الا أن القرآن بقي وسيظل علامة واضحة في هذه الأمم،مثلما بقيت العربية لغة ثقافة وفكر لا سبيل إلى طمسها أو تجاهلها.

ولا بد من التذكير بأن حركة التعريب لم تتمكن من مواكبة انتشار الإسلام، ولم تتمكن من اللحاق به في البلاد التي دخلها الإسلام بواسطة التجار المسلمين، حيث كان

---

(١) من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي ، الطبعة الخامسة، ص١٨.

(٢) دراسات قرآنية، عدنان زرزور، مطبعة دار الفتح، دمشق الطبعة الأولى، ص١١ .

(٣) هذه مسألة خلافية بين الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، فلو كبر بالفارسية جاز عند الأمام،وعند صاحبيه لا يجوز إلا أن لا يحسن العربية. وهذا الخلاف نفسه في القراءة بالصلاة، وعند الإمام الشافعي لا تجوز القراءة بالفارسية بحال. والقراءة بغير العربية مبطلة للصلاة.وفي الأذان يرى الإمام ابو حنيفة أن من أذن بغير العربية والناس يعلمون أنه أذان صحّ أذانه والا لم يصحّ (كتاب المبسوط، ابو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٩٨٦، (١/ ٣٧).

هؤلاء التجار بسبب سلوكهم السوي وسيرتهم الحسنة ومعاملاتهم الطيبة نموذجاً طيباً في دعوة الناس إلى الله، ولم تكن الدعوة إلى الإسلام عندهم بالكلمات والخطابات،فأثر هؤلاء في تغيير عقيدة الناس، ولم يؤثروا في لغة خطابهم.

وكذلك فإن حركة التعريب لم تواكب انتشار الإسلام في البلاد التي فتحها مسلمون ليسو عرباً كالمغول والسلاجقة قبل أن يتعلموا هم أنفسهم اللغة العربية.

وقد يقول قائل: إن انتشار العربية كان بفعل القوة السياسية، وليس بفعل القرآن الكريم. وفي الرد على ذلك يمكن القول: إن القوى الغازية للجزيرة العربية قبل الإسلام لم تستطيع أن تؤثر شيئاً في لغة العرب رغم كونها قوة مؤيدة بسلطة سياسية، الا أن الشعوب رفضت تلك اللغات، ولم تتأثر بها، حيث بدا بوضوح أن الباعث الأول لنشأة العربية وعلومها هو الدين الجديد الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث صرفتهم عنايتهم بالقرآن إلى الاهتمام بقراءاته وتفاسيره.وحملهم ذلك على ضبط اللغة والاهتمام بقواعدها. فكان ظهور القرآن كما قال الدكتور محمد عبد الله دراز(١) خلقاً للغة جديدة ولأسلوب جديد(٢).

****

(١) الدكتور محمد عبد الله دراز:كاتب مصري معاصر بعثته الجامعة الازهرية الى أوروبا، فدرس هناك اللغات، وألم بمناهج البحث ووضع رسالتين جامعيتين؛ احداهما عن القرآن، والأخرى عن دستور الاخلاق في القرآن، وبعد عودته إلى مصر عام١٩٤٨م عمل في جامعة القاهرة وجامعة الازهر، ونال درجة الدكتوراه عام ١٩٤٧ من جامعة باريس بمرتبة الشرف الأولى.

(٢) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، ترجمة محمد علي عبد العظيم راجعه الدكتور محمد بدوي، دار القرآن الكريم- الكويت - الطبعة الأولى، ص١١٦.

المبحث الثاني

أثر القرآن الكريم في توحيد لهجات العربية

لا يخفى أن العربية إنما استقام أمرها، وانضبطت قواعدها واستوت على سوقها بفضل هذا القرآن وتأثيره، فقد كانت قبل نزول القرآن أمشاجاً من اللهجات المختلفة المتباعدة،وكانت مليئة بالكلمات الحوشية[١] الثقيلة، فعندما نزل الذكر الحكيم، قضى على التناكر والاختلاف في اللهجات،وجمع العرب على لغة قريش[٢] التي كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها عند النطق، وأخفها على السمع، وأبينها عما في النفس. وقد سهل هذه المهمة بُعد قريش عن بلاد العجم من جميع الجهات، وعزلتها عن الشعوب الاعجمية، واكتفاؤها بمقدرتها الذاتية على التعبير، والتمثل والتوليد، وعلى التخير والانتقاء[٣] فكانت قريش تختار من لغات العرب الذين يفدون اليها في موسم الحج ما انسجمت حروفه، وخف على الاسماع وقعه[٤]. فنمت ثروتها وأضاءت صفحاتها، واكتست حللاً رائعة من الحُسن والعذوبة والجمال.

****

(١) حوشي الكلام: غريبه مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، دار القلم ، بيروت، طبعة حديثة ومنظمة، ص١٦٢.

(٢) وكان ذلك في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما قال للقريشيين الثلاثة" إذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فهو إنما نزل بلسانهم" مباحث في علوم القرآن الدكتور صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثامنة، ص٧٨، ٨٠ المدخل لدراسة القرآن الكريم محمد ابو شهبة، دار الجيل، بيروت الطبعة الجديدة ص٢٤٧.

(٣) دراسات في فقه اللغة العربية، الدكتور صبحي الصالح،دار العلم للملايين، بيروت ط(١٠) ص٦٧ وما بعدها.

(٤) دراسات قرآنية، عدنان محمد زرزور، مكتبة دار الفتح، دمشق الطبعة الأولى سنة،١٩٧٥، ص٢١.

المبحث الثالث

أثر القرآن الكريم في جعل العربية لغة الدولة الإسلامية

من أهم آثار القرآن على العربية أنه أعان على بقائها لغة حية غضة على مر العصور، حيث اكتسحت ما وقف أمامها من لغات عندما اتخذتها الشعوب الإسلامية لساناً لها. مثلما ساعد على أحياء لغات أخرى اضطر اصحابها إلى ترجمة الكلام العربي وعلوم العربية لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الإسلامي وغيرها. وصارت العربية لغة الخطاب السياسي، ولغة الفقهاء والعلماء والكتاب، في بلاد المسلمين[(١)]. بل إنها تعدت ذلك إلى خارج حدود الدولة الإسلامية، عندما استخدمت في تبيين العقائد والشرائع الإسلامية، وكانت لسان الدعوة إلى الإسلام، ولغة الاحتجاج لخصوم هذه الدعوة ومناوئيها.

ولا يخفى أن العربية لم تكن تطمح في أن يتعدى سلطانها حدود الجزيرة العربية، وتهيمن على لغات نمت في أحضان الحضارة وترعرت على سمع المدنية وبصرها. ولم تكن تطمح في أن تستأثر بالمكانة العليا، والمنزلة الفضلى في ممالك ما كان العربي يحلم أن يمر بها فضلاً عن أن يكون السيد فيها.

وهكذا استطاع القرآن الكريم أن ينتزع العربية من أحضان الصحراء لكي لا تظل ملكاً للعرب وحدهم، بل لتكون لغة المسلمين كافة عجماً وعرباً على حد سواء، فأتاح لها ملكاً واسعاً تأخذ فيه ألفاظها ومعانيها، وأغراضها وأساليبها[(٢)]. وبعد أن كانت

(١) العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة السادسة، ص٣٠.

(٢) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، مصر، ص٢٨.

ثروتها في حدود بيئتها صارت غنية في كل فنون الحياة، فأقبل الناس عليها، وانصرفوا إليها مدفوعين بالحاجة إلى التفاهم مع أوليائهم من العرب، وإلى معرفة أحكام الدين وأداء واجبات الإسلام.

وصارت العربية لغة الدواوين والمكتبات الرسمية[١]. واتجه الناس نحو اللغة الفصحى،مبتعدين بالتدريج عن اللهجات العامية في أحاديثهم، وازداد اتصال الفصحى بالقرآن عندما أقبل المسلمون من غير العرب على تعلم هذه اللغة، فكان من نتيجة ذلك أن حملت العربية معاني القرآن ومضمونه العظيم لشعوب الأرض كافة في الهند واندونيسيا، وفي بلاد فارس وفي تركيا والحبشة وسائر بلاد افريقيا وغيرها، إضافة إلى ما قدمه العرب أنفسهم وهم يؤدون أمانة تبلغ الدين ونشره في أرجاء المعمورة، وفاء لحقّ الإسلام عليهم،وقياماً بواجب الدعوة التي لا تعرف الحدود ولا السدود ولا القيود، فرتلوا على مسامع الزمن آيات القرآن الكريم فانشرحت لها صدور الجميع، وأقبلوا على هذه اللغة يتعلمون قواعدها وأحكامها وفنون أدبها وبلاغتها، حتى تفوّق في علومها أناس من غير أهلها كادوا ينافسون أهلها في خدمتها.

****

(١) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل،بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢، ص٢٥٦.

المبحث الرابع

أثر القرآن في جعل العربية لغة تعليمية

كانت العربية من حيث الاعراب والبلاغة ملكة راسخة في نفوس العرب في الجزيرة، ولم يكونوا يستعينون على تحصيلها والوصول إليها بقواعد اللغة وأحكامها المعروفة الآن.

ولكن عندما نزل القرآن الكريم، وأخرج العرب من الجزيرة إلى هذا الملك العظيم، واختلطوا بالاعاجم، وعاشوا حياة المدنية والحضارة، ضعفت سليقتهم اللغوية، ثم فسدت فيما بعد، وصارت اللغة تكتسب بالتعليم والتعلم.

وقد وقف علماء الإسلام أمام مخاطر هذا الانفتاح الحضاري والاختلاط مع الاعاجم، ورأوا أنه لا نجاة الا بوضع ضوابط لغوية تحكم حركات الكلمات، إعانة للمتكلم والكاتب على تحري الصواب، ومساعدة لقراء كتاب الله تعالى على تجنب اللحن.

إلى جانب ذلك اجتهد العلماء في تنقية اللغة وتحريرها مما شابها من اللغات الأخرى التي تسربت اليها نتيجة المخالطة مع الاعاجم، واتجهت جهود مخلصة أخرى لدراسة لهجات العرب للاستفادة منها من القراءات القرآنية.

وقد أفادت هذه الحركة اللغوية العرب والمسلمين الذين خالطوا الاعاجم عندما خرجوا إلى الأمصار يحملون هذا الدين. وأفادت أيضاً الأقوام الذين دخلوا الإسلام من غير العرب، حيث أقبلوا على تعلم العربية، رغبة في قراءة القرآن، وتعلم أحكام الشريعة، الأمر الذي أوجد دافعاً جديداً لوضع أصول وقواعد اللغة لتكون دليلاً للعرب وغيرهم.

وكانت نظرة المجتمع العربي في صدر الإسلام إلى اللغة على أنها جنسية فمن تكلم العربية فهو عربي، مما شجع الكثيرين على نيل شرف هذه النسبة،فاجتهدوا في التعرف على قواعد العربية، وتعلم أحكامها.

وكان الخلفاء والأمراء في صدر الإسلام يولون هذا الموضوع اهتمامهم، فيروىٰ أن زياد بن أبيه(١). لما جاء إلىٰ البصرة استأذنه أبو الأسود الدؤلي(٢) في أن يضع للعرب كلاماً يقيمون فيه السنتهم، فلم يأذن له، إلىٰ أن جاء رجل فقال: " أصلح الله الأمير! توفي أبانا وترك بنون" فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون!! أدع لي أبا الأسود. فقال ضع للناس الذي كنت نهيتك أن تضع لهم(٣). فمن الله تعالىٰ عليهم بهذا القرآن، واتئلفت عليه قلوبهم وأخذت هذه اللهجات بالتقارب، وبدأت مظاهر ما بينها من خلاف تضمحل وتذوب، حتىٰ تلاقت تلك اللهجات كلها في لهجة عربية واحدة هي لهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم وأخذت ألسنة العرب علىٰ اختلافهم، وتباعد قبائلهم تنطبع بطابع هذه اللغة القرآنية الجديدة فكان ذلك سر هذا الشريان السحري العجيب الذي مد في أجلها فاستصلبت بعد ميعة، وقويت بعد تفكك، واتحدت بعد تناثر، ثم مرت علىٰ مصرع أعظم لغة عالمية شاملة هي (اللاتينية)بينما تغلي هي حيوية واشراقاً. فكيف يمكن مع ذلك دراسة شيء من أدب هذه اللغة دون دراسة روحها التي تعيش بها وشريانها الذي يمتد فيها، وينسأ من أجلها؟"(٤).

****

---

(١) زياد بن أبيه: ويقال له زياد بن أبي سفيان صخر بن حرب ولد عام الهجرة الشريفة، وليست له صحبه ولا رواية، وكان من دهاة العرب، والخطباء الفصحاء، استعمله عمر علىٰ بعض اعمال البصرة واستعان به علي بعد ذلك، وفي عهد معاوية استعمله علىٰ البصرة والكوفة وبقي عليها إلىٰ حين وفاته سنة ثلاث وخمسين للهجرة، وكان من الأعمدة التي قام عليها عرش بني أمية،(تهذيب الاسماء واللغات١/ ١٩٩٨م).

(٢) ابو الاسود الدؤلي: تابعي اسمه ظالم بن عمر بن سفيان ، بصري، كان قاضياً للبصرة، سمع عمر وعليا والزبير وأباذر وابن عباس وغيرهم، ولي البصرة، ووثقه يحي بن معين، وروىٰ له البخاري ومسلم، وهو أول من تكلم في النحو، وأول من نقط المصاحف،(تهذيب الاسماء واللغات (٢/ ١٧٦) (سير أعلام النبلاء٤/ ١٨) (البداية والنهاية٨/ ٣١٥).

(٣) البداية والنهاية(٨/ ٣١٥).

(٤) من روائع القرآن، ص٢٠.

المبحث الخامس

أثر القرآن الكريم في تهذيب الفاظ العربية

اتضح مما تقدم أن القرآن نقل العرب من جفاء البداوة وخشونتها، إلى لين الحضارة ونعومتها، حيث نزل العرب عن حوشيتهم، وتوخوا العذوبة في الفاظهم، منسجمين في ذلك مع الأسلوب القرآني الذي اختار لألفاظه أخفها نطقاً على اللسان، وأرفقها بالآذان حتى لكأنها خطرت النسيم، وهو مع ذلك بالمكانة الأسمى والمرتبة الأعلى. فتحيرت له البابهم، وخشعت له قلوبهم، وفهموا أن البلاغة صنعة بعيدة عن التعقيد والتكلف، فتأثرت لغتهم بهذا القرآن، وجروا على سنته في ترقيق اللغة وتهذيبها، وأخذت الكلمات الغريبة الجافية تختفي رويداً رويداً من مخاطباتهم وأشعارهم[1]. وأصبح متنُ لغتهم كلُّه مطبوعاً بالطابع القرآني. وصار القرآن المعجم الأدبي الذي يسير على هُداه الكتاب والخطباء والشعراء على تنائي ديارهم وتباعد أعصارهم[2]، بعد أن كانت المعينية والسبئية واللحيانية والثمودية والصفوية والحضرمية كلها كانت اسماء للهجات عربية مختلفة في طريقة النطق من ترقيق أو تفخيم أو إمالة، ومختلفة في تركيب الكلمة ذاتها وفي الحروف المركبة منها، وفي الإبدال والاعلال والبناء والأعراب، حتى باعد ذلك بين السنة العرب، وأوشك أن يحول اللغة الواحدة إلى لغات متجافية متعددة لا يستطيع أهلها التفاهم فيما بينهم[3].

****

(١) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، ص٢٥٦.

(٢) أدب العرب في صدر الإسلام، د.حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ص٦٧.

(٣) من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي دمشق، الطبعة الخامسة، ص١٨ دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة، ص٥٩ وما بعدها.

المبحث السادس

أثر القرآن الكريم على أساليب العربية وأغراضها ومعانيها

الأسلوب هو الصورة اللفظية التي تكون طريقاً لايصال المعنى إلى النفوس[(١)].

وقد جاء القرآن على أسلوب لم تعرفه العرب من قبل، توخى فيه اعتبارات لا تخضع لحصر، منها التقديم والتأخير والتعريف والتنكير، والحذف والاثبات، والفصل والوصل، والتأكيد والتكرار، حتى قويت منه دهشتهم، فهم يرون فيه الفاظاً هي عين الفاظهم لكنهم لم يجدوا في أنفسهم القدرة على معارضته. وقد تحداهم تحدياً صارخاً، فعجزوا أمامه عجزاً ذليلاً مستكيناً.

وهذا استطاع القرآن أن يرفد العربية بهذه الوجوه البلاغية المتنوعة المتطابقة مع احوال المخاطبين.

يضاف إلى ذلك الاهتمام الكتاب العزيز بالتصوير الذي يضع القارئ أمام الحدث،وكأنه يرأه أمامه على خشبة مسرح، وهكذا اغتنت العربية بالوان البيان والبديع وكثرت فيها التشبيهات والكنايات والمحسنات البديعية التي تزيد في جمال اللفظ وقوة تأثيره، ووضوح معناه.يزيد ذلك روعة وجمالاً ما في العبارة القرآنية من أنسجام يترك كلماتها تتهادى في حركاتها وسكناتها وكأنها خطرات النسيم .

وكان لكل ذلك أثره الكبير على العربية حيث رفد القرآن خصائصها الأسلوبية بمهارات جديدة تفوقت فيها على ما سواها من اللغات.

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ، د. فضل حسن عباس ، دار الفرقان، الطبعة الثانية، ص٨٦.

وانشأ القرآن في العربية أغراضاً جديدة كالدعوة إلىٰ القصد في تلبية شهوات النفس،والاعتدال في طلب الدنيا، والاقبال علىٰ الآخرة، والرغبة فيما عند الله تعالىٰ، ومثل هذا الغرض لم يكن في كلام العرب قبل نزول القرآن،وقدم القرآن النموذج الصحيح للجدل والمناظرة، وقص علىٰ سمع الزمن أحسن القصص وأكملها وأوفاها.

وأبطل سجع الكهان، وأضعف فنون الفخر والاستعلاء والهجاء وأحل الايجاز محل الاسهاب، وأعطىٰ الاسلوب جزالة وسلاسة وعذوبة ووضوحاً[(١)].

" وأدخل القرآن في العربية معاني جديدة لم تكن تعرفها مثل الفرقان والكفر والإيمان، والاشراك والإسلام والنفاق والصوم والصلاة والزكاة والتيمم والركوع والسجود وغير ذلك من كلمات الدين الحنيف"[(٢)] كالحج والعمرة والايلاء والعدة والظهار.وحتىٰ المعروف من هذه الكلمات كساه القرآن معاني جديدة أوسع من المعاني التي وضعت لها أصلاً، كالصلاة التي كانت تعني الدعاء وصارت بعد نزول القرآن تعني عبادة مخصوصة مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، والعمرة كانت تعني الزيارة فكساها القرآن معنىٰ آخر هو زيارة البيت الحرام بينة مخصوصة وأعمال مخصوصة.

ورفع القرآن من شأن النثر بعد أن كان المقام الأول للشعر وحده بين فنون الأدب، واكسب الشعراء والخطباء أساليب وطرائق جديدة في سوق الآراء وصياغة الحجج[(٣)].

****

---

(١) الفصحىٰ لغة القرآن، انور الجندي دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ص٤٠.

(٢) العصر الاسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ، ط٧،ص٣٢.

(٣) دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، ص٢٥٧.

المبحث السابع

العربية في مواجهة التحديات

أدرك اعداء المسلمين مكانة العربية في حياة المجتمع الإسلامي وأنها لبوس دينهم، ولغة قرآنهم، ولسان نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم،وأنها واحدة من أقوى الروابط فيما بينهم، فراحوا تحت أردية الخداع المعروفة يكيدون لهذه اللغة بشتى الوسائل والأساليب.

ولقد كان ارتباط العربية بالقرآن هو التحدي الخطير الذي واجه الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي، والتبشير والاستعمار في العصر الحديث،حيث كانت الخطة- ولا تزال- موضوعة لفك هذا الارتباط وفصم هذه العلاقة، وتقطيع ما بين العربية والقرآن، ليسهل من وراء ذلك دفع العربية الى المصير الذي آلت اليه لغات كثيرة من قبل، حتى انتهى أمرها إلى مجموعة من اللهجات.

ويدرك الاعداء أن القرآن هو قاعدة الثبات الصامدة التي ترتبط بها هذه اللغة، لذا فإنا نراهم يزدادون ضراوة في الهجوم عليها والمكر بها، هادفين- خيبهم الله- إلى تدمير البنية التحتية والقاعدة الاساسية للتفاهم والتواصل بين المسلمين.

ولكي يضمنوا سلامة الوصول إلى أهدافهم فقد سخروا لشنِّ الهجوم على هذه اللغة وجوهاً وأسماء عربية[١] بعقول وقلوب غربية تنادي بتدمير اللغة وتهديم

(١) أمثال طه حسين في مصر حيث نادى في كتابة(مستقبل الثقافة في مصر)بتطوير النحو ولويس عوض الذي دعا إلى كسر عمود الشعر، وقاسم أمين الذي دعا الى تسكين أواخر الكلمات، وجميل صدقي الزهاوي الذي دعا إلى الكتابة باللغات المحلية، ومثله في هذه الدعوة الآئمة احمد لطفي السيد، وسلامة موسى الذي سار على خطى وليم ولكوكس المهندس الانجليزي في الدعوة إلى هجر العربية(انظر الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر) دار الارشاد، بيروت، طبعة ١٩٧٠(٢/ ٣٥٩) وما بعدها وانظر الفصحى لغة القرآن انور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت ص١٨٥.

بنيانها وتحطيم أركانها، تحت عناوين متعددة كالتطوير والاصلاح والتعديل وما شابه ذلك، وتنوعت هذه الدعوات اليائسة والمحاولات البائسة فنادىٰ أصحابها بالكتابة بالعامية واللجهات المحلية، واسقاط بعض قواعد اللغة، وأصول الكتابة، والتحول إلىٰ الحروف الاتينية وغير ذلك من صور الكيد والمكر، حتىٰ اتجهت معاول الهدم إلىٰ تشويه الصورة الأدبية التي نشأت وترعرت في البيئة النظيفة التي أتاحها القرآن الكريم للثقافة العربية، حيث ارتفعت أصوات تنادي بتقليد الاداب الحديثة الغريبة في شكلها وموضوعها وأساليبها، وتدعو إلىٰ العناية بالأدب الشعبي، ويقصدون به كل ما هو متداول بغير العربية الفصحىٰ.

وهذه دعوة لم يُسمع مثلها قبل هذا القرن، فمن عجب أن تظل العربية الفصيحة جامعة للعرب علىٰ اختلاف الاقطار وتنائي الديار، ولم يخطر لهم علىٰ بال قصورها أو عجزها في أي ميدان طيلة القرون السابقة ثم يكتشفون فجأة فجأة هذه المشكلات في حروفها وكلمات وقواعدها!!.

ويستطيع المرء أن يؤكد أن هذه الدعوات المشبوهة لم تنشأ الا في ظل الاستعباد والاستعمار لبلاد العرب والمسلمين، وفي حضانة التبشير.

ومما يؤسف له أن هذه الدعوات لقيت رواجاً واستجابة في بعض الاوساط فدخلت الجامعات والمدارس وصارت اللهجات تُدرس ضمن مناهجها الدراسية(١).

أما الحجج التي ساقها أعداء العربية فأنها لا تتجاوز الكلام عن صعوبة تعلمها من جهة، وعجزها (بزعمهم) عن تأدية الأغراض الأدبية والعلمية الحديثة من جهة أخرىٰ.

ويمكن رد هذه المزاعم بما يلي:

١. إن أحداًمن المسلمين لا يتمكن من الاستغناء عن العربية الفصحىٰ، لأنها أداته

(١) اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر، د. محمد محمد حسين، دار الارشاد، الطبعة الثانية، بيروت، ص٤٨ وما بعدها.

لفهم كلام الله تعالىٰ وكلام رسوله محمد صلىٰ الله عليه وسلم وآله وسلم.وفهم كتب العقيدة الشريفة وسائر الدراسات الإسلامية.

٢. لقد تلقت الأمة هذه اللغة بالقبول والمحبة ولا أدلّ علىٰ ذلك من أنها لغة الصحف والمجلات والاذاعات المسموعة والمرئية ولغة المخاطبات الرسمية والتدريس في جميع أنحاء العالم العربي.

٣. إنّ الهُوة بين الفصحىٰ والعامية في لغتنا العربية ليست كبيرة كما هو الحال في اللغات الأخرىٰ(١).

٤. إن العربية ليست بدعاً من اللغات في وجود عامية وفصحىٰ، فكل أمة لها لغة علم وثقافة وأدب تختلف عن لغة العامة ولهجة السوق.

٥. مما يدعونا لرفض دعوات التطوير والتعديل والاصلاح هذه أنها تصدر في الغالب عن صناع الهزيمة،الناعقين بتدمير معالم الوحدة في المجتمع العربي.

٦. وأما خرافة التعقيد والصعوبة في قواعد اللغة فزعم باطل وحديث إفك،فقد استطاعت هذه اللغة أن تعيش أكثر من الف سنة وهي تقدم للبشرية افضل العلوم والفنون في شتىٰ مجالات الحياة الإنسانية.

ومن فضل الله تعالىٰ أن مؤشرات اليقظة والانتباه إلىٰ مخاطر الاستجابة لهذه الدعوات تبدو واضحة، فقد رفض المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية المعقود في دمشق سنة١٩٥٦ رفض هذه الاراء المعوجة والدعوات السقيمة(٢) التي صدرت مع الاسف عن قوم يفترض أنهم مجتمعون لحماية العربية ورفع بنيانها وتوطيد أركانها.

وفي جميع أنحاء العالم تزدهر مدراس العربية والمراكز الإسلامية ودور القرآن

---

(١) المصدر السابق

(٢) حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين، مكتبة المنار الإسلامية الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧، ص٢٢٢ وما بعدها.

الكريم. وكلها تعنى عناية واضحة في تعليم العربية للناطقين بها وغير الناطقين، وكثير من الجامعات الاجنبية تظهرعناية واضحة بعلوم العربية وآدابها. وسيظل القرآن الكريم سفير العربية إلى جميع انحاء العالم، يقود خطاها إلى معارج النور والحضارة الإنسانية، رغم كيد الكائدين، ومكر الماكرين.

﴿**والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ يوسف(٢١).

****



الفصل الثاني

ظاهرة العدد في القرآن الكريم

ويتضمن اربعة مباحث

- المبحث الاول: شمول ظاهرة العدد
- المبحث الثاني: اغراض العدد في القرآن الكريم
- المبحث الثالث: آثار ظاهرة العدد
- المبحث الرابع: التناسق العددي في القرآن الكريم

المبحث الأول

شمول ظاهرة العدد

لا يكفي العدد في القرآن الكريم أن نصفه بأنه ظاهرة، ولكن لا بد من القول إنه ظاهرة شاملة، نلمح من خلالها جميع الارقام التي يتكون منها العدد(أي عدد) كما نلمح العمليات الحسابية كالجمع والطرح والقسمة والنسبة والتناسب والمضاعفات والكسور وغيرها.وهذه ليست الجوانب الظاهرة فحسب، ولكن ظاهرة العدد تتعدىٰ ذلك لتشمل تقديم الشواهد علىٰ جميع ما يلزم الباحث في مسائل العدد وقواعده، لتكون الاكثر رسوخاً والأقوىٰ دلالة واستشهاداً.

وَحَسْبُ الكثيرين الذين لا يأمنون اللحن عند النطق بالعدد، حسبهم أن يتأملوا في الآيات الكثيرة التي تشكل هذه الظاهرة لينسجوا علىٰ منوالها ويقيموا السنتهم علىٰ نهجها.

ونقدم الآن بعض الآمثلة لتوضيح شمولية هذه الظاهرة وامتدادها لتشمل الأرقام والمسائل والاحكام وجميع العناوين المتعلقة بالعدد.

» (أولاً) الاعداد الصحيحة:

١. العدد(واحد): ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ البقرة (١٦٣).

٢. العدد(اثنان): ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ يس(١٤).

٣. العدد(ثلاثة): ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢).

٤. العدد(اربعة): ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ فصلت(١٠).

٥. العدد(خمسة): ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢).

٦. العدد (ستة): ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ السجدة(٤).

٧. العدد(سبعة): ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ الحاقة(٧).

٨. العدد(ثمانية): ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ الحاقة(١٧)

٩. العدد(تسعة): ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ﴾ النحل(١٢).

١٠. العدد (عشرة): ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة(١٩٦).

١١. العدد(احد عشر): ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف(٤).

١٢. العدد (اثنا عشر): ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ التوبة (٢٦).

١٣. العدد(تسعة عشر): ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر(٣٠).

يضاف إلى ذلك كثير من اعداد العقود والمئات والآلاف ومضاعفاتها مما لا يخفى على قاريء القرآن الكريم.

» (ثانياً) ذكرت في القرآن بعض الأعداد النسبية منها الكسور التالية:

١. الثلثان: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ المزمل(٢٠) وقوله تعالى ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ النساء(١٧٦).

٢. النصف في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ﴾ النساء(١١).

٣. الثلث: في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ﴾ النساء(١٢).

٤. الربع: في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ النساء(١٢).

٥. الخمس: في قوله سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ..﴾ الانفال(٤١).

٦. السدس: في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ النساء(١١).

٧. الثمن: في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ﴾ النساء(١٢).

» (ثالثاً) ذكرت في القرآن الكريم مضاعفات الاعداد.

كما في قوله تعالى ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ البقرة (٢٦١).

» (رابعاً): النسبة والتناسب هي الأخرى ذكرت في القرآن

في قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ النساء (١١) أي إن توزيع الميراث يكون بينهما بنسبة ٢:١.

» (خامساً) عمليات الجمع:

كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ﴾ البقرة(١٩٦).

» (سادساً) عمليات الطرح:

كما في قول الحق سبحانه: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾ العنكبوت(١٤).

» (سابعاً): عمليات القسمة:

كما في قوله المولى تبارك وتعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ ﴾ النساء(١٢) وهذا يعني القسمة على ثلاثة.

» (ثامناً): نظام تحويل الوحدات[١].

كما في قول المولى تبارك و تعالى: ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ البقرة(٢٣٤) فإذا اردنا إحصاء العدد بالأيام فإننا نحول الشهر إلى أيام.

---

(١) هكذا فلنفهم الإسلام، محمد ربابعة، دار البشير، عمان الطبعة الاولى،ص٣٠.

» (تاسعاً) العدد الترتيبي:

وهو الذي يتحدث عن رتبة المعدود ويكون على وزن (فاعل) من ذلك قوله تعالى:

- ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ التوبة(٤٠).
- ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ المائدة(٧٣).
- ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ المجادلة(٧).
- ﴿ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ النور (٩).
- ﴿وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ الكهف(٢٢).
- ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾ الكهف(٢٢).

» (عاشراً) العدد الكنائي

ونقصد به الادوات التي يعبر بها عن عدد مبهم غير محدد وهي : كم، وكأين، كذا.

وهذه الأدوات ذكرت في كتاب الله في مواضع كثيرة من ذلك قوله المولى سبحانه:

- ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ النجم (٢٦).
- وقوله: ﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾ الأعراف(٤).
- وقوله: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ العنكبوت(٦٠).

» (حادي عشر): العدد المعدول عن أصله

- من ذلك قوله سبحانه: ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ النساء(٣).
- وقوله: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ فاطر(١)
- وقوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ سبأ (٤٦).

والتأمل بهذه الآيات وغيرها يمكننا من الوصول إلىٰ أدق أحكام العدد مع معدودة في التذكير والتأنيث، والتمييز والاعراب والإضافة والتعريف وغيرها،حتىٰ إننا لنكاد نجد أنفسنا في استغناء عن مطالعة الكتب النحوية المختصة في هذا الفن مكتفين بما يتيحه التأمل في الذكر الحكيم من فرص لإتقان قواعد النحو والبلاغة في هذا الباب وغيره علىٰ حد سواء.

****

المبحث الثاني

أغراض العدد في القرآن الكريم

يؤدي العدد في القرآن الكريم اغراضاً ومقاصد كثيرة نذكر منها:

١. يأتي العدد في القرآن لبيان الكثرة، لا لبيان خصوصية العدد، كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ التوبة(٨٠) وقوله سبحانه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ المعارج(٤) حيث يفيد هنا تيئيس الكافرين، واستنزالهم عن رتبة المكابرة والعناد.إضافة إلى دلالته على تطاول ذلك اليوم(١).

٢. يستخدم القرآن العدد للفصل في القضايا الهامة التي يؤدي تجاهل الفصل فيها إلى خلافات بين المسلمين، بل يؤدي أحياناً إلى منازعات بين الأخوة في الأسرة الواحدة.

مثال ذلك الآيات القرآنية في مسائل الميراث، حيث نجد القرآن الكريم يذكر الثمن والسدس والربع والنصف والثلث والثلثين، خلافاً لما هو معتاد في بيان الأحكام الأخرى، حيث يكتفي في الغالب ببيان الخطوط العريضة، ويترك ما بقي للسنة المطهرة لتبيين التفاصيل والدقائق.

والذي يلوح من تأمل هذه الآيات- أعني آيات الميراث- أن الحكم الشرعي جاء نصاً قاطعاً لكي لا يترك مجالاً للاجتهادات والاحتمالات، حرصاً على وحدة المسلمين ودوام الألفة والمحبة بينهم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي وشركاه(٤/ ١٢٠).

٣. بيان الاحكام الفقهية كالطلاق والعدة، والغنائم، والحج، وأحكام الكفارات، والايلاء، والظهار، وغيرها. من ذلك قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة(٢٢٨). وقوله ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة(٢٣٤). وقوله ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الانفال(٤١) وقوله سبحانه ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ البقرة(١٩٦). وقوله ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ﴾ المائدة (٨٩)، وقوله ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة(٢٢٦). وقوله ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ المجادلة (٤).

٤. الحديث عن الآيات الكونية ومشاهد يوم القيامة من ذلك قول المولى سبحانه: ﴿خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴾ المؤمنون(١٧) وقوله ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ الأعراف(٤٥)، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ السجدة(٥).

٥. ورد العدد في كتاب الله لخدمة القصص القرآني كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف (٤) وقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ يوسف (٤٣) وقوله : ﴿ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ الكهف(٢٥) وقوله ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ البقرة(٢٦٠).

ولست هنا في صدد احصاء جميع المجالات التي استخدم فيها العدد في التنزيل، ولكن فقط أريد أن يعي القارئ المساحة التي يستأثر بها العدد في الآيات المباركات، حتى صار ظاهرة يلمسها كل قارئ.

وقد امتنّ علينا المولى سبحانه بنعمة الليل والنهار وأنهما آيتان من آيات الله تعالى، من بعض فوائدهما ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ الاسراء (١٢)، فعلم عدد السنين وعلم الحساب مقصد مطلوب في شريعتنا يرتبط فيه كثير من مصالح حياتنا في المواقيت والمواعيد والاحكام.

وتحدثت عن العد والاحصاء والحساب آيات كثيرة، والمولى سبحانه وصف نفسه تبارك وتعالى بقوله: ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ الانعام (٦٢) ويقول سبحانه ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء(٤٧).

ورغبة من ترتيب الحياة الإسلامية على صعيد الاسرة طلب المولى سبحانه احصاء العدة حيث قال تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ الطلاق (١).

واحصاء العدة انسجام مع منهجية الحياة الإسلامية، التي لا يذهب فيها شيء هملاً، ولا يترك فيها شيء سدى، والمولى سبحانه أخبرنا بأن كل ما في هذا الكون هو بقدر معلوم وبعدد معدود. فقال سبحانه ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن (٢٨).

وقد ورد الاحصاء في القرآن على أربعة أوجه:

١. بمعنى الحفظ والضبط كما في قوله تعالى: ﴿مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ الكهف(٤٩) أي حفظها
٢. بمعنى الكتابة، من ذلك قوله سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ يس(١٢).
٣. بمعنى الحصر والاحاطة: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ الجن(٢٨).
٤. بمعنى الطاقة والقدرة: قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ابراهيم(٣٤).

والاحصاء مشتق من الحصىٰ لأنهم كانوا يعتمدونه في العد كما نعتمد نحن علىٰ الأصابع(١) وقوله عليه السلام في الأسماء الحسنىٰ: "من أحصاها دخل الجنة" رواه البخاري(٢) قيل: معناه من عدّها وقرأها. وقيل: ضبطها وحفظها وقيل من عرفها وعرف معناها، وقيل: من تخلّق بها حسب حدود القدرة البشرية.

وقد ذكر ابن حجر(٣) للعلماء في ذلك عدة معان منها:

- من حفظها، وهو الأظهر لثبوته نصاً في الخبر،وهو قول الاكثرين.
- وقيل من تتبعها في القرآن.
- وقيل من آمن بها وعظمها ورغب فيها واعتبر بمعانيها.
- ومما قاله العلماء: من أحصاها أي من عمل بها وتعقل بمعانيها.
- وقيل: العلم بمعانيها في اللغة، وتنزيلها علىٰ الوجوه التي تحملها الشريعة.
- وقيل : أن يعلم معنىٰ كل اسم بدلالة أثره الساري في الوجود(٤).

****

---

(١) بصائر ذوي التمييز، مجد محمد بن يعقوب الفيروزأبادي تحقيق محمد علي النجار المكتبة العلمية، بيروت(٢/ ١٢٨).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت كتاب التوحيد(١٣/ ٣٧٧).

(٣) ابن حجر: هو احمد بن علي بن محمد العسقلاني ، مصري المولد والمنشأ، نزيل القاهرة وبقية الحفاظ ولد سنة ٧٧٣ حفظ القرآن له مؤلفات كثيرة منها فتح الباري، وتهذيب التهذيب.

(٤) فتح الباري(١١/ ٢٢٧).

المبحث الثالث

آثار ظاهرة العدد

ما من شك أن ظاهرة العدد في القرآن الكريم تؤدي خدمة جليلة للراغبين في دراسة النحو من خلال شواهد لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

أقول هذا من منزع الثقة والقناعة بأن كتاب الله العزيز هو الحكم على اللغة وقواعدها، وأنه حجة على هذه القواعد.

يضاف إلى ما تقدم أن المداومة على قراءة كتاب الله تعالى تُعين على إقامة اللسان وحمايته من اللحن في باب العدد وفي غيره، خاصة في هذا الزمن الذي استعجمت فيه الألسن، وصارت إلى اللكنة والعجمة أقرب منها إلى الفصحى، حيث راح الكثيرون يكتبون العدد بالأرقام الحسابية ويقرأونه بالعامية، وتسربت هذه العدوى إلى الصحف والكتب، وحتى إلى الكثير من وسائل الأعلام المرئية والمسموعة.

وتحسم ظاهرة العدد أي خلاف في القضايا التي تعرض لها لأن كلام الله تعالى نهائي، لا مجال فيه للمراء والمماحلة ، كما هو حاصل في بيان عدد أهل الكهف مثلاً وسني لبثهم في كهفهم.

ويشكل العدد مشجباً للذاكرة يمكن أن نعتمد عليه في حفظ أي من آيات العدد. فهو عامل مساعد في حفظ الآيات القرآنية، واستذكار الموضوع الذي سيقت من أجله.

وتعد ظاهرة العدد دعوة مفتوحة لتعلم الحساب استجابة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ يونس(٥).

وقوله: ﴿لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ الاسراء(١٢).

وتعين ظاهرة العدد على التزام الدقة في تنظيم الحياة في المجتمع المسلم،والابتعاد

عـن الحسـابات الجزافيـة خاصة فيمـا يتعلـق بالحقـوق المالية، حيث نجد الآيـات تلتزم التحديد بعيداً عن التقريب والتخمين.

وإن التأمل في آية المداينة في سورة البقرة ينبيء عن مدىٰ اهتمام القرآن الكريم بهذه الحقوق صوناً لها من الضياع أو النقصان. وهذا الاهتمام يقصد إلىٰ صيانة المجتمع الإسلامي من الترهل والاختلاف والانشغال عن الهمّ الكبير الذي نعيش له نحن معشر المسلمين.

ومن خلال هذه الظاهرة يمكن الاستدلال علىٰ أن العرب لم يكونوا جهلة في الحساب، وإنما كان في حياتهم استخدام الارقام الكبيرة مثل المئة الف والخمسين الفاً، وأن الأمية التي وصفوا بها إنما تعني أمية الحرف بشكل خاص(١).

ومن المقارنات العددية نتعرف علىٰ بعض اسرار الحياة العربية وكيفية تعاملها مع الأعداد ؛ فهم مثلاً يؤرخون بالليالي وليس بالأيام فنتعرف علىٰ أسباب ذلك،والعقد عند العرب سبعة وليس عشرة كما هو الحال في أيامنا، ومن الاستقراء والمتابعة نستنتج أن العدد يجوز أن يستعمل لبيان الكثرة وليس لخصوصية العدد(٢) ، وأن السياق هو الذي ينبيء عن المقصود.

وتشكل الأعداد عامل إثارة للقاريء ليتطلع من سياق الآية إلىٰ سر اختيار هذا العدد بعينه، وليحاول معرفة ما إذا كان هذا الاختيار توافقاً أم قصداً منطوياً علىٰ حكمة بالغة.

يضاف إلىٰ ما تقدم أن التأمل في هذه الظاهرة يتيح فرصة للقاريء للتعرف علىٰ أساليب البيان القرآني، وتصاريف القول، وفنون البلاغة. وهذه خدمة جليلة يقدمها القرآن الكريم لأبناء العربية من غير جهد كبير ولا عناء كثير.

****

(١) الرياضيات في القرآن الكريم، د.خليفة عبدالسميع خليفة، الطبعة الاولىٰ،ص٤٠.

(٢) حاشية الشيخ زاده علىٰ البيضاوي، محمد بن مصلح الدين القوجوي، مطبعة وقف الاخلاص، استانبول- تركيا، طبعة ١٩٩١ (٣/ ٥٥٥) وتفسير ابن جزي، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٧٩٠.

المبحث الرابع

التناسق العددي في القرآن الكريم

عند التأمل في الآيات القرآنية التي يذكر فيها العدد نلاحظ أن النص الكريم يراعي التسلسل والترتيب والتناسق، ويرشد إلى خواص يجهلها الكثيرون للأعداد. ففي قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ المائدة(٧٣) تعبير رياضي سليم[١] فالثالث دائماً هو (ثالث ثلاثة) كما أنّ الثاني(ثاني اثنين) والرابع(رابع اربعة) وهكذا. يقول تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يس(١٤). على أننا يجب أن نلاحظ أن الثالث يمكن أن يأتي بعد الأثنين كما في هذه الآية، ويمكن أن يكون ضمن الثلاثة كما في الآية السابقة.

وفي قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف(٢٢) نلاحظ أن بعد الثلاثة جاء الرابع في العد وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ المجادلة (٧) نلاحظ أنه بعد الخمسة جاء السادس في العد وهو المولى سبحانه.

وهكذا نلاحظ أن القرآن الكريم اشتمل في سوره وآياته المحكمات على الترتيب المنظم البديع، فالأعداد: واحد، أثنان، اربعة، يقابلها في العد والترتيب:الأول، الثاني، الثالث، الرابع وهكذا.

وقد راعى القرآن الكريم التسلسل المعروف بين الاعداد والذي يشكل نظام المتواليات العددية، فكل عدد يزيد عن السابق له(واحد) وينقص عن الذي يليه (واحد): قال تعالى : ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ النساء(٣).

حيث يتضح في هذه الآية الترتيب الرياضي البديع، فهو إذ يشير إلى الاثنين والثلاثة

(١) الرياضيات في القرآن الكريم، خليفة عبد السميع خليفة، مكتبة النهضة المصرية ص٥٠.

والاربعة يقدم خيار الزوجة الواحدة عند الخوف من عدم العدل. وهكذا فالواحد يسبق الاثنين والثلاثة والاربعة.

وفي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢) اشارة إلى أن الثلاثة يأتي بعدها الرابع وأن الخمسة يأتي بعدها السادس، وأن السبعة يأتي بعدها الثامن. ونلاحظ كيف استخدم النص الكريم طريقة المتواليات العددية التي يكون مجموع أي حدّين فيها متساويين في الترتيب من البداية والنهاية ثابتاً، وذلك على النحو التالي:

٣،٤،٥،٦،٧،٨ نلاحظ في هذه المتوالية أنّ(٣+٨) =٤(+٧) =(٥+٦)=(١١) وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ المزمل(٢٠) نلاحظ أن المولى سبحانه رتب الكسور تنازلياً حسب قيمتها $\frac{٢}{٣}$ ، $\frac{١}{٢}$ ، $\frac{١}{٣}$ أي أن كل كسر أصغر من الذي قبله، وأكبر من الذي يليه وهذه الكسور تشكل متوالية عددية اساسها $\frac{١}{٦}$

ونلاحظ في الآية أيضاً استخدام الوسط العددي فأنت ترى أن النصف هو الوسط العددي للكسرين المذكورين في الآية وهما الثلثان والثلث. فالوسط العددي لأي عددين يساوي مجموعهما مقسوماً على اثنين.

وفي آيات المواريث يتحدث القرآن الكريم عن ميراث الزوج من الزوجة إن لم يكن لها ولد فيعطيه النصف، وإن كان لها ولد فيعطيه الربع، ثم ينتقل ليبين نصيب الزوجة من زوجها إن لم يكن له ولد فيعطيها الربع، وإن كان له ولد فيعطيها الثمن. وإذا تتبعنا هذه الحصص(النصف، الربع، الثمن) نلاحظ فيها التناسق الذي نقصده، فهي مرتبة تنازلياً بنسقٍ بديع، فكل حصة نصف الحصة التي قبلها، تأمل معي قوله الحق سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا

تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍۗ﴾ النساء (١٢) تلاحظ التناسق في الانتقال من حصة إلىٰ أخرىٰ.

****

الفصل الثالث

لطائف العدد في القرآن الكريم

ويتضمن اثنى عشر مبحثاً

- المبحث الأول: لطائف العدد (واحد).
- المبحث الثاني: لطائف العدد(اثنان).
- المبحث الثالث:لطائف العدد(ثلاثة).
- المبحث الرابع: لطائف العدد(اربعة).
- المبحث الخامس: لطائف العدد(سبعة).
- المبحث السادس: واو الثمانية.
- المبحث السابع:لطائف العدد(تسعة عشر).
- المبحث الثامن: لطائف العدد المعدول عن أصله.
- المبحث التاسع: لطائف جمع القلة والكثرة.
- المبحث العاشر:لطائف العمليات الحسابية.
- المبحث الحادي عشر: لطائف (مثل) و(أمثال).
- المبحث الثاني عشر: لطائف المحسنات البديعية.

المبحث الأول

لطائف العدد(واحد)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى (قل هو الله أحد) الاخلاص(١)

١. الصلة الاشتقاقية بين (واحد) و(أحد).
٢. معاني (أحد).
٣. إيثار (أحد) على (واحد).
٤. ترتيب الاحدية على الالهية.

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: " والهكم اله واحد، لا اله الا هو الرحمن الرحيم" البقرة(١٦٣).

١. وصف المفرد بالواحدية.
٢. الفرق بين (واحد) و(أحد).

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى : " لا نفرق بين أحد من رسله" البقرة (٢٨٥)

- دخول (بين)على (أحد)

المطلب الرابع

استعمالات (أحد) و(واحد) في القرآن الكريم

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص (١)

(١) الصلة الاشتقاقية بين (واحد) و(أحد)

الواحد كالأحد همزته مبدلة من واو[(١)]. وهما وصفان مصوغان بالتصريف لمادة متحدة، وهي مادة الوحدة التي تعني التفرد[(٢)].

و(أحد) اسم بمعنى (واحد)، وأصل همزته واو، فيقال (وَحَد) كما يقال (أحد) و قلبت واوه همزة على خلاف القياس لأنها مفتوحة، ويعد هذا النوع من الإعلال قليلاً في العربية، ومنه (أكد) من (وَكَّد)، و(أَرَّخ) من (وَرَّخ)[(٣)].

قال ابن سيدة[(٤)]: " الأحد أصله الوَحَد بمعنى الواحد أبدلت الواو بالهمزة لأن الواو مكروهة أولاً فقلبت إلى حرف مناسب لها"[(٥)]. حيث اجتمع أول الحروف مع أول المخارج.

---

(١) لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت، ٣٠/ ٤٤٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهرين عاشور، الدار التونسية للنشر تونس، طبعة ١٩٨٤م،(٣٠/ ٦١٣).

(٣) العدد، دارسة لغوية مقارنة، د. اسماعيل احمد عمايرة،طبعة جامعة الامام محمد بن سعود، ص.

(٤) ابن سيدة: ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده ولد سنة ٣٩٨ في مدينة مرسيه شرق الأندلس وتوفي سنة٤٥٨هـ له مؤلفات كثيرة منها المخصص، شرح مشكل ابيات المتنبي، كتاب المذكر والمؤنث وغيرها، من شيوخه صاعد البغدادي وا بو عثمان النحوي وابو عمر الطلمنكي وله تلاميذ كثيرون ومنهم ابو محمد البطليوسي وابو عبد الله الشوذني) سير اعلام النبلاء١٣/ ١٤٤).

(٥) المخصص، ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي الاندلسي المعروف بأبن سيده، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت(١٧/ ١٥٢).

وقيل إن أصل(أحد) (واحد) فأبدلوا من الواو همزة، فحذفت واحد تخفيفاً، فهو (واحد) في الأصل(١).

وذكر الشهاب(٢)، أن الاشتقاق يحتاج إلى مناسبة بين اللفظ والمعنى، ولا يكفي أحدهما، فإذا كان المقصود به الإنسان فهو الذي لا يستعمل الا في النفي وهمزته أصلية، وإن قصد به العدد، ونصف الاثنين فهو الصالح للإثبات والنفي، وألفه مقلوبة عن واو(٣).

وسئل ابو العباس احمد بن يحيى(٤) عن الآحاد: هل هي جمع أحد ؟ فقال: معاذ الله، ليس للأحد جمع. وإن جعلت جمع الواحد فهو محتمل مثل شاهد وأشهاد(٥) والواحد يثنى(٦)، قال ابن الاعرابي(٧):

---

(١) مشكل اعراب القرآن، ابو محمد مكي بن أبي طالب، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤، (٢/ ٨٥٢).

(٢) الشهاب: هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، ولد سنة ٩٧٩، وكان أبوه من خير علماء عصره درس النحو على خاله ابن شهاب الدين الشنواني، وتتلمذ على يد شيخ الإسلام الرملي، شرح درة الغواص للحريري، وله نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض أربعة أجزاء، رحل مع والديه إلى الحرمين الشريفين، ثم إلى القسطنطينية، وتتلمذ على يده الكثيرون توفي رحمه الله سنة ١٠٦٩ هـ(معجم المؤلفين-عمر رضا كحالة(١/ ٢٨٦).

(٣) حاشية الشهاب(المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت(٧/ ١٧٠).

(٤) ابو العباس احمد بن يحيى(ثعلب): ولد سنة ٢٠٠هـ وعني بالنحو اكثر من غيره، ثم اكب على المعاني والغريب والشعر، له كتاب(اختلاف النحويين) وكتاب(معاني القرآن)، ومعاني الشعر، وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة ٢٩١هـ(تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٦).

(٥) لسان العرب(٣/ ٤٨٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥،(٨/ ٥٨٥).

(٦) لسان العرب،(٣/ ٤٤٦).

(٧) ابن الأعرابي: هو أبو سعيد مولى فائد وفائد مولى عمر بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويعرف بين الشعراء بأبن ابي سنة كان شاعراً مجيداً ومغنياً، وناسكاً بعد ذلك، فاضلاً مقبول الشهادة، عُمر إلى خلافة

فلما التقينا واحدين علوته بذي الكف، إني للكماة ضروب

ويجمع بالواو والنون، قال الكميت[١]:

فضمّ قواصيَ الأحياء منهم وقد رجعوا كحي واحدينا

وقال ثعلب: ليس للواحد تثنية[٢]. نقول رجل وَحَد ووَحِد بفتح الحاء وكسرها، و(حيد) منفرد، وفلان أوحد زمانه، والجمع أحدان، و أصله وُحدان. وجاءوا موحد، وأحاد أحاد، ووحاد وحاد أي فرادئ. كل ذلك غير مصروف للعدل و الصفة[٣].

(٢) معاني (أحد)

(أحد) لها معنيان:

(أولهما): معنئ يلازم النفي والنهي والاستفهام[٤] ويراد به العموم كما في:

- قوله تعالئ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاقة (٤٧).

الرشيد. وله قصائد جياد في مراثي بن أمية، (كتاب الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسن الاصبهاني، مصور عن طبعة دار الكتب، مصر ،(٤/ ٣٣)(شخصيات كتاب الاغاني، داود سلوم ود. نوري القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢، ص٣٥٢.

(١) الكميت: هو الكميت بن زيد الاسدي الكوفي، مقدم شعراء زمانه، قيل إن شعره بلغ خمسة آلاف بيت، ولد سنة ٦٠هـ وتوفي سنة ١٢٦، وفد علئ يزيد بن عبد الملك، وعلئ أخيه هشام، قال ابو عكرمة الضبّي: لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان، دعا له علي بن ابي طالب بالبركة، فكان يذكر دعاءه ويقول: مازلت أعرف بركة دعائه (سير اعلام النبلاء٥/ ٣٨٨).

(٢) لسان العرب٣/ ٤٤٨.

(٣) سيأتي الكلام بشيء من التفصيل عن العدد المعدول وأسباب منعه من الصرف، انظر ص من هذه الرسالة.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي، بيروت، دار احياء التراث العربي،(٣/ ٢٧١) ودراسات نحوية في القرآن، العدد- المجرورات ، د. احمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر الاسكندرية الطبعة الثالثة، ص١٧.

- وقوله : ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ سورة الجن(١٨).
- وقوله: ﴿هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ سورة مريم(٩٨).

وهذا النوع يستعمل لاستغراق الجنس، ويتناول القليل والكثير على طريقة الاجتماع أو الافتراق نحو: ما في الدار أحد، أي لا واحد، ولا اثنان فصاعداً، لا مجتمعين ولا منفردين[(١)]. ولهذا لم يصح استعماله في الاثبات لأن نفي المتضادين يصح، ولا يصح اثباتهما. فلو قيل: في الدار أحد، لكان فيه اثبات واحد منفرد، مع اثبات ما فوق الواحد مجتمعين أو متفرقين، وهذا ظاهر الاحالة، والهمزة في هذا النوع أصلية[(٢)].

(ثانيهما): معنى يستعمل في الاثبات

ومن مزايا هذه النوع

١. إنه يضم إلى العشرات. كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ سورة يوسف(٤) وقولهم (أحد وعشرون).
٢. يستعمل مضافاً أو مضافاً إليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗا﴾ يوسف (٤١) وكقولهم: (يوم الأحد) .
٣. يستعمل (مطلقاً) في الوصف؛أي إنه غير مضاف وغير مضموم إلى العشرات، وهو مختص في وصف المولى سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص(١).
٤. هذا النوع همزته مبدلة عن واو، لا كهمزة ما يلازم النفي ويراد به

---

(١) المصدر السابق(٣٠/ ٢٧٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية- بيروت(٢/ ٩١).

(٢) تفسير أبي السعود(ارشاد العقل السليم)،ابو السعود بن محمد العمادي، دار الفكر(٥/ ٩١٢).

العموم. قال مكي[١]: " أصل أحد وحد فأبدل من الواو همزة، وهو قليل في الواو المفتوحة"[٢].

ويبدو أن استعمال هذا النوع في الاثبات غير مسلم عند بعض أئمة التفسير، فقد قال الشيخ الجمل[٣] في حاشيته على الجلالين(الفتوحات الالهية):

" فإن قلت كيف ذكر(أحد) في الاثبات مع أن المشهور أنه يستعمل بعد النفي. كما أن الواحد لا يستعمل الا في الاثبات. يقال: في الدار واحد، وما في الدار أحد؟

الجواب: قال ابن عباس رضي الله عنهما:" إنه لا فرق بينهما في المعنى". واختاره ابو عبيدة[٤]. ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ الكهف(١٩)، ولا يختص أحدهما بمحل دون الآخر. وإن اشتهر أحدهما في النفي، والأخر في الاثبات، ويجوز أن يكون العدول على المشهور هنا رعاية للفاصلة"[٥].

---

(١) مكي: هو ابو محمد مكي بن أبي طالب:،ولد سنة ٣٥٥هـ في القيروان ونشأ بها وسافر إلى مصر، أدى الحج أربع مرات متوالية، والف كتاب مشكل اعراب القرآن في بيت المقدس، تولى مهمة الخطابة في المسجد الجامع في قرطبة، وهو من أنصار مذهب الامام مالك، تتلمذ على يد مشايخ مصر ومكة والقيروان وقرطبة، توفي سنة ٤٣٧ هـ ودفن في قرطبة رحمه الله(معجم الادباء، ياقوت الحموي، تحقيق د.احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى٩٣، (٦/ ٢٧١٢).

(٢) مشكل اعراب القرآن(٢/ ٨٥٢).

(٣) الشيخ الجمل: هو سليمان بن عمر العجيلي الشافعي المشهور بالجمل توفي سنة ١٢٠٤هـ له حاشية على تفسير الجلالين في أربعة مجلدات وهي أوسع الحواشي على الجلالين، (الفتوحات الألهية- المقدمة).

(٤) أبو عبيدة(معمر بن المثنى): من اعلم الناس باللغة وأنساب العرب، ولد في رجب سنة ١١٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٨هـ، له كتب كثيرة منها غريب القرآن، ومجاز القرآن وهو أول من صنف في غريب الحديث.أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام والسجستاني وغيرهم.(معجم الادباء ٦/ ٢٧٠٤)تذكرة الحفاظ١/ ٣٧١).

(٥) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(٤/ ٦٠٤).

ويمكن رد هذا الرأي بما يلي:

١. إن ما ذكروه من دليل في قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم﴾ سورة الكهف(١٩) لا ينهض، حيث نرىٰ أن كلمة (أحد) هنا مضافة. وقد سبق القول إن (أحد) التي اختصت بوصف المولىٰ سبحانه ولا يستعمل الا في الاثبات هي المقطوعة عن الاضافة، وغير المضومة إلىٰ غيرها.

٢. أما القول: إن العدول عن المشهور في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص(١) يجوز أن يكون لرعاية الفاصلة فهو يشي من طرف خفي بأن معاني القرآن منقادة لالفاظه. وهذا أمر لا يمكن قبوله.

٣. يلمح من هذا الرأي تجاهل الفرق الكبير في المعنىٰ بين (أحد) و(واحد) رغم ما بينهما من اشتراك. وستظهر هذه الدراسة، إضافة إلىٰ ما ذكر قبلاً، ستظهر بعض الفوارق التي ذكرها أهل اللغة، بما لا يدع مجالاً للشك أن كلمة (أحد) في موضعها مختارة ومنتقاة علىٰ الطريقة القرآنية، حيث لا تستطيع أية كلمة أخرىٰ أن تقوم مقامها.

(٣) إيثار(أحد) على (واحد)

سبق القول إن (أحَد) اسم بمعنىٰ (واحد)، وهذا الأسم صفة مشبهة مثل (حَسَن) وصيغة الصفة المشبهة تفيد تمكن الوصف في موصوفها بأنه ذاتي له، فلذلك أوثر (أحد) هنا علىٰ (واحد) لأن (واحد) اسم فاعل لا يفيد التمكن، وإن كان كل من (أحد) و(واحد) وصفين مصوغين بالتصريف لمادة واحدة وهي مادة الوحدة بمعنىٰ التفرد(١).

ولمزيد من التوضيح أقول إن اسم الفاعل يفيد الحدوث والتجدد، فقولك مثلاً: مررت بضارب عمراً، يفيد حدوث الضرب وتجدده. أما الصفة المشبهة في

(١) تفسير التحرير والتنوير (٣٠/ ٦١٣).

مثل قولنا: " مررت برجل حسن الوجه" فهي تفيد أن الحُسن ثابت لوجه الرجل وليس بحادث متجدد(١).

فلما أريد في صدر البعثة اثبات الوحدة الكاملة للمولى سبحانه وتعالى، تعليماً للناس كلهم، وابطالاً لعقيدة الشرك وُصِفَ سبحانه بـ (أحد) ولم يوصف بواحد) لأن الصفة المشبهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدانية الله إلى عقول أهل اللسان العربي المبين(٢). قال الشيخ البقاعي(٣) رحمه الله: " وعبر به - أي بـ(أحد) دون (واحد)لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون شيء أشد منه"(٤).

(٤) ترتيب الأحدية على الألهية

نلاحظ في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الاخلاص(١) ترتيب الأحدية على الالهية دون العكس،لأن الالهية تعني استغناءه عن كل شيء واحتياج كل شيء إليه سبحانه. وكل ما كان كذلك كان واحداً مطلقاً. وإلا كان محتاجاً إلى أجزائه. فالالهية من حيث هي تقتضي الوحدة(٥)، إذا لا يمكن أن يكون الاله الا واحداً. أما الوحدة فلا تقتضي الالهية فليس كل واحد إلهاً. ومن هنا جاء الخبر في النص الكريم منكراً بدون أل التعريف، لأن المقصد الاخبار عن الله تعالى بأنه واحد، لا بأنه لا واحد سواه، فإن الوحدة تكون لكل واحد(٦).

---

(١) قطر الندى وبل الصداء، ا بو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، مطبعة السعادة،ص٢٧٩.

(٢) التحرير والتنوير(٣٠/ ٦١٤).

(٣) البقاعي: هو برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥هـ صاحب كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، اشتغل في تأليف الكتاب بالقاهرة(انظر بصائر ذوي التمييز٥/ ١٦٩).

(٤) نظم الدرر (٨/ ٥٨٠).

(٥) نظم الدرر(٨/ ٥٨٤).

(٦) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، جمال الدين محمد بن سعيد، تخريج وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتاب العربية،(٧/ ٦٢٩٦).

قال الرئيس ابو علي ابن سيناء(١):

" وتقدم قولـه تعالى(الله) على (أحـد) لأن الالوهيـة مقتضية للأحديـة فكأنها علة لها"(٢).

****

(١) ابـن سـينا: هو الشـيخ الرئيس ابو علي الحسـين بـن عبد الله بن سـينا البخاري،ولد سـنة ٣٧٠هـ وتوفي بهمذان سـنة ٤٢٨هـ كان فيلسـوفاً قاضياً، وكان أبوه من أعلى بلخ، انتقل الى بخارى، واشتغل في العلوم حيث أتقن علم القرآن، والأدب، وأتقن المنطق، ورغب في الطب فأتقنه، ومن مؤلفاته القانون في الطب، وكتـاب الشـفاء في الحكمة والنجاة والاشـارات(العلوم عند العرب والمسـلمين/ قـدري حافظ طوقان ص١٦٤) و(تذكر الحفاظ٣/ ١٠٨٦).

(٢) مخطوطة تفسـير سـورة الاخلاص لابن سـينا، مودعة في مركز الوثائق والمخطوطـات في مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط١٦٢، مصور من جامعة برنسـتون، رقم ٢٩٠٥ مجموعة جاريت، عدد الورق(٨) والمحـرر الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز، أبو محمـد عبد الحق بن عطية الغرناطـي، تحقيق وتعليق احمد صادق الملاح، طبعة القاهرة٩٧٩، (٥/ ٥٣٦).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الانعام(١٩).

١. وصف المفرد بالواحدية

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة يوصف بها الاسم المفرد بالواحدية، علماً بأن الاسم المفرد واضح الدلالة على ذلك من غير ذكر العدد. ومن هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: **﴿قل إنما هو اله واحد﴾** الانعام(١٩) وقوله سبحانه: **﴿إنما هو اله واحد فإياي فارهبون﴾** النحل(٥١) فما هي النكتة في ذلك؟!

بالتأمل نجد أن كلمة (اله) في قوله تعالى (انما هو اله) تحمل معنى الجنسية، ومعنى العدد أعني الواحدية. والغرض المسوق له الكلام اثبات الواحد من الإله لا اثبات جنسه[(١)]، فوصف(اله) بواحد جاء ايضاحاً لهذا الغرض، وتفسيراً له ، فإنه قد يراد بالواحد الجنس، وقد اندفع بذلك توهم أن المراد إثبات الالهية دون الواحدية[(٢)].

قال الإمام الزمخشري[(٣)]: " ألا ترى أنك لو قلت " إنما الله إله " ولم تؤكده بواحد لم يحسن؟ وخيل اليك أنك تثبت الالهية لا الوحدانية[(٤)].

---

(١) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسيم، دار احياء الكتب العربية،(١٧/).

(٢) التفسير الكبير (١٦/ ١٧٨).

(٣) الزمخشري: هو ابوالقاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي ولد سنة ٤٦٧هـ وهو صاحب القدم في الأدب والنحو واللغة والتفسير، وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب.توفي سنة ٥٣٨هـ ليلة عرفة رحمه الله (التفسير والمفسرون١/ ٤٢٩) تذكرة الحفاظ(٤/ ١٢٨٣) معجم الادباء(٢٦٨٨).

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل، جادالله محمود الزمخشري، دار المعرفة، بيروت(٢/ ٤١٢).

وقد عدّ الشيخ محيي الدين الدرويش[(١)] هذا من روائع البلاغة التي تنقطع دونها، الاعناق، واكد على أنه لا يجمع بين المعدود والعدد الا فيما وراء الواحد والاثنين، لأن الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية يدل على أمرين: الجنسية، وعلى العدد المخصوص، فلا بد أن يشفع بما يؤكد المراد منه[(٢)].

وأشير هنا إلى لطيفة هامة في مثل قوله المولى سبحانه: " والهكم اله واحد" البقرة(١٦٣) هي" أن الإخبار عن (الهكم) بـ(اله) إنما جاء ليجري عليه الوصف بواحد. والمقصود الهكم واحد، لكنه وسط لفظ (اله) بين المبتدأ والخبر لتقرير معنى الالوهية في المخبر عنه، وليجيء ما كان أصله خبراً مجيء النعت فيفيد أنه وصف ثابت للموصوف لأنه صار نعتاً. إذ أصل النعت أن يكون وصفاً ثابتاً، وأصل الخبر أن يكون وصفاً حادثاً"[(٣)].

والتنكير في (الـه) للنوعية، لأن المقصود منه تقرير الألوهية وليس للإفراد، لأن الإفراد استفيد من قوله(واحد) وهذا بخلاف ما قرره الإمام السكاكي[(٤)] في المفتاح في قوله تعالى: " إنما هو إله واحد" الانعام(١٩) إذا جعل التنكير في (اله) للافراد، وجعل تفسيره بالواحد بياناً للوحدة.

وقد انتقد ابن عاشور[(٥)] ذلك بقوله " إن المصير إلى الافراد في القصد من التنكير مصير لا يختاره البليغ ما وجد عنه مندوحة".

---

(١) محي الدين الدرويش: عالم سوري معاصر من حمص، له(أعراب القرآن) في عشرة مجلدات.

(٢) اعراب القرآن وبيانه(٥/ ٣١٢).

(٣) التحرير والتنوير(٢/ ٧٤).

(٤) السكاكي: هو أبو يوسف يعقوب بن أبي بكر السكاكي، ولد سنة ٥٤٤هـ امام في العربية والمعاني من أفاضل علماء عصره الذي سارت بذكرهم الركبان توفي سنة ٦٢٦هـ رحمه الله (معجم الأدباء (٦/ ٢٨٤٦).

(٥) ابن عاشور:هو محمد الطاهر بن عاشور من العلماء المعاصرين، تونسي ، له تفسير من عشر مجلدات، قال إنه أتم تأليفه في تسع وثلاثين سنة وستة أشهر.

وذكر الشيخ الزركشي[١] أنه لو قال (والهكم واحد) بحذف (إله)" لكان ظاهره إخباراً عن كونه واحداً في الهيته، يعني لا اله غيره، ولم يكن إخباراً عن توحده في ذاته، بخلاف ما إذا كرر ذكر الاله.

والآية إنما سيقت لاثبات أحديته في ذاته، ونفى ما يقوله النصارى، إنه إله واحد وأقانيم ثلاثة أي أصول. كما أن زيداً واحداً واعضاؤه متعدد، فلما قال: اله واحد دل على أحدية الذات والصفات"[٢].

٢. الفرق بين (واحد) و(أحد)

الحديث عن الفرق بين هتين الكلمتين لا يعني أنه لا اشتراك بينهما في المعنى، فقد ورد في المصباح[٣] أن(أحد) يكون مرادفاً لـ (واحد) في موضعين سماعاً، (أولهما) في وصف اسم الباري سبحانه فيقال الواحد الأحد،[٤] لاختصاصه تعالى بالأحدية، فلا يشركه فيها غيره، ولهذا لا ينعت به غير الله تعالى، فلا يقال رجل أحد، ولا درهم أحد ونحو ذلك.

و(ثانيهما) في اسماء العدد للغلبة وكثرة الاستعمال، فيقال أحد وعشرون، وواحد وعشرون، وفي غير هذين الموضعين يفرق بينهما في الاستعمال.

---

(١) الزركشي: هو بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، من علماء مصر في القرن الثامن ولد بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ/ حفظ كتاب المنهاج للإمام النووي، وتتلمذ على يد أبن كثير في دمشق وكان محمود الخصال،عذب الشمائل، توفي سنة ٩٤هـ (معجم المؤلفين ٩/ ١٢١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، الطبعة الثانية، عيسى البابي الحلبي (٢/ ٤٤١).

(٣) المصباح هو كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، مؤلفه الشيخ أحمد بن محمد الفيومي.

(٤) يرى الإمام الخطابي- رحمه الله- أن الأحدية لتفرد الذات والواحدية لنفي المشاركة في الصفات وأنه لما لم ينفك في شأنه تعالى احد الأمرين من الآخر قيل: الواحد الأحد، في حكم اسم واحد. انظر روح المعاني ٣٠/ ٢٧٢.

ومن الفروق التي تحدث عنها العلماء أن(أحد) يستوي فيها المذكر والمؤنث. قال تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء﴾ الاحزاب (٣٧) وقال ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ مريم(٩٨)، حيث نرى أن التاء لـم تلحقها في حال التأنيث، بخلاف (واحد)، فلا يقال كواحد من النساء) بل يقال : (كواحدة من النساء)(١).

ومنها أن في (أحد) خصوصية ليست في (واحد) نقول(ليس في الدار أحد)، فيجوز أن يكون من الدواب والطير والوحش والأنس، فيعم الناس وغيرهم. بخلاف(ليس في الدار واحد) فإنه مخصوص بالآدميين(٢).

ومنها أن (أحد) من النعوت السلبية الخاصة به سبحانه فهو أحد في نفسه لا يقبل العدد ولا التركيب ولا القسمة. لا شريك لـه، ولا ند لـه، ولا مثيل ولا ثاني ولا جزء له، أما(واحد) فإنه من الاسماء الثبوتية الاضافية للمولى سبحانه يدل على أنه تبارك وتعالى واحد في ذاته فلا انقسام له. وواحد في هيئته فلا نظير له ، وفي ملكه فلا شريك له(٣).

ومن الفروق أن(أحد) ممتنعة من الدخول في شيء من الحساب والعد والضرب والقسمة وغيرها، في حين نرى أن كلمة (واحد) تطلق ويراد بها ما يتركب منه العدد، فإن الاثنين لا معنى لها الا واحد مكرر، وكذلك الثلاثة والاربعة وتطلق ويراد بها ما يحصل منه العدد أي هي علة العدد وغير داخلة فيه. فالعدد هنا لا يتركب منها. وقد تلازم الواحدية

(١) الفتوحات الربانية على الاذكار النواوية، محمد بن علان الصديقي الشافعي، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان،(٣/ ٢١٥) ونظم الدرر(٨/ ٢١٥) ونظم الدرر(٨/ ٥٨٤) ومعترك الاقران في اعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي بجاوي، دار الفكر العربي، (١/ ٥٧٤).

(٢) نظم الدرر(٨/ ٥٨٤) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، حمص، سوريا، طبعة ١٩٨٨، (٥/ ٥٧٦).

(٣) نظم الدرر(٨/ ٥٨٤) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، حمص، سوريا، طبعة ١٩٨٨، (٥/ ٥٧٦).

جميع الأعداد كما يرى الإمام الشهرستاني[١]. لا على أن العدد يتركب منها، بل لأن كل موجود في جنسه أو نوعه أو شخصه واحد. يقال: إنسان واحد وشخص واحد وفي العدد كذلك، فإن الثلاثة (في إنها ثلاثة)[٢] واحد. فالواحدانية بالمعنى الأول داخله في العدد، وفي المعنى الثاني علة العدد[٣]، فهو داخل به بدليل أننا نجعل له ثانياً وثالثاً، وأنه هو الأصل الذي يبنى عليه العدد.

ونشير هنا إلى أن الواحد من العدد في الحساب[٤]، وأن العدد موضوع الحساب لانفس الحساب[٥]، وأنه (أي العدد) هو مقدار ما يعد[٦]. وفي ضوء ذلك قرر بعض العلماء[٧] أن (واحد) غير داخل في العدد بهذا الاعتبار. ولقد يكون هذا الذي قصده الشهاب الخفاجي[٨] عندما قال: " أما الواحد فليس بعدد كما تقرر في الحساب لأنهم عرّفوه بما ساوى نصف مجموع حاشيتيه، وليس له حاشيتان"[٩].

(١) الشهرستاني: هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد ابو الفتح الشافعي المتكلم والمؤلف المشهور، ولد سنة ٤٧٩ هـ في شهرستان، ولما بلغ الثلاثين من عمره شد الرحال إلى مكة، لاداء فريضة الحج، وبعد ذلك غادرها إلى بغداد، فأقام فيها ثلاثة أعوام القى خلالها دروساً ومحاضرات استفاد منها العلماء،ويعتبر كتاب الملل والنحل دائرة معارف مختصرة للمذاهب والفرق والأديان، متهم في عقيدته. توفي سنة ٥٤٩هـ (سير اعلام النبلاء ٢٠/ ٨٦/ ٢)

(٢) الملل والنحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني،تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ج١ ،ص٣٥ وما بعدها.

(٣) نظم الدرر: (٨/ ٥٨٤).

(٤) المصدر السابق.

(٥) تيسير التفسير، محمد بن يوسف طفيش، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان، (٧/ ١٣٦).

(٦) لسان العرب(٣/ ٢٨٢).

(٧) من هؤلاء العلماء الامام السيوطي رحمه الله، انظر معترك الاقتران(١/ ٥٧٥).

(٨) الشهاب الخفاجي: سبقت ترجمته ص.

(٩) حاشية الشهاب(٩/ ١٢٠).

وذكر الامام الفيروزأبادي[١] أن العدد هو الكمية المتألفة من الوحدات فيختص بالمتعدد في ذاته، وعلى هذا قالوا: فالواحد ليس بعدد لأنه غير متعدد إذ التعدد الكثرة[٢].

ومن الفروق أن الأحد يستوعب جنسه، والواحد لا يستوعب فإنك لو قلت: فلان لا يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر. فصار الأحد أبلغ من الواحد، حيث الواحد يدخل في الأحد، والأحد لا يدخل في الواحد.وهكذا نرى أن (أحد) أكمل وأعم في دلالتها على الوحدانية من (واحد)؛ فإننا لو قلنا: " فلان لا يقاومه واحد، جاز لنا أن نقول: بل اثنان "وهذا في (أحد) غير جائز[٣].

ثم إن (أحد) في النفي نص في العموم بخلاف (واحد) فإنه يحتمل العموم وغيره فيقال: ما في الدار أحد، ولا يقال بل اثنان، ويجوز أن يقال : ما في الدار واحد بل اثنان[٤].

ومنها أن الأحدية لا تحتمل الجزئية ولا العددية بحال والواحدية تحتملها، فنقول مثلاً: مئة واحدة، وألف واحد ولا يقال: مئة أحد ، ولا ألف أحد[٥].

---

(١) الفيروزابادي: هو مجد الدين محمد بن يعقوب: ولد في كارزين من بلاد فارس سنة ٧٢٩هـ حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، انتقل الى شيراز طلباً للعلم، ومنها الى العراق، حيث تلقى العلم عن اكابر علمائها. وطاف في بلاد الشام، واستقر حيناً من الدهر في بيت المقدس، رحل إلى القاهرة والتقى علماءها أمثال ابن عقيل والاسنوي وابن هشام، وكانت له حظوة عند الملوك والسلاطين، كان شافعي المذهب، تولى القضاء في اليمن سنة ٧٩٧هـ، وتوفي سنة ٨١٧هـ متمتعاً بسمعه وبصره. (طبقات المفسرين٢/ ٢٧٥).

(٢) تاج العروس، الامام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي الفيروزأبادي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى(٢/ ٤١٦).

(٣) التفسير الكبير ومفاتح الغيب، فخر الدين بن عمر الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة،(١٦/ ١٧٨) مشكل أعراب القرآن(٢/ ٨٥٣) نظم الدرر٨/ ٥٨٤ معترك الاقران(١/ ٥٧٤).

(٤) روح المعاني(٣٠،٢٧٢).

(٥) المصدر السابق.

وفي هذا يرىٰ الإمام محمد بن الحسن الشياني[(١)] أن من قال لنسائه الأربع: والله لا أقرب واحدة منكن، فإنه يصير مؤلياً منهن جميعاً، ولو قال: والله لا أقرب احداكن لم يصر مؤلياً الا من واحدة، والبيانُ اليه. فكلمة(إحداكن) لا تقبل التعدد، فلا يقع اليمين الا الىٰ علىٰ واحدة. ولكن كلمة (واحدة منكن) تصدق علىٰ الجميع.

ومن الفروق أن (أحد) ضده الآخر[(٢)]، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْـَٔاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ يوسف(٤١)، وقال سبحانه ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ﴾ المائدة (٢٧) وضد (واحد) اثنان، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ النحل(٥١) حيث يظهر هنا أن الاثنينية ضد الواحدية.

هذا وقد أشار الشيخ محمد متولي شعراوي[(٣)] حفظه الله تعالىٰ إلىٰ معنىٰ طريف لهذا التفريق حيث يشير إلىٰ إمكانية أن يكون الشيء واحداً وهو مع ذلك مكون من أجزاء، فالكل محتاج إلىٰ اجزائه، وكل جزء محتاج إلىٰ أن تنضم اليه بقية الأجزاء فيظهر الاحتياج في الاسم. وهكذا فإن كلمة (واحد) تثبت الواحدية لكنها لا تنفي التركيب.أما كلمة (أحد) فإنها تثبت الاله(الواحد) وأنه غير مركب من أجزاء.

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني: ولد سنة ١٣٢ هـ في واسط ، وادرك الامام ابا حنيفة فأخذ عنه، وأتم تفقه علىٰ يد الأمام ابي يوسف، واتصل بمالك والازرعي والنووي وأثنىٰ عليه، ولي القضاء لهارون الرشيد، ولمع نجمه فأصبح مرجعاً للفقه الحنفي، توفي رحمه الله سنة ١٨٩ هـ في الري هو والكسائي في يوم واحد(تهذيب الاسماء واللغات١/ ٨٠) (الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٣/ ١٢٢).

(٢) هذا إذا لم يكن (أحد) بمعنىٰ الأول، علىٰ طريقة العرب عندما كانت تسمىٰ يوم الأحد الأول (معترك الاقران١/ ٥٧٤).

(٣) الشيخ محمد متولي الشعراوي: داعية اسلامي معاصر، ولد سنة ١٩١١م في ميت غمر محافظة الدقهلية، حصل علىٰ درجة الدكتوراه عام١٩٤٣، درس بجامعة الملك عبد العزيز في مكة المكرمة، وعين وزيراً للأوقاف بجمهورية مصر سنة ١٩٧٦. وعين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠ ولا يزال يرفد الدعوة الاسلامية بدروسه ومحاضراته التي تنتشر علىٰ مدىٰ واسع في العالم الإسلامي. انتقل الىٰ رحمة الله تعالىٰ يوم الاربعاء ١٧/ ٦/ ١٩٩٨ بعد طبع هذه الرسالة.

ولتوضيح ذلك استعان الشيخ الشعراوي بما هو مقرر عند المناطقة في توضيح معنى الكل والكلي والجزء والجزئي حيث إن الكل يطلق على كثيرين متفقين في الحقيقة مثل كلمة انسان فإنها تطلق على من يحمل اسم زيد وعمرو ومحمد وخالد.هؤلاء حقيقتهم متفقة بمعنى أن الحقيقة الموجودة في زيد هي نفسها الحقيقة الموجودة في عمرو.ويمكن معرفة ذلك بأن نجعل أحدهما موضوعاً والآخر محمولاً: فإذا قلت: زيد إنسان فالقضية صحيحة، وإذا قلت عمرو إنسان صحيحة: إذن فالكل يطلق على أفراد، وهم متساوون في الحقيقة، وكل فرد يؤدي معنى الكل[(١)] .

(والكلي) يتفق مع (الكل) في أنه يطلق على كثيرين لكنهم مختلفون في الحقيقة، فكلمة الكرسي(كلي) لأنه يطلق على أشياء كثيرة هي الخشب والمسامير والجلد والطلاء وغير ذلك، وهذه الأشياء الكثيرة ليست متفقة، فلا يصح أن نقول الخشب كرسي، ولا المسامير كرسي، كما قلت: زيد إنسان.

ويخلص الشيخ إلى القول: "إذن كلمة (واحد) غير كلمة (أحد). (أحد) ليس كلياً وواحد ليس كلاً، وقد وقع البشر في ورطة المذاهب التي يقول بعضها أن الله هو الأب والروح؛ شيء واحد . قالوا : الله واحد لكنه مكون من أقانيم هي الأب والابن والروح،وهذه الثلاثة شيء واحد.. هو الله وهم من هذه الجهة قالوا: (واحد) نقول نعم واحد،ولكن ليس أحداً، لأنه مركب من ثلاثة"[(٢)] .

****

(١) عقيدة المسلم، محمد متولي شعراوي،دار القلم، بيروت ،ص٥٨.

(٢) المرجع السابق ص٥٩.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة (٢٨٥)

دخول "بين" على "أحد"

المعروف أن لفظ (أحد) مفرد فيكف أضيف إليه (بين) في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ البقرة(١٣٦) وقوله : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ البقرة (٢٨٥) وقوله: ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ النساء(١٥٢) مع أنه لا يضاف الا إلى متعدد، فلا يجوز مثلاً أن تسكت على قولك: بين زيد".

في الاجابة على ذلك قال الشيخ زاده[١] في حاشيته على البيضاوي: (أحد في معنى الجمع)[٢]، وقال ابن المنير[٣] في شرحه على الكشاف:"فيه دليل على أن النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً، حتى يتنزل المفرد فيها منزله الجمع في تناوله الآحاد

(١) الشيخ زاده: هو محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، المعروف بشيخ زاده المدرس الرومي توفي سنة ٩٥١هـ وله من الكتب حاشية انوار التنزيل للبيضاوي، وشرح مفتاح العلوم للسكاكي، وشرح الوقاية في مسائل الهداية.(تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥) (٩/ ٣٥٩).

(٢) حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصلح الدين، طبعة وقف الاخلاص، سنة ١٩٩١(١/ ٥٩٨).

(٣) ابن المنير: هو أحمد بن محمد بن منصور بن المنير المالكي ولد سنة ٦٢٠هـ كان اماماً بارعاً في الفقة، والعربية وعلوم البلاغة والتفسير و القراءات، كان علامة الاسكندرية وفاضلها، أشاد به العز بن عبد السلام، فقال الديار المصرية تفتخر برجلين بين طرفيها، ابن دقيق بقوص، وابن المنير بالاسكندرية.ولي القضاء والخطابة، وله تصانيف جليلة، منها البحر الكبير في نخب التفسير،والانتصاف من الكشاف، وتوفي (٦٨٣) رحمه الله (طبقات المفسرين١/ ٨٩).

مطابقة" . ثم قال : " وإنما لزم فيها العموم من حيث أن سلب الماهية يستوجب سلب الأفراد، لما بين الاعم والأخص من التلازم في جانب النفي. إذ سلب الأعم أخص من سلب الأخص فيستلزمه"(١) ومعنى هذا أن نفي النكرة يلغي وجوده أصلًا، فلا يوجد منه فرد واحد، ولا يوجد منه أفراد من باب أولى، وهكذا سَلَب النفيُ الأعمَّ والأخصَّ.

ويقول العلامة التفتازاني(٢): "إن (أحد) في معنى الجماعة بحسب الوضع، لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب، يستوي فيه الذكر والمؤنث، والمفرد والمجموع" (٣).

قال الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ الحاقة(٤٧) فحاجزين صفة لأحد، لأن معناه الجمع(٤). حيث يظهر في الحديث أن (أحد) قُصد بها الجمع.

ويرى الأمام الرازي(٥)، أن (أحد) لا يجوز أن تكون ههنا في معنى الجمع، لأن التقدير عندئذ يصير: لا نفرق بين جميع رسله. وهذا لا ينا في كونهم مفرقين بين بعض

(١) الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (حاشية على الكشاف١/ ٣١٥).

(٢) التفتازاني: هو سعد الدين بن عمر ولد بتفتازان في خراسان قرب نيسابور، دخل جرجانية سنة ٧٤٢هـ شرح العقائد النفسية سنة ٧٦٨هـ ثم ذهب إلى سمرقند بدعوة من أميرها، حيث الف كتاب المقاصد عام٧٨٤هـ ثم غادرها إلى سرخس وتولى التدريس فيها. وفي عام٧٨٩هـ بدأ في كتابة حاشيته على الكشاف فأتمها في العام نفسه، من شيوخه الايجي والقزويني، والرازي والقوصي وغيرهم، له مؤلفات كثيرة في التفسير والفقه والأصول والنحو والبلاغة والمنطق توفي سنة٧٩١هـ (شرح المقاصد – للتفتازاني).

(٣) شرح المقاصد، سع دالدين التفتازاني، تحقيق وتعليق عبد الرحمن عميرة، مكتبة الكليات الازهرية(.../ ..) روح المعاني(١/ ٣٨٦).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبداله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان،(٣/ ٤٢٧).

(٥) الرازي: محمد بن عمر بن الحسين الطبري الاصل الرازي المولد، فقيه الشافعي، ولد سنة ٥٤٤هـ وتوفي سنة٦٠٦هـ اشتغل في الفقه والاصول وهو متكلم وفيلسوف وطبيب، ومفسر، عزيز العلم، واسع الثقافة متميز الاسلوب(مقدمة تفسيره المسمى التفسير الكبير ومفاتح الغيب) البداية والنهاية١٣/ ٦٠) (طبقات المفسرين٢٠/ ٢١٩).

الرسـل . والمقصود بالنفي هو هذا، لأن اليهود والنصارىٰ ما كانوا يفرقون بين كل الرسـل. بل بين بعضهم وهو محمد صلىٰ الله عليه وسـلم، فثبت(والقول للإمام الرازي) أن التأويل الذي ذكروه باطل. بل معنـىٰ الآية: لا نفرق بين أحد من الرسـل وبين غيره فـي النبوة. فإذا فسرنا بهذا حصل المقصود من الكلام والله أعلم.

ويـرىٰ الشـيخ الحريـري[1]- رحمـه اللـه - ان لفظه(بيـن) تقتضـي الاشـتراك، فـلا تدخل إلا علىٰ مثنىٰ أو مجموع، كقولـك: المال بينهما، الدار بين الاخـوة. أما قوله تعالىٰ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ النسـاء(١٤٣)، فـإن لفظـة (ذلـك) تـؤدي عـن شـيئين ، وتنـوب عن لفظتين، وإن كانت مفردة، وكأن تقدير الكلام في الآية: مذبذبين بين الفريقين. وقد كشـف لمولىٰ سـبحانه هذا التأويل بقوله: ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ النسـاء(١٤٣). قال الشـيخ الحريري:" ونظيرة لفظة- لا نفرق بين أحد من رسـله- لأن (أحد) تسـتغرق الجنس الواقع علىٰ المثنىٰ والجمـع وليسـت بمعنىٰ(واحـد)[2]، بدليل قوله تعالـىٰ: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الاحزاب(٣٢).

****

(١) الحريـري: هو ابو محمد القاسـم بن علي محمد الحريري، ولد سـنة ٤٤٦هـ كان غايـة في الذكاء والفطنة، تتلمـذ في بغداد علىٰ يد الشـيخ ابي اسـحق الشـيرازي، ونبـغ في مختلف الفنون، لا سـيما النحو، كان كثير الرحلات والتجوال، وكان تقياً وافر الحظ من التدين. (مقدمة درة الغواص)(تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٥٧).

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص، القاسم بن علي بن محمد الحريري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة دار نهضة مصر، ص٨٠ وانظر شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري المصري، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة العاشرة ص١٩٣.

المطلب الرابع

استعمالات (أحد) و(واحد) في القرآن الكريم

ذكرت كلمة (أحد) في القرآن الكريم خمساً وثمانين مرة[١]، وقد جاء ذكرها مفردة، ومضافة إلى ضمير المثنى والجمع المذكر والمؤنث. وأشار صاحب البصائر[٢] إلى أن كلمة (أحد) وردت في النص الكريم على عشرة أوجه[٣]:

١. بمعنى سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم[٤]، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ آل عمران (١٥٣) وقوله ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ الحشر(١١) يعنون بذلك النبي محمداً صلى الله عليه وسلم.

٢. بمعنى بلال بن رباح[٥] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ (١٩) الليل أي لبلال.

---

(١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، ص١٦،١٥.

(٢) هو الشيخ الفيروزأبادي صاحب كتاب بصائر ذوي التميز في معرفة لطائف الكتاب العزيز، وقد سبقت ترجمته ص٧٣.

(٣) بصائر ذوي التمييز في معرفة لطائف الكتاب العزيز، مجلد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العملية، بيروت،(٢/ ٩٢).

(٤) يؤيد هذا المعنى ما جاء في تفسير القرطبي حكاية عن الكلبي(٤/ ٢٤٠).

(٥) بلال بن رباح: هو أول من أذن للرسول صلى الله عليه وسلم، أمه حمامة، اشتراه ابو بكر وأعتقه، كان يعذب في الله، شهداً بدراً والمشاهد كلها. كان شديد الأدمة، نحيفاً، طوالاً، كثيف الشعر، خفيف العارضين، توفي بدمشق سنة عشرين للهجرة، عن بضع وستين سنة. المعارف/ ابن قتيبة الدينوري ص٧٧) و(سير أعلام النبلاء ١/ ٣٤٧).

٣. بمعنى يلميخا أحد فتية الكهف(١)، في قوله تعالى: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ الكهف(١٩).

٤. بمعنى زيد بن الحارثة(٢) مولى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ الاحزاب(٤٠).

٥. بمعنى فرد من الخلق من أهل الأرض والسماء من الملك والأنس والجن والشيطان، في قوله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ الكهف(١١٠).

٦. بمعنى دقيانوس(٣) في قوله تعالى: ﴿ولا يشعرن بكم أحداً﴾ الكهف(١٩).

٧. بمعنى إبليس(٤): ﴿ولن نشرك بربنا أحداً﴾ الجن(٢).

٨. بمعنى ساقي مالك بن الريان(٥) في قوله تعالى: ﴿قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ يوسف(٣٦).

---

(١) وهذا موافق لما جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزابادي دار الكتب العلمية- بيروت- ص٢٤٤.

(٢) زيد بن حارثة: أمه سعدى بنت ثعلبه، اشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما حضر أهله إلى النبي عليه السلام قال: اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه. وزجه النبي عليه السلام زينب بنت جحش، شهد بدراً واحداً والخندق، والحديبية وخيبر، استشهد في مؤته سنة ثمان(سير أعلام النبلاء١/ ٢٢٠) (صفة الصفوة/ بن الجوزي١/ ٣٧٨)

(٣) دقيانوس: هو الملك الكافر الذي خرج من عنده الفتية الذين أووا إلى الكهف.

(٤) وافق هذا الوجه ما جاء في تنوير المقباس من تفسير ابن عباس من أن معنى (أحداً) هنا ابليس (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس- ص٤٨٨. أما بقية التفاسير فأطلقت(أحداً) على عمومها، ففد سبق بيان أنها في النفي دالة على العموم.

(٥) مالك بن الريان: هو الملك الذي كان على حكم مصر أيام محنة سيدنا يوسف عليه السلام، وهو الذي طلب أن يؤتى له به لكي يتخذه مستشاراً له دون أي شريك.

لم أجد في التفاسير ما يؤيد قصر المعنى على الصنم أو الوثن إلا ما جاء في تنوير المقباس ص٤٧. ويبدو أن الشيخ أبا طاهر الفيروزابادي تأثر بهذا التفسير اثناء جمعه له، ومال لهذا المعنى دون غيره.

٩. بمعنىٰ الصنم، والوثن في قوله تعالىٰ:﴿ولا اشرك بربي أحداً﴾ الكهف(٣٨).وقوله ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ الجن(٢٢).

١٠. بمعنىٰ الحق الواحد الصمد سبحانه(١) في قوله تعالىٰ:﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ البلد(٥) وقوله ﴿قل هو الله أحد﴾ الاخلاص(١).

أما كلمة (واحد) فقد ذكرت في القرآن الكريم ثمانياً وستين مرة(٢) بصيغة المذكر والمؤنث وغيرها من مشتقات الكلمة..

قال الشيخ الفيروزابادي(٣):

الواحد لفظ مشترك يستعمل علىٰ ستة أوجه(٤):

١. ما كان واحداً في الجنس أو في النوع كقولنا: الإنسان والفرس واحد في الجنس، وزيد وعمر واحد في النوع.

٢. ما كان واحداً بالاتصال إما من حيث الخلقة، كقولك: شخص واحد، وإما من حيث الصناعة كقولك: حرفة واحدة.

٣. ما كان واحداً لعدم نظيره، إما في الخلقة كقولك: الشمس واحدة، وإما في دعوىٰ الفضيلة، كقولك فلان واحد دهره وكقولك : نسيج وحده(٥).

٤. ما كان واحداً لامتناع التجزي فيه، إما لصغره كالهباء، وإما لصلابته كالالماس.

---

(١) وهذا ايضاً هو قول ابن كثير في تفسيره، تفسير القرآن العظيم، عماد الدين اسماعيل، بن كثير دار الاندلس،بيروت(٢٩٤٧) والقرطبي(٢٠/ ٦٤).

(٢) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص٧٤٥.

(٣) انظر الترجمة ص.

(٤) بصائر ذوي التمييز (٥/ ١٧٠).

(٥) أي ليس له شبيه في رأيه وجميع أموره، والعرب تنصب وحدة في الكلام كله، لا ترفعه، ولاتخفضه الا في ثلاثة احرف: نسيج وحده، وعُيير وحده، وجحيش وحده،(لسان العرب٣/ ٤٥١).

٥. للمبدأ،إما لمبدأ العدد، كقولـك: واحد، اثنان وإما لمبدأ الخـط، كقولك: النقطة الواحدة.

وأكثر ما استعملت كلمة(واحد) في كتاب الله لوصف المولى سبحانه[١] تأكيداً على صفة الفردانية ونفي التجزي والتكثر.

****

(١) استعملت هذه الكلمة ثمانياً وعشرين مرة لوصف المولى سبحانه في القرآن الكريم (المعجم المفهرس ص٧٤٥).

المبحث الثاني

لطائف العدد (اثنان)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

- لطائف قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ النحل(٥١).
- وقوله تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ الرعد(٣).
- وقوله تعالى :﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هود(٤٠).
- سر وصف المثنى بالاثنينية

المطلب الثاني

- لطائف قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾التوبة(٤٠).

المطلب الثالث

- استعمالات (إثنان) في القرآن الكريم

****

المطلب الأول

- لطائف قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ النحل(٥١).
- وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ الرعد(٣).
- وقوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هود(٤٠).

- سر وصف المثنى بالاثنينية

من المعلوم أن الاسم المفرد والمثنى يدلان على العدد بلفظيهما ولا يحتاجان إلى التمييز وذلك لوجود لفظة واحدة تجمع العدد والمعدود؛ فكلمة رجل مثلاً تدلناعلى أنه واحد، وكلمة رجلان تدلنا على أنهما اثنان، من غير حاجة إلى ذكر العدد، وإذا كان الأمر كذلك فما هو السر إذن في وصف المثنى الاثنينية في عدد من الآيات القرآنية؟!

فمثلاً في قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ النحل(٥١) نلاحظ أن كلمة (الهين) مثنى وقد وصفت بقوله تعالى(اثنين) رغم أن المثنى واضح الدلالة على الاثنينية من غير وصف، وفي بيان سر ذلك نقول ما سبق قوله قبل قليل عند بيان سر وصف المفرد بالواحدية فقوله تعالى(الهين) لفظ واحد يدل على أمرين:

١. ثبوت الإله.

٢. ثبوت التعدد.

فإن قيل : لا تتخذوا إلهين، لم يعرف من هذا اللفظ أن الهين وقع عن اثبات الاله أواثبات التعدد، أو اثباتهما معاً، فلما قال: اثنين ثبت أن قوله: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ نهي عن التعدد فقط.

قال ابن الخباز[١] : " إن فائدة وصف المثنى بالاثنينية توكيد النهي عن الاشراك بالله، وذلك أن العبرة في النهي عن اتخاذ الهين انما هو لمحض كونهما اثنين فقط.

ولو وصف(الهين) بغير ذلك من الصفات كقوله: " لا تتخذوا إلهين عاجزين" مثلاً لأشعر بأن القادرين يجوز أن يتخذا، فمعنى التثنية شامل لجميع الصفات، فسبحان من دقت حكمته في كل شيء"[٢].

وسأل مروان بن سعيد المهلبي[٣] أبا الحسن الاخفش[٤] عن الفائدة من تفسير الضمير في قوله تعالى: " فإن كانتا اثنتين " النساء(١٧٦).

فأجاب: أفاد العدد مجرداً عن الصفة: فقد كان يجوز أن يقال : فإن كانتا صغيرتين فلهما كذا، أو كبيرتين فلهما كذا أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات. فلما قيل اثنتين أفهم أن فرض الثلثين للأختين تعلق بمجرد كونهما اثنتين على أية صفة، وهي فائدة لا تحصل من ضمير المثنى[٥].

---

(١) ابن الخباز: هو ابو عبد الله احمد بن الحسين الضرير النحوي الموصلي المعروف بالشمس بن الخباز، اشتغل بعلوم العربية، وكان شافعي المذهب كثير النوادر والملح، وله أشعار جيدة، وكانت وفاته عاشر رجب سنة تسع وثلاثين وستمائة، وله من العمر خمسون سنة رحمه الله.

(٢) البرهان في علوم القرآن(٢/ ٤٢٢).

(٣) مروان بن سعيد المهلبي: هو ابن المهلب بن أبي صفرة، من غلمان الخليل، ومن الحذاق بالنحو وكان شاعراً، وله مع ابن عمه عبد الله بن أبي عيينه مهاجاة، ونقائض(درة الغواص ص١٥٥).

(٤) الاخفش: هو ابو الحسن سعيد بن مسعدة البصري، اخذ النحو عن سبيويه، صنف كتباً كثيرة منها معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك. وسمي الأخفش لصغر عينيه وضعف بصره، وكان أيضاً أدلغ (وهو الذي لا يضم شفتيه على أسنانه) ويقال له الاخفش الاوسط نظراً لوجود من لقب بالأخفش الصغير، ومن لقب بالأخفش الكبير (البداية والنهاية(١٠/ ٣٠٦).

(٥) البرهان في علوم القرآن(٢/ ٤٣٢) درة الغواص من أوهام الخواص، القاسم بن علي محمد الحرير، شرح الشهاب الخفاجي، تحقيق وتعليق عبد الحفيظ فرغلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الطبعة الاولى ص١٥٦. وأولى من ذلك أن يقال الضمير في ذلك عائد على الكلالة، والكلالة يكون واحداً واثنين وجماعة، فإذا

قال الشيخ السنفي[(١)] (رحمه الله)" فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا: عندي رجال ثلاثة: لأن المعدود عار عن الدلالة عن العدد الخاص. فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد،فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد، ورجلان اثنان.

قُلتُ : الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية، والعدد المخصوص.

فإذا أريدت الدلالة على أن المعنيّ به هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى أنك لو قلت: إنما هو اله ولم تؤكده بواحد، لم يحسن، وخيل أنك تثبت الالهية لا الوحدانية"[(٢)].

ولو قيل (لا تتخذو الهين) فقط لصح في موضوعه أن يكون نهياً عن اتخاذ جنسين آلهة، ولجاز أن يتخذ من نوع واحد اعداد الهة، لأنه يطلق عليهم أنهم واحد وقد جيء بهذه اللفظة للإيضاح والتفسير، لا للتأكيد وإن حصل.

وتقرير ذلك أن (الهين) تحمل معنى الجنسية ومعنى العدد، وقد خصصت كلمة (اثنين) المعنى المراد، ففهم أن المنهي عنه هو اتخاذ اثنين من الالهة على أية صفة كانت.

أخبر باثنين حصلت به فائدة. ثم لما كان الضمير الذي في (كانت) العائد على الكلالة هو في المعنى اثنين صحت تثنيته، فإذن تثنيته فرع عن الإخبار باثنتين إذ لولاه لم يصح لأنه لم تستفد التثنية الا من قولك اثنين" (الامالي النحوية لابن الحاجب١/ ٢٠).

(١) النسفي: ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي الحنفي، احد الزهاد المتأخرين والأئمة المعتبرين، كأن أماماً كاملاً عديم النظير في زمانه، له تصانيف في الفقه والأصول منها: متن الوافي، كنز الدقائق، المنار، العمدة في أصول الدين، توفي سنة احدى وسبعمائة للهجرة في ايذج بناحية كردستان(الجواهر المضية في طبقات الحنفية٢/ ٢٩٤).

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي) ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، دار الفكر، (٢/ ٢٨٨) الكشاف (٢/ ٤١٣).

وقد يراد بالمثنى الجنس لا العدد، كما في قول الشاعر:

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها الكلام[٣]

فهو لا يقصد بكلمة (العودين) إلى بيان عدد العيدان التي تشعل بها النار، ولكنه يقصد بيان جنس ما تشعل به النار، وهو العودان المعروفان في زمانهم.

وقال صاحب تيسير التفسير[٤]: " إن (اثنين) نعت لـ(الهين) مفعول به أول و(الهين) مفعول به ثان" وقال : إن ذكر (اثنين) إيماء إلى أن الاثنينية تنافي الألوهية واستدرك قائلاً إن ما ذكره في بيان سبب الاتيان بهما لا ينافي كونهما توكيدين لفظيين في اصطلاح النحو[٥].

جاء في (الروض الريان) حول بيان سبب وصف المثنى بالاثنينية أن الجواب من وجوه:

١. هو على التقديم والتأخير أي لا تتخذوا اثنين الهين.

٢. إن الشيء إذا كان قبيحاً مستنكراً، وقصد التنفير منه ذكر بعبارات كثيرة، ليصير توالي تلك العبارات سبباً لوقوف العقل على ما فيه من القبح.

٣. لفظ(الهين) يدل على ثبوت الإله، وثبوت التعدد..فلما قال (اثنين) ظهر أن

---

(٣) يقصد الشاعر بالعودين ما يقطع من شجرتي المرخ والعفار لضربهما ببعضهما واشعال النار.

(٤) تيسير التفسير، محمد بن يوسف طفيش، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطة عمان، ٧/ ٥. والشيخ محمد بن يوسف طفيش الوهبي، عالم مغربي، عاش في القرن الماضي، إباضي المذهب من وادي ميزاب بصحراء الجزائر، له من المؤلفات ما يربو على ثلاثمائة مؤلف، في النحو والصرف والبلاغة والعروض والفرائض وغيرها، توفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة والف عن ست وتسعين سنة، له تفسير هميان الزاد الى دار المعاد، عرف بالزهد والورع، وا شتغل بالتدريس وهو شاب لم يتجاوز ست عشرة سنة.

(٥) وقد يوصف المفرد لبيان أن القصد إلى الجنس دون العدد، كما في قوله تعالى: " وما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحه الا أمم أمثالكم" الأنعام(٣٨)(الشيخ زاده علي البيضاوي٣/ ١٨٢).

المقصد هو النهي عن اثبات التعدد"[١] والالهية له سبحانه مسلّمة في نفسها، وانما خلاف المشركين في الوحداية.

وهنا يسعنا أن نسأل عن الحكمة من تقديم (الهين) على (اثنين) في الآية الكريمة، حيث يمكن أن يقال في الاجابة على ذلك"إن اتخاذ اثنين يقع على ما يجوز وما لا يجوز. فالهين أخص، فكان جعله صفة أولى"[٢] وعلى هذا التخريج فإن (الهين) صفة مقدمة لـ(اثنين).

وفي قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد(٣).

نلاحظ أن المولى سبحانه وصف الزوجين بـ(اثنين) و(زوجين) مثنى فما هي الحكمة من وصف المثنى هنا؟!

للإجابة على هذا السؤال لا بد من تحرير معنى الزوج والزوجين أولاً. فالزوج في كلام العرب هو الفرد المزاوج لصاحبه، أما الاثنان المصطحبان فيقال لهما زوجان[٣].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ النجم(٤٥) وقال سبحانه: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ القيامة(٣٩) فالواحد قد يقال له زوج بدليل قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ

(١) الروض الريان في اسئلة القرآن،شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان، تحقيق عبدالحليم نصار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى(١/ ٩٥)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين محمد بن الحسن القمي النيسابوري، تحقيق ابراهيم عطوه، الطبعة الأولى(١٤/ ٧٦) مفتاح العلوم ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ضبط وشرح الاستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ص١٩٠.

(٢) البرهان في علوم القرآن(٣/ ٢٨٣).

(٣) درة الغواص، القاسم بن علي بن محمد الحرير، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة نهضة مصر، ص٢٥٣.

أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ الانعام(١٤٣،١٤٤) والزوجان عبارة عن شيئين يكون أحدهما ذكراً والآخر انثى(١).

وفي الآية الكريمة وصف بـ(اثنين) لئلا يفهم أن المراد بذلك الشفعان، إذ يطلق الزوج على المجموع، فالمراد هنا اثبات الاثنينية الحقيقية، وهي هنا الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر. وهذه الاثنينية اعتبارية، أي أنه سبحانه جعل من كل نوع من أنواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين إما في اللون كالابيض والاسود أو في الطعم كالحلو والحامض أو في القدر كالصغير والكبير أو في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك(٢).

وجاء في تفسير الثعالبي(٣) أن الزوج في هذه الآية الصنف والنوع، وليس بالزوج المعروف في المتلازمين الفردين من الحيوان وغيره، ومنه قوله سبحانه ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس(٣٦).

ومنه قوله سبحانه: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ ق(٧) ولما كانت كلمة (زوجين) تقع على الذكر والانثى وغيرهما أراد أن يبين أن المراد ههنا لونين أو ضربين دون الذكورة والانوثة، وهذه الفائدة لا تأتي من قوله(زوجين) فلا تكرار فيه بحال(٤).

أما الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ هود(٤٠).

فالمراد بـ(زوجين) هنا الذكر والانثى من النوع، كما يدل عليه إضافة (كل) إلى

---

(١) شيخ زاده علي البيضاوي(٣/ ٤٤).

(٢) روح المعاني(١٣/ ١٠٠).

(٣) تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، منشورات مؤسسة الايهمي- بيروت(٢/ ٢٦٤).

(٤) تفسير التبيان: شيخ الطائفة الطوسي، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي(/).

(زوجين) أي أحمل فيها من أزواج جميع الأنواع. وهو بيان لئلا يتوهم أن يحمل من كل زوجين واحداً منهما؛ لأن الزوج هو الواحد من اثنين متصلين، ولئلا يحمل أكثر من اثنين من كل نوع[(١)].

وقراءة حفص[(٢)]: (من كلٍ) بتنوين(كل) أي من كل شيء زوجين ويطلق الزوج على الاثنين إذا استعمل مقابلاً للفرد. والمعنى: قُلنا يا نوح احمل في السفينة من كل زوجين مما في الأرض من الحيوانات اثنين: ذكر وأنثى[(٣)].

وعندما قصد القرآن الكريم إلى بيان الجنس لا العدد ذكر كلمة (زوجين) دون أن يتبعها بـ(اثنين) فقال تعالى مثلاً: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الذرايات (٤٩) فالمقصود هنا بيان أن المولى سبحانه خلق من كل شيء ذكراً وانثى ليكون أصل ما ينبني عليهما وينبثق عنهما من أفراد. ولو قال(ومن كل شيء خلقنا اثنين) لم يفد ذلك.

****

---

(١) تفسير الطبري، تحقيق بشار عواد، وعصام جرستاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، (٤/ ٢٧٨). نظم الدرر(٣/ ٥٣٠).

(٢) حفص: هوبن سليمان بن المغيرة الاسدي الفاضري يعرف بحفيص البزاز ربيب عاصم وصاحبه، ولد سنة (٩٠) للهجرة وتوفي سنة (١٨٠) وهو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر (٢/ ٤٩٨) وتحت عنوان (باب ما جمعه وواحده سواء) قال ابن قتيبة في (أدب الكاتب) والزوج يكون واحداً ويكون اثنين. قال جل ثناؤه: "من كل زوجين اثنين" هو(٤٠) وهو هاهنا واحد. والمعنى احمل من كل ذكر وانثى اثنين (أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٦، ص٦١٧.

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ التوبة(٤٠)

» " ثاني اثنين"

تفيد هذه الصيغة أنه عليه السلام كان أحد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانياً. فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة، ورابع اربعة ونحو ذلك أحد هذه الاعداد مطلقاً، لا الثالث والرابع خاصة.

وإذا حضر اثنان فكل واحد منهما يكون ثانياً في ذينك الاثنين للآخر. ولهذا منع الجمهور أن ينصب ما بعده بأن يقال ثالثُ ثلاثةً، ورابع اربعة. وانما ينصبه إذا كان ما بعده دونه بالمترية كما في قول: عاشرٌ تسعةً، وتاسع ثمانية[١] وعلى ذلك يصح اعتبار كل من النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثانياً.

ومعلوم أن العدد الترتيبي(وهو ما جاء على صيغة فاعل) له اربعة استعمالات- كما سنبين فيما بعد- أحدها أن يضاف إلى ما هو مشتق منه ليفيد أن الموصوف به هو بعض تلك العدة المعينة.

وبهذا يتضح أن ما قاله بعضهم من أن (ثاني اثنين) تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ثانيهما لمشي الصديق أمامه ودخوله الغار لكنسه وتسوية البساط تمحل مستغنى عنه[٢]، وهو إنما يصح في حال اضافة العدد الترتيبي إلى ما هو دونه كما في

---

(١) تفسير ابي السعود(٢/ ٧٤،٤٠٨) التفسير الكبير ومفاتح الغيب، محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري، دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت (١٦/ ٦٥).

(٢) تفسير ابي السعود(٢/ ٤٠٨).

قولنا ثالث اثنين، حيث يفيد أنه جاعل الاثنين بنفسه ثلاثة. وقد صح في الخبر عن عمر بن الخطاب(١) - رضي الله عنه- أنه قال: " وإن ابا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاني اثنين، فإنّه أولى الناس بأموركم"(٢) قال ابن حجر(٣) عطف على الصحبة ما انفرد به ابو بكر(رضي الله عنه) وكونه ثاني اثنين، وهي أعظم فضائله التي استحق أن يكون بها الخليفة من بعد النبي عليه الصلاة والسلام(٤).

يقول الإمام القرطبي(٥) رحمه الله في تفسيره: " ثاني اثنين: أي أحد اثنين، وهو منصوب على الحال، أي أخرجوه منفرداً من جميع الناس، ا لا من أبي بكر، والعامل فيها (نصره الله). أي نصره منفرداً، ونصره أحد اثنين(٦).

ولما جاز اعتبار ابي بكر- رضي الله عنه- ثانياً، فقد أكد العلماء أنه كان ثاني النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر المناصب الدينية.

حيث كان ثاني اثنين في الدعوة إلى الله تعالى فأسلم على يده طلحة(٧)

---

(١) هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن عدي بن لؤي بن كعب بن غالب القرشي العدوي ابو حفص، أمير المؤمنين وخليفة الرسول عليه الصلاة والسلام(رياض الصالحين، الامام النووي،دار المأمورة للتراث، دمشق الطبعة الثالثة،ص٤).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان كتاب الاحكام(٥١)(١٣/ ٢٠٦)..

(٣) ابن حجر(رحمه الله) انظر ترجمته ص٤٨.

(٤) فتح الباري(١٣/ ٢٠٩).

(٥) القرطبي: هو الامام ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري الاندلسي القرطبي كان من العبُاد الصالحين، والعلماء الزاهدين، له عدة كتب نافعة أهمها تفسيره المسمى(الجامع لأحكام القرآن) توفي سنة٦٧١هـ رحمه الله.(طبقات المفسرين(٢/ ٦٩).

(٦) الجامع لاحكام القرآن (٨/ ١٤٣) مشكل اعراب القرآن(١/ ٣٢٩).

(٧) طلحة: هو أبن عبيد الله بن عثمان ويقال له طلحة الخير، ومن المهاجرين الاولين، واحد العشرة المبشرين بالجنة، ثبت مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد ووقاه من ضربة قصد بها إليه فشلت يده، له عشرة من البنين توفي وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبصرة رضي الله تعالى عنه (المعارف/ ابن قتيبة ص١٠٠) (سير اعلام النبلاء١/ ٢٣).

والزبيـر[١] وعثمـان[٢] رضي اللـه تعالىٰ عنهـم أجمعين، وكان ثانـي اثنين فـي محله عليه السـلام لأنه كان في كل غزوة يلازم النبي صلىٰ الله عليه وسلم ويخدمه. وعند مرض النبي صلىٰ الله عليه وسـلم أم النـاس فكان ثانـي اثنين فـي الإمامه.ولما توفي عليه السـلام دفن بجنبه فكان ثاني اثنين هناك[٣].

****

(١) الزبـير: هـو الزبير بن العوام بن خويلد أمه صفية بنت عبد المطلب وهو حواري الرسـول صلىٰ الله عليه وسلم، واحـد العـشرة الذين سُـموا للجنة قتـل يوم الجمل عـن أربع وسـتين سـنة(المعارف/ ابن قتيبة ص٩٦) (سير اعلام النبلاء(١/ ٤١).

(٢) عثمان: هـو عثمان بـن عفان ثالث خلفاء الرسـول صلىٰ الله عليه وسـلم توفي والده بالشـام اثناء سـفره للتجـارة، وأم عثمان هـي أروىٰ بنت كريز بنت عمة النبي عليه السـلام، كان حسـن الوجه رقيق البشرة كثير اللحية، ا سـمر اللون، كثير شـعر الرأس، زوجه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ابنتيه رقية وام كلثوم، وهو من المهاجرين الأولين، بويع للخلافة وهو ابن تسـع وسـتين سنة، وقد توالت الفتوحات في عهده، وحج بالناس عشرة سـنين متوالية، قتل يوم الجمعة لثمان ليال خلت من ذوي الحجة سـنة خمس وثلاثين للهجرة الشريفة(المعارف ص١٨٤).

(٣) التفسير الكبير(١٦/ ٦٦).

المطلب الثالث

استعمالات (اثنان) في القرآن الكريم

ورد لفظ (اثنان) في القرآن الكريم بجميع صورة الاشتقاقية ستاً وعشرين مرة. وذكر الفيروزابادي[١] أنه استعمل في القرآن على عشرة أوجه[٢].

١. بمعنى الوارثات من البنات في قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ النساء(١١).

٢. بمعنى الكلالة من الاخوة والاخوات في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ النساء (١٧٦).

٣. بمعنى النعم من الحيوانات في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ الانعام (١٤٣).

٤. بمعنى النهي عن اعتقاد تثنية الهين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ النحل(٥١).

٥. بمعنى الجمع بين الرسول والصديق في الخلوات في قوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ التوبة (٤٠).

٦. في تقرير مشروعية الاحكام بشاهدين عدلين في قوله تعالى: ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ المائدة (١٠٦).

٧. في الإشارة إلى الأعين التي انفجرت من الحجر ساعة المعجزة، في قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة(٦٠).

---

(١) انظر ترجمته ص٧٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز(٢/ ٩٤).

٨. تفريق قوم موسى على عدة أسباط، في قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ الاعراف (١٦٠).

٩. بعث بني اسرائيل الذين ساروا نحو العمالقة في قوله تعالى : ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المائدة (١٢).

١٠. عدد أشهر العام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ التوبة(٣٦).

****

المبحث الثالث

لطائف العدد (ثلاثة)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ المجادلة(٧).

١. سبب عدم البدء بالاثنين.

٢. نكتة الانتقال من الثلاثة إلى الخمسة.

٣. لمَ لمْ يتجاوز الخمسة إلى غيرها؟

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ النجم(٢٠).

- سر وصف الثالثة بالأخرى

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ آل عمران(٤٠).

وقوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مريم (١٠)

- ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ

المطلب الاول

١- سبب عدم البدء بالاثنين:

المناجاة هي المسارة،[١] وأقل مراتبها اثنان، فالذي يناجي نفسه امرؤ واسع الخيال. والنصّ القرآني تجاوز الاثنين إلى الثلاثة إما رعاية للمناسبة التي نزلت فيها، بخصوص صفوان به أمية وختنيه[٢] ربيعة بن عمرو وحبيب بن عمرو كما ذكرهم عبد الله بن عباس[٣]. فلما كان هذا العدد هو المقصود بالآية ذكر مقدماً على العدد الأخير ليعلم أئمتهم به ؛ فإن المتكلم إذا كانت له عناية بشيء قدم ذكره في كلامه على غيره في مثل هذه المعاني. وإما لأن من العباد من كان كفره بسبب هذه اللفظة حيث ادعى أن الله ثالث ثلاثة، فلو كان النص الحكيم: " ما يكون من نجوى اثنين الا هو ثالثهم" لتمسك بها هؤلاء دليلاً على دعواهم. ولو قال: " ما يكون من نجوى واحد الا هو ثانية لتمسك بها من كفر" ، وقال :" إن الله هو ثاني اثنين، فعدل النص الكريم عن هتين اللفظتين، وذكرهما بالتلويح لا بالتصريح عندما قال سبحانه" ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم " فدخل تحته مالا يتناهى[٤].

٢- لماذا انتقل من الثلاثة إلى الخمسة؟!

نلاحظ في النص الكريم أنه انتقل من الثلاثة إلى الخمسة، وعدل عن الترتيب في الانتقال من الثلاثة إلى الاربعة، فأية لطيفة في ذلك؟!

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة ص٦٤٨.

(٢) الختن(بفتح التاء): زوج البنت، المرجع السابق، طبعة دار القلم،بيروت،ص١٦٩.

(٣) تنوير المقباس ص٤٠٢،ص٤٦٢.

(٤) البرهان في علوم القرآن(٤/ ١١٨).

قال الشيخ محيي الدين الدرويش :[(١)]" منع من ذلك أمران:

- اولهما: الخشية من مجيء النظم معيباً لثقله على السامع لبشاعة تكرار لفظ التربيع بغير حاجز يباعد أحد اللفظين عن الآخر. فإنه لو قيل : (الا رابعهم)(ولا اربعة) لثقل الكلام لمجاورة لفظتين فيهما اربعة احرف من حروف الحلق.
- ثانيهما: إنه لا يستقيم عند البلغاء تكرار المعاني والالفاظ من غير فائدة ولو انتقل إلى الاربعة لتكرر الحكم الذي جرى في الخمسة، فإن الخمسة أربعة وزيادة، وفي ذلك تخلص من ذكر الشفع إلى الوتر، وفيه من المزايا مالا يخفى"[(٢)] .

ونسبوا إلى الشيخ الكرخي[(٣)] قوله في الاجابة على السؤالين السابقين بخصوص نظم الآية الكريمة: " خصّ الثلاثة والخمسة بالذكر لأن قوماً من المنافقين تخلفوا للتناجي، وكانوا بعدّة العدد المذكور مغايظة للمؤمنين، فنزلت الآية بصفة حالهم، وتعريضاً بهم.

و لأن العدد المفرد أشرف من الزوج لأن الله تعالى وتر يحب الوتر، فخُص العددان المذكوران تنبيها على أنه لا بد من رعاية الأحول الألهية في جميع الأمور، ثم بعد ذكرهما زيد عليهما ما يعم غيرهما من المتناجين[(٤)] .

---

(١) انظر ترجمة ص٦٩.

(٢) اعراب القرآن الكريم وبيانه(١٠/ ١٦) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (٤/ ٣٠٢).

(٣) هو أبو الحسن عبيد الله بن الحسين بن د لال بن دلهم الكرخي، من كرخ. ومن تلاميذه الرازي والجصاص والشاشي، والتنوخي، كان من طبقة عالية من اصحاب ابي حنيفة. مجتهد في المذهب الحنفي من تأليفه شرح الجامع الكبير والصغير، دعي للقضاء فلم يقبله، ولد سنة ٢٦٠هـ توفي ٣٤٠ هـ رحمه الله (الجواهر المضية٢/ ٨٩٤).

(٤) اعراب القرآن وبيانه(١٠/ ١٦) وانظر الفتوحات الالهية(٤/ ٣٠٢).

وللشيخ الخازن[(١)] رحمه الله عبارة لطيفة في هذا الموضوع، حيث قال: " فإن قلت: لم خصّ الثلاثة والخمسة؟ قلت: لأن أقل ما يكفي للمشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض، فيكون الاثنان كالمتنازعين في النفي والاثبات، والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما، فحينئذ تُحمد المشاورة ويتم الغرض. وكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكماً بينهم مقبول القول.

وقيل: إن الفرد أشرف من الزوج، فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة"[(٢)].

٣- لِمَ لَمْ يتجاوز الخمسة؟!

فقد لاحظنا في النص الكريم أنه لم يتجاوز الخمسة، وفي هذا إشارة لطيفة إلى جميع رتب الإعداد،حيث اراد المولى سبحانه أن يعلمنا أن التنقل في البقية ككيفيته في الخمسة، فإعادته في عدد آخر إطالة لا فائدة فيها، وقد استغنى عنها بما قبلها[(٣)].

ويمكن من النص الاستنتاج أنه ما يكون من وتر الا كان الله سبحانه شافعاً وتريته وأما تريته سبحانه فقد كانت ولا شيء معها أصلاً، وستكون ولا حيّ معها فلا وتر في الوجود على الحقيقة غير سبحانه وتعالى[(٤)].

ولما علمنا بالتكرار أن الأعداد المذكورة إنما هي على سبيل المثال لا لخصوصية فيها، فقد عم بقوله تعالى: " ولا أدنى " ، فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير، وأخفى منه.

(١) الخازن: هو علاء الدين ابو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشافعي، كان خازناً على كتب خانقاه السميساطية بدمشق. وله تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل، وشرح عمدة الأحكام، ومقبول المنقول في عشرة مجلدات. واختصر تفسيره من معالم التنزيل للبغوي رحمه الله (طبقات المفسرين ١/ ٤٢٦).

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى١٩٦٦م، (٦/ ١٣٩).

(٣) اعراب القرآن وبيانه(١٠/ ١٦).

(٤) نظم الدرر(٧/ ٨٩).

ثم إنه لما كان العلم بالكثير أعسر بسبب انتشاره، قال" ولا اكثر" كالستة فما فوقها لا إلى نهاية " الا هو معهم" أي أنه يعلم ما يجري منهم وبينهم.

ويلزم من إحاطة علمه سبحانه إحاطة قدرته، لتكمل شهادته سبحانه على الجميع(١).

وقد أشار الشيخ نظام الدين القُمي النيسابوري(٢) إلى لطيفة خفية في النص الكريم تدل على كمال رحمة الله تعالى بالإنسان، وذلك أن الثلاثة إذا أخذ اثنان منهم في التناجي والمسارّة بقي الواحد ضائعاً وحيداً، فيضيق صدره، وكذا الخمسة فنفس الله تعالى عنهم ببشارة المعية.

وهذا التأويل لا يتأتى بالاثنين والاربعة فأهمل ذكرهما(٣).

وفي الآية الكريمة إطماع برحمة الله، وإيناس للبشر، واعلام لهم أن من انقطع عن الخلق لم يتركه الله ضائعاً.

****

---

(١) المرجع السابق ٧/ ٤٨٩.

(٢) هو نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني المعروف بالاعرج، من اهل نيسابور، ولد بها سنة ٦٥٤هـ وأقام في بلدة قُم وتوفي سنة ٧٢٨هـ. كان من أعلم أهل زمانه، مفسر ماهر، وفقيه محقق، ومحدث حافظ (التفسير والمفسرون١/ ٣٢١).

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق ابراهيم عطوة،مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة الأولى، (٢٨/ ١٦).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ النجم(٢٠)

» الثالثة الأخرى:

المعلوم أن هـذه أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ولما أراد النص القرآني التقليل من أهمية هذه الآلهة المزعومة، ذكرها بصيغة الذم التي توحي بها كلمة الأخرى، التي وصفت بها مناة.

وأخرى اسم ذم يدل على وضاعة السابقتين لأنها تستدعي المشاركة مع السابق، وكأنه قيل (الأخرى) في التأخر. والنكتة في النص على ذم مناة أن الكفار كانوا يزعمون أنها أعظم الثلاثة، فاكذبهم الله بذلك[(١)].

وأشار صاحب الكشاف[(٢)] إلى أن الأخرى هنا للذم، وأنها هي المتأخرة الوضيعة المقدار، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ الاعراف(٣٨) أي وضعاؤهم لرؤسائهم واشرافهم[(٣)].

وقال ابو منظور[(٤)]: " الآخر من التأخر[(٥)]، وفي التاج: (الآخر) بفتح الخاء أحد

(١) روح المعاني(٢٧/ ٥٦).

(٢) هو الشيخ الزمخشري رحمه الله- انظر ترجمته ص٦٨.

(٣) روح المعاني(٢٧/ ٥٦) تيسير التفسير(١٢/ ٥٤١).

(٤) ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، ولد سنة ٦٣٠هـ صاحب لسان العرب، اختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة كالاغاني والعقد والذخيرة، كان صد راً رئيساً في الأدب، توفي رحمه الله سنة ٧١١هـ (مقدمة لسان العرب).

(٥) لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت،(٤/ ١٤).

الشيئين، وهو اسـم على أفعل الا أن فيه معنى الصفة، لأن أفعـل من كذا لا يكـون الا في الصفة. والآخر بمعنى غيـر، كقولك رجل آخر وثوب آخر. وأصله أفعـل من ءَأخر أي تأخر فمعناه أشد تأخراً، ثم صار بمعنى المغاير"[١].

وقال الحسين بن الفضل[٢] : فيه تقديم وتأخير، والتقدير (أفرأيتم اللات والعزى الأخرى، ومناة الثالثة). وهـذا وجه لا نرجحـه ولا نميل إليـه لأنه يذهب بمحاسـن النظم الكريم التي سبق الحديث عنها قبل قليل.

وزعم بعضهم أن ذلك لموافقة رؤوس الآي[٣]، وهو كما ترى ، و(الثالثة الأخرى) نعتـان لمناة يفيـدان التأكيـد[٤]، والنعت إنما يكـون تأكيـداً إذا أفاد الموصـوف معنى ذلك الوصف. والعرب لـم تصف بلفظتي آخر وأخرى الا ما يتجانس مـع المذكـور قبله. فلم يصح قولهم مثلاً: ابتعت عبداً، وجاريةً أخرى، لأن الأمة ليست من جنس العبد[٥].

****

---

(١) تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي(٢/ ٩).

(٢) هـو الحسين بن الفضـل بن عمر البجلي الكـوفي ثم النيسـابوري، المفسر الأديب، أمـام عصره في معاني القرآن، أقام بنيسـابور،يعلم الناس ويفتيهم، كان من العلماء العابدين، وقبره هناك مشـهور يزار(طبقات المفسرين/ الداوودي١/ ١٥٩).

(٣) نسب الامام الشوكاني هذا القول إلى الخليل (فتح القدير٥/ ١٠٨).

(٤) روح المعاني(٢٧/ ٥٦) تيسير التفسير (١٢/ ٥٤١).

(٥) درة الغواص بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص١٦٤.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ آل عمران(٤٠).

وقوله تعالى : ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾ مريم (١٠)

» ثلاثة أيام وثلاث ليال

هاتان الآيتان تتحدثان عن موضوع واحد، وهو العلامة التي جعلها الله سبحانه لزكريا عليه السلام علىٰ تحقق حمل زوجته بيحيىٰ عليه السلام، لكن الآية الأولىٰ تحدثت عن منعه عن الكلام ثلاثة أيام، والثانية تحدثت عن منعه عنه ثلاث ليال. فما هي دلالة ذلك؟!

يرىٰ كثير من المفسرين أن ذلك يشير إلىٰ أن المنع من الكلام استمر به ثلاثة أيام بلياليهن، إذ أن ذكر الأيام يتناول ما بإزائها من الليالي. وكذلك ذكر الليالي يتناول ما بإزائها من الأيام عرفاً[(١)].

ويرىٰ الشهاب الخفاجي في حاشيته علىٰ البيضاوي أنَّ النكتة في الاكتفاء بالليالي في سورة مريم وبالأيام في سورة آل عمران أن سورة مريم مكية سابقة النزول، وآل عمران مدنية والليالي عندهم (أي عند العرب) سابقة علىٰ الأيام لأن شهورهم وسنيهم قمرية، إنما تعرف بالأهلة، ولذلك اعتبروها في التاريخ، كما ذكر النحاة، فأعطي السابق للسابق[(٢)].

---

(١) تفسير النسفي(٣/ ٣٠) الكشاف(٢/ ٥٠٤) ابن كثير (٤/ ٤٤١) وتفسير الرازي(٨/ ٤٤).

(٢) حاشية الشهاب علىٰ البيضاوي(٦/ ٢٥٥).

وعبارة الشيخ محمد يوسـف طفيش[١] في ذلك قريبة مما تقدم حيث يقول: " اكتفى بذكر الليالي هنا لأن السورة مكية سابقة والليل متقدم"[٢] .

****

(١) انظر ترجمته ص٨٧.

(٢) تيسير التفسير (٨/ ١٩).

المبحث الرابع

لطائف العدد(أربعة)

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة(٢٦٠).

١. خصوصية هذا العدد.

٢. الحكمة من تخصيص الطيور بالإحياء.

٣. آراء في تفسير هذه الآية

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فصلت (١٠).

١. كلمة (سواء) ماذا أفادت؟!

٢. الحكمة من خلق السموات في يومين والأرض في أربعة أيام.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ الكهف(٢٢)

- ثلاثة صاروا بكلبهم أربعة.

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة(٢٦٠).

١- أربعة من الطير – خصوصية هذا العدد

الطير اسم جمع(وهو ما دل على جمع لا مفرد له من لفظه مثل: أمه، رهط، طير، قبيلة). وجيء بمن للتبعيض للدلالة على أن الأربعة مختلفة الأنواع[(١)]. وجرُّهُ بمنْ هو الأفصح في الاستعمال[(٢)]. والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لأربعة. أي اربعة كائنة من الطير. أو متعلقان بخذ، أي خذ من الطير.

والظاهر أن حكمة التعدد واختلاف الانواع زيادة في تحقيق أن الإحياء لم يكن في بعض الأنواع دون بعض،لكن أحداً من المفسرين لم يجزم بخصوصية ما للعدد (أربعة). ومما قالوه في ذلك:

١. لعل جعلها أربعة ليكون وضعها على الجهات الأربع، المشرق والمغرب والشمال والجنوب لئلا يظن أن لبعض الجهات مزيد اختصاص بتأتي الإحياء[(٣)].

٢. المعنى أنك سألت واحداً على قدر العبودية وأنا أعطيك أربعاً على قدر الربوبية[(٤)]. ويُعترض على ذلك بأن قدر الربوبية لا حد له.

---

(١) التحرير والتنوير(٣/ ٣٨).

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف السمين الحلبي، تحقيق احمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (٢/ ٥٧٥).

(٣) التحرير والتنوير٣/ ٣٨.

(٤) تفسير الرازي(٧/ ٤٤).

٣. إن الطيور الاربعة إشـارة إلى الاركان الاربعة التي تتركب منها ابـدان الحيوانات والنباتات،والإشـارة فيه إلى أن الإنسـان ما لم يسع في قتل شـهوة النفس والفرج وفي ابطال الحرص، وإبطال التزيُّن للخلق، لم يجد في قلبه روحاً وراحة من نور جلال الله[١].

٤. فائدة التقييد بالأربعة في الطير والأجبـل الجمع بين الطبائع الأربع في الطير وبين مهاب الريح من الجهات الأربع في الأجبل[٢].

٥. " أربعة من الطيـر هي الصفـات الأربع التـي تولدت منهـا العناصـر الأربعة التي خُمِّرَتْ طينة الإنسـان منها، فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينة صفتان، فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل، وهما قرينان يوجدان معاً. ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد الغضب والشهوة.

ولكل واحد مـن هذه الصفات زوج خلق فيها ليسـكن إليها فالحرص زوجه الحسـد، والبخل زوجه الحقد، والغضب زوجه الكبر، وليس للشهوة اختصاص بزوج معين، بل هي كالمعشوقة بين الصفات، فتعلق بها كل صفة..

فأمر اللـه تعالـى خليله بذبح هـذه الصفـات وهـي الطيور الأربعـة، طـاووس البخل وغراب الحرص- وبكوره من حرصه- وديك الشـهوة- ونسر الغضب لترفعه في الطيران، وهذه صفة المغضب.

فلما ذبح الخليل بسـكين الصدق هذه الطيور، وانقطعت منه متولداتها، ما بقي له باب يدخل منه النار، فصارت النار عليه لما ألقي فيها برداً وسلاماً"[٣].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) كتاب فتح الرحمن بكشـف ما يلتبس في القرآن، شـيخ الإسـلام زكريا الانصاري، تحقيق بهاء الدين عبد الموجود محمد، دار الكتاب الجامعي ص.

(٣) غرائب القرآن(٣/ ٣٩).

وفي تعقيبه على ما أورده بعض المفسرين من الحكمة في تخصيص هذا العدد، مع أن الطمأنينة تحصل بإحياء واحد وصف الإمام الشوكاني(١) هذه التعليلات بأنها هذيان(٢).

٢- الحكمة من تخصيص الطيور بالإحياء

وفي حديثهم عن الحكمة من تخصيص الطيور بالاحياء، ذكر المفسرون وجوهاً منها: أن الطير جامع لخواص الحيوانات، وهو أقرب الحيوانات إلى الإنسان، حيث إنه من أهل الهمة وطلب العلو والارتفاع(٣).

وإن همة إبراهيم عليه السلام كانت كذلك وها هي معجزته مشاكلة لهمته.

وذكر الشيخ محمد رشيد رضا(٤) في تفسيره المشهور بتفسير المنار وجهاً آخر نسبُه

---

(١) الشوكاني: هو محمد بن علي محمد الشوكاني، ولد سنة ١١٧٣هـ وتوفي سنة ١٢٥٠هـ، نشأ في صنعاء، وسمع من العلماء الاعلام. تفقه على مذهب الامام زيد، وقد أوصله علمه إلى درجة الاجتهاد، مؤلفاته كثيرة منها فتح القدير ونيل الاوطار (مقدمة تفسيره فتح القدير).

(٢) فتح القدير (١/ ٢٨٢)

(٣) حاشية الشيخ زاده علي البيضاوي (١/ ٥٧٥)، تنوير الا ذهان من تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١/ ٢٠٤).

البحر الميحط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق وتعليق عادل أحمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (٢/ ٣١٠) الرازي (٧/ ٤٤).

(٤) محمد رشيد رضا: ولد سنة ١٢٨٢هـ، ونشأ في طرابلس الشام، اتصل بالشيخ محمد عبده سنة ١٣١٥هـ، والتزم حضور دروسه في التفسير، والتزم منهجه فيما بعد عندما ألف تفسيره المسمى تفسير المنار. تقوم آراؤه في التفسير على سعة في الرأي، واعتداد عظيم بالفهم، وعدم تقيد ببعض المسلمات عند العلماء.

ولهذا نجد له أفكاراً غريبة في تفسير القرآن، استقل ببعض منها، وقلد شيخه في بعضها الآخر. (التفسير والمفسرون ٢/ ٥٧٦).

إلى الشيخ محمد عبده[١] (رحمه الله) وهو أن الطير أكثر نفوراً من الإنسان في الغالب، فإتيانها بمجرد الدعوة أبلغ في المثل[٢].

ويبدو لي- والله تعالى أعلم- أن سر اختيار الطير يكمن في أن الحصول عليها لا يخلو من جهد ومشقة، وربما يقتضي السفر والكلفة في تحصيلها. وذلك لكي تظهر فضيلة معرفة الحق والقدرة بعد الجهد والتعب.

وذكرت أكثر كتب التفسير أن الطيور المطلوبة هي الطاووس والديك والغراب والحمامة، وإنما خصها بهذا الاختيار لأن كلا منها فيه خاصية مانعة من الوصول إلى الحياة الحقيقية، ما لم يمنع تلك الخواص والطبائع عن نفسه؛ فاختير الطاووس للإشارة إلى ما في الإنسان من الزينة والعجب، واختير الديك للإشارة إلى ما فيه من الميل والحرص على قضاء شهوة الفرج. واختير الغراب للإشارة إلى ما فيه من الميل إلى جيفة الدنيا والحرص على نيلها. فإن الغراب يطير في ظلمة الليل وشدة البرد ويطير في النهار طلباً للجيفة.وأختير الحمام للإشارة إلى ما فيه من العكوف على أرض عالم الطبيعة وقلة الرغبة والهمة في المنازل الروحانية والمعارف الالهية، فإن شأن الحمامة أن تألف وكرها وبرجها وتلازمه وتفرخ وتبيض فيه مدة حياتها[٣].

---

(١) الشيخ محمد عبده: ولد في واحد من قرى إقليم الغربية سنة ١٢٦٥هـ ١٨٤٨ ونشأ بقرية محلة نصر في أسرة كريمة، تعمل في زراعة الأرض واستغلالها على طريقة أهالي الريف، وتعلم القراءة والكتابة في بيت والده، حفظ القرآن الكريم خلال سنتين حيث كان عمره اربعة عشر عاما ثم تلقى العلوم في طنطا، وصحب جمال الدين الافغاني ابتداء من سنة ١٢٨٧ هـ و كان هذا من الأحداث الهامة جداً في حياته. حيث التقيا في باريس وأصدارا هناك صحيفة سياسية تشن الحملة على الاستعمار اسمها العروة الوثقى. درس في الأزهر وعين استاذاً بدار العلوم نسة ١٨٩٧، وتوفي سنة ١٩٠٥ بالاسكندرية، (عبقري الاصلاح والتعليم- الاستاذ محمد عبده، عباس محمود العقاد).

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، (٣/ ٥٥).

(٣) الشيخ زاده علي البيضاوي(١/ ٥٧٥).

وقد قلل الشيخ ابو حيان(١) في البحر من أهمية هذه التعليلات وقال إن ما أبداه أهل التفسير من معان لتخصيص الاربعة وتعيينها لا تكاد تظهر فيهه حكمة(٢).

أما الشيخ الشوكاني(٣) فأشار إلى أن هذه التعليلات ليست الا خواطر أفهام،وبوادر أذهان، لا ينبغي أن تجعل وجوهاً لكلام الله، وعللاً لما يراد في كلامه سبحانه تعالى(٤).

٣- آراء في تفسير هذه الآية

وفي معنى الآية الكريمة قال ابن عطية(٥) في تفسيره: " إن إبراهيم عليه السلام كان بحيث يرى الاجزاء من مقامة ويرى كيف التأمت، وكذلك صحت له العبرة. وأمْرُه بدعائهن وهنّ أموات إنما هو لتقرُب منه الآية، وتكون بسبب من حاله، ويرى أنه قُصد بعرض ذلك عليه. ولذلك جعل الله سيرهن إليه سعياً، إذ هي مشية المجد الراغب فيما يمشي إليه. فكان من المبالغة أن يرى ابراهيم جِدّها في قصده وإجابة دعوته. ولو جاءت مشياً لزالت هذه القرينة، ولو جاءت طيراناً لكان ذلك على عرف أمرها. فهذا

(١) ابو حيان: محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي الغرناطي، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ،ونشأ في بيئة علمية وتلقى بها علوم القراءات والنحو والحديث وأصول الفقه، كان حسن اللقاء،طليق اللسان، رحل إلى المغرب سنة ٦٧٩هـ واستقر في مصر، من كتبه البحر المحيط، توفي سنة ٧٤٥هـ، رحمه الله(التفسير والمفسرون١/ ٣١٧).

(٢) البحر المحيط(٢/ ٢٩٩).

(٣) الشوكاني: انظر ترجمة ص١٠٨.

(٤) فتح القدير(١/ ٢٨٢).

(٥) ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الاندلسي ولد سنة ٤٨٠هـ ويعتبر كتابه المحرر الوجيز من أشهر كتب التفسير بالمأثور،كان جليلاً عالماً بالأحكام والحديث والتفسير نحوياً لغوياً أديباً بارعاً، توفي ليلة الخامس عشر من رمضان سنة ٥٤٢هـ، تتلمذ على يده كثير من رواد العلم أمثال ابي بكر الاشبيلي وابي القاسم الانصاري والفيلسوف ابن طفيل وغيرهم.(تذكرة الحفاظ٤/ ١٢٦٩) (التفسير والمفسرون١/ ٢٣٨).

أغرب منه.ثم وقف عليه السلام على العلم بالعزة التي في ضمنها القدرة، " وعلى الحكمة التي بها اتفاق كل شيء"(١).

هذا وقد عرض الشيخ محمد رشيد رضا(٢) رأياً لأبي مسلم(٣) المفسر الشهير في تفسير الآية الكريمة خالف فيه اجماع المفسرين(٤) حيث يقول:" إن معنى الآية خذ اربعة من الطير فضمها اليك، وآنسها بك، حتى تأنس وتصير بحيث تجيب دعوتك، فإن الطيور من أشد الحيوان استعداداً لذلك. ثم اجعل كل واحد منها على جبل ثم ادعها فإنها تسرع اليك. لا يمنعها تفرق أمكنتها وبعدها.

وكذلك أمرُ ربك إذا أراد إحياء الموتى، يدعوهم بكلمة التكوين (كونوا أحياء) فيكونوا أحياء كما كان شأنه في بدء الخلق، إذ قال للسموات والأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين(٥).

ويبدو أن الشيخ رضا في ترويجه لهذا الرأي متأثر برأي شيخه محمد عبده في إنكار المعجزات، ومحاولة تفسيرها، ولو - بليّ العنق- لكي لا تتعارض مع المشاهدات والمألوفات(٦) ، وإني لا أجد في هذا التفسير أية استجابة لطلب الخليل عليه السلام تميزه

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو محمد عبد الحق بن عطية الاندلسي تحقيق عبد السلام عبد الشافعي محمد، الطبعة الأولى، بيروت،(١/ ٣٥٥).

(٢) انظر ترجمته ص١٠٨.

(٣) أبو مسلم: هو محمد بن علي الاصبهاني الأديب،صنف تفسيراً كبيراً في عشرين مجلداً،وكان عارفاً بالنحو غالباً في الاعتزال، ولد سنة ست وستين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وخمسين واربعمائة رحمة الله تعالى(طبقات المفسرين للداوودي٢/ ١٢١).

(٤) النهر الماد من البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، تحقيق د. عمر الاسعد، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى (١/ ٣٨٣).

(٥) تفسير المنار(.../ ...).

(٦) تقوم مدرسة الشيخ محمد عبده ورفاقه أمثال الشيخ مصطفى المراغي ومحمد فريد وجدي،وغيرهم على انكار معجزات الانبياء التي لا يدركها العقل وذلك تحت شعار الاصلاح الديني،الذي تبناه الأزهر

عن غيره من النـاس، إذ كثيـراً ما يتمكن مروضـو الطيـور والحيوانات من دعوتهـا عن بُعد وهي تستجيب لهم وتحضر اليهم، دون أن يبلغوا مستوى النبوة ولا الولاية.

قال الشيخ محمد سـيد طنطاوي[١] مرجحاً رأي الجمهور في حمل معنى الآية على ظاهره: " والـذي يطمئن إليـه القلب هـو رأي الجمهـور، لأن الآية مسـوقة لتحقيق معجزة تجري على يـد ابراهيم، وهي احياء الموتى بالمشـاهدة كما جرى احيـاء الرجل الذي أماته الله مئة عـام، والذي جاء ذكره في الآية السـابقة[٢]، ولأن ظاهر الايـة صريح في أنه حصـل تقطيع لأجـزاء الطير ثم وضـع كل منها على مرتفع مـن الأرض. وما دام الأمـر كذلـك، فلا يجوز حمـل المعنـى على غير هـذا الظاهر، كما لا يجـوز تحميل الالفاظ مـالا تحمله. وما ذهب إليه أبو مسلم[٣] هو قول بلا دليل فضلًا عن مخالفته لما عليه اجماع المفسرين[٤].

تحـت رعاية الحكومـة البريطانية في اجواء الهزيمة الروحية أمام الحضـارة الغربية المادية. وقد ضمت هذه الدعـوة تحت لوائها عدداً غـير قليل من المفتونين والمأخوذين بالنهضة العلميـة الأوروبية الحديثة، ممن لم يرسـخ الايـمان في قلوبهم، ولم تتمكـن حقائقه من عقولهـم وكان من نتيجة ذلـك تعيين الشـيخ مصطفى المراغي شـيخاً للجامع الأزهر، وتنصيب محمد فريد وجدي رئيسـاً لتحرير مجلة الأزهر (نور الإسـلام) بعد أن كان يرأس تحريرها العلامة المرحوم محمد الخضر حسين.

وراح الشـيخ محمد عبده يكتب في أبحاث العقيدة بطريقة غريبة عجيبة تخالف اجماع المسلمين وبديهيات العقيـدة. حيـث ينتهـي في تفسـيره لسـورة الفيل إلى تأويـل صريح الآيـة بأن المقصـود بالطـير الابابيل والحجارة، إنما هو وباء الجدري!! (كبرى التيقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي دمشق، الطبعة الأولى ص٢١٢ وما بعدها).

(١) محمـد سـيد طنطاوي: مفتي جمهورية مصر العربية سـابقاً وشـيخ الأزهـر حالياً. ومن مؤلفاته التفسـير الوسـيط للقرآن الكريم، وهو شـخصية اسـلامية بارزة، وله آراء جريئة كانت موضـع جدل بين العلماء خاصة ما يتعلق منها بالمعاملات البنكية.

(٢) هو قوله تعالى: "أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أني يحيي هذه الله بعد موتها، فاماته الله مئة عام ثم بعثه قال: كم لبثت ق ال: لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مئة عام" البقرة(٢٥٩).

(٣) ابو مسلم: سبقت ترجمته قبل قليل.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، القاهرة، طبعة ١٩٩٢م. (١/ ٦٠١).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ فصلت(١٠).

١- أربعة أيام سواء- كلمة (سواء) ماذا أفادت؟

في الآية الكريمة ما الذي أفاده وصف الأيام الأربعة بأنها سواء؟ وهل يتأثر المعنى لو حذفنا كلمة (سواء)؟!.

للإجابة عن هذين السؤالين نقول: سواءً: مصدر مؤكد لضمير هو صفة الأيام، أي استوت سواءً أي استواء. وفي (سواء) ثلاث قراءات: على النصب هي مصدر كما تقدم وعلى الجر: صريح في الوصفية، وبالرفع: أي هي سواء. تكون الجملة صفة لأيام، لا حالاً من الضمير.

وفائدة هذه الكلمة (سواء) دفع التجوز، فإنه شائع مطرد في عرفي العرب والعجم. فتراهم يقولون: فعلته في يومين ويريدون في يوم ونصف، وسرت أربعة أيام ويريدون ثلاثة ونصف مثلاً ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ البقرة(١٩٧).

والمراد شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة وليلة النحر وذلك لأن الزائد جعل فرداً مجازاً، حيث أطلق على المجموع اسم العدد الكامل والمعنى المراد هنا أنها أربعة أيام لا نقصان فيها ولا زيادة وانها كانت متساوية غير مختلفة[(١)].

ومن لطيف الاستنتاجات أن في النظم الكريم دلالة على أن اليومين الأخيرين

---

(١) روح المعاني ٢٤/ ١٠١/ ١٠٢ التفسير الكبير ٢٧/ ١٠٥.

متصلان باليومين الأولين، وذلك يتبادر من جعلهما جملة واحدة واتصالهما في الذكر[(١)].

ويرى الأمام الزمخشري[(٢)] أن في قوله تعالى: "في أربعة أيام" فذلكة لمدة خلق الأرض وما فيها، كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام مستوية، بلا زيادة ولا نقصان[(٣)].

والظاهر أن اطلاق الفذلكة هنا على المجاز، حيث إن حقيقتها أن تجمع إجمال ما فصّل سابقاً. وهذا هنا مفقود إذ لا نعلم هنا قبل الفذلكة أن خلق ما في الأرض في يومين[(٤)].

أما عن فائدة هذه الفذلكة فيرى الزمخشري أنه إذا قال في أربعة أيام، وقد ذكرأن الأرض خلقت في يومين، علم أن ما فيها خلق في يومين. فبقيت المخايرة بين أن نقول: في أربعة أيام سواء، وأن نقول في يومين. فكانت في اربعة ايام سواء فائدة ليست في يومين. وهي الدلالة على أنها كانت أياماً كاملة بغير زيادة ولا نقصان. ولو قال(في يومين) – وقد يطلق اليومان على اكثرهما– لكان يجوز أن يريد باليومين الأولين والآخرين اكثرهما[(٥)].

وفي رده على مطاعن الضّالين ذكر الشيخ السكاكي[(٦)] في المفتاح أنهم يقولون: بين قوله تعالى: أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ فصلت (١٠) وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ السجدة(٤) تناقض

---

(١) روح المعاني ٢٤/ ١٠١.

(٢) أنظر ترجمته ص٦٨.

(٣) الكشاف٣/ ٤٤٤.

(٤) الفتوحات الالهية(٤/ ٣١).

(٥) الكشاف(٣/ ٤٤٤).

(٦) السكاكي: ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ولد سنة ٥٥٤هـ أمام في العربية والمعاني وهو أحد أفاضل العلماء في عصره الذي سارت بذكرهم الركبان، توفي رحمه الله سنة ٦٢٦هـ.

لكون عدة أيام خلق السموات والأرض وما بينهما في آية السجدة ستة وفي الأخرىٰ ثمانية، لجهلهم بالمراد من قوله (في أربعة أيام)، وذلك يومان مأخوذان مع اليومين الأولين(١).

وقال ابو الحسن الأخفش(٢): " قال تعالىٰ: "خلق الأرض في يومين" ثم قال " في اربعة أيام" فإنما يعني هذا أن هذا مع الأول أربعة أيام. كما تقول تزوجت الأمس امرأة واليوم اثنتين. واحداهما التي تزوجتها أمس"(٣).

وأشار الشيخ البقاعي رحمه الله- إلىٰ أن المولىٰ سبحانه خصّ الأقوات والمنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كلاً من الأمرين يومان. ونص علىٰ الأولين ليكون ذلك أدل علىٰ القدرة، فيحسن موقع النعي عليهم.

وإنما كان أدل علىٰ القدرة لأنه خلق وإيجاد للأرض من العدم بخلاف البركة(٤).

وتقدير الأقوات فإنه أمر لا يقوم بنفسه وإنما هو تابع، فلم يفرد له يومين بالذكر، ولكن ذكره جاء تابعاً من باب المشاكلة(٥).

---

(١) مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر ضبطهُ وشرحه نعيم زرزور دار الكتب العلمية، بيروت، ص٥٩٧، وانظر احكام القرآن، عماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، بيروت(١/ ٣١٨)

(٢) أبو الحسن الأخفش: هو سعيد بن مسعدة البصري، أخذ النحو عن سيبويه، له كتاب معاني القرآن، وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك، سمي الأخفش لصغر عينيه لضعف بصره، كان أيضاً أدلغ وهو الذي لا يضم شفتيه علىٰ أسنانه، يقال له الأخفش الأوسط نظراً لوجود من لقب بالأخفش الكبير(البداية والنهاية١٠/ ٣٠٦).

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤٦٥، تفسير ابن جزي ص٦٤٢.

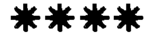
(٤) الشيخ البقاعي هو برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥هـ وهو صاحب كتاب(نظم الدرر في تناسب الأيام والسور) اشتغل في تأليف الكتاب بالقاهرة ثم رحل إلىٰ دمشق لاتمام كتابه.

(٥) نظم الدرر٧/ ٥٥.

٢- الحكمة من خلق السموات في يومين والأرض في أربعة

والله سبحانه قادر على خلق كله في لمح البصر، لكنه سبحانه لم يفعل ذلك، اختباراً لفهم الناس وإدراكهم لهذه المسألة. وهذا أدخل في الابتلاء والاختبار، ليضل به كثيراً ويهدي به كثيراً،فيكون أعظم لأجورهم لأنه أدل على تسليمهم.

ولسائل أن يسأل عن الحكمة من خلق الأرض وتوابعها في أربعة أيام بينما خلقت السماء في يومين، مع أن الأرض ليست أكثر من نقطة في بحر السماء. والجواب(كما يقول الشيخ البقاعي)(١) هو أن في ذلك دلالة على أنها أي الأرض هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع، وتباين الأعراض والجواهر، لأن ذلك أدخل في المنّة على سكانها، والاعتناء بشانهم وشانها وأضاف الشيخ قائلاً :"ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها على ما نتعارفه من أن بناء السقف أخف من بناء البيت، تنبيهاً على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب تعليماً للتأني وتدريباً على السكينة والبعد عن العجلة"(٢) وقد نُسب هذا القول إلى الشيخ أبي البقاء العكبري(٣).



(١) البقاعي: انظر الترجمة في حاشية هذه الصفحة.

(٢) نظم الدرر٦/ ٥٥٦.

(٣) ابو البقاء العكبري: هو عبد الله بن الحسين البغدادي الضرير النحوي الحنبلي، المقرىء الفقيه المفسر، ولد في بغداد سنة ٥٣٨، وله كثير من الكتب والمصنفات، أخذ عنه العربية خلق كثير،وكذلك هو محدث كبير، توفي رحمه الله سنة ٦١٦هـ، (طبقات المفسرين للداوودي) ص٢٣١). (معجم المؤلفين٦/ ٤٦) ونسبة هذا القول للعكبري جاءت في كتاب الفتوحات الالهية على الجلالين(٤/ ٣٢).

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ الكهف(٢٢).

» ثلاثة صاروا بكلبهم أربعة

لقد حرتُ وأنا أتأمل هـذه الآية الكريمة، مقلباً كتب التفسير والنحـو واللطائف بحثاً عن السر في وصف الثلاثة والخمسة والسبعة بأنهم (رابعهم كلبهم) و(سادسهم كلبهم) و(ثامنهـم كلبهم)، مـع ما هو مقـرر عند النحـاة من أن اسـم الفاعـل المصاغ مـن العدد لا يضاف الا إلى ما هو بعض منه، فلا يصيـر الثلاثة رجال بكلبهم أربعة لاختلاف الجنسـين. ثم إن كـون هؤلاء الفتيـة المؤمنين مع كلـب لا يعد خصيصة لهـم فيمدحوا بها نظـراً لكثرة ذلك في رعاء الشاء.

واسـتمرت بي الحيرة حتى وفق المولى سبحانه للاطلاع على رأي الشيخ الطيبي[(١)] - رحمه الله - الذي كان آية في استخراج لطائف ودقائق القرآن الكريم، حيث يرى أنه إذا ذكرت صفة في مقام المـدح والافتخار ولـم يكن لهـا اختصاص به حتى يتأتـى ما قصد من الاطراء، وصدر ذلك ممّن يعرف أسـاليب البلاغة، لا بد من القصد إلـى معنى فيها يجعلها مختصة به مما يلوح به المقام، وينظر إليه الحال بطرف خفي كما هنا.

---

(١) الطيبي : هـو الحسـن بن محمـد بن عبد الله الطيبي أحد شراح الكشـاف توفي سنة ٧٤٣هـ، كان أية في استخراج الدقائق من القرآن الكريم وكان مقبلاً على نشر العلم متواضعاً حسن المعتقد، علامة في العربية والمعاني والبيان، وكان شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة. توفي وهو متجه إلى القبلة ينتظر إقامة الصلاة .ومن مصنفاته : التبيان في علم المعاني والبديع والبيان.

وشبه الشيخ الطيبي هذا النص الكريم(ثالثهم كلبهم) بما ورد في الحديث الشريف عن أنس رضي الله عنه قال: حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين. قلت يا رسول الله ! لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما"(١) فإن كون الله تعالىٰ ثالث اثنين ليس مخصوصاً بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه. فقد قال سبحانه: " ما يكون من نجوىٰ ثلاثة الا هو رابعهم، والا خمسة الا هو سادسهم، ولا أدنىٰ من ذلك ولا أكثر الا هو معهم"المجادلة(٧) وبهذا طعنت الرافضة في عدّة من خصائص أبي بكر رضي الله عنه.

فالمراد هنا أنه تعالىٰ معهما بالحفظ الالهي، والاتصال المعنوي الذي رفعهما من حضيض الغار وحجبهما بسرادق حفظ لا تقبل اليه أقدام الأفكار فما بالك بأقدام الكفار؟

ومثله ما نحن فيه هنا من قوله تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف(٢٢) فإن كون طائفة مع كلب ليس مما يخص هؤلاء فيمدحوا به ، لكثرته في رعاء الشاء، وفي غيرهم. فيلاحظ إذن فيه معنىٰ آخر وهو أن هذا الحيوان تصدىٰ لحفظهم، وبذل نفسه في ملازمة أعقابهم، حتىٰ التحق بهم وعُد معهم وتشرف بذكر الله تعالىٰ له.

وهكذا فالتربيع والتسديس في قصة الكهف ناظر إلىٰ التثليث في قصة الغار، وعليه يجب أن يجعل رابعهم كلبهم، وسادسهم كلبهم تابعين لثلاثة وخمسة والضمائر الأربعة راجعة فيها اليهما لا إلىٰ المبتدأ. ومن ثم استغنىٰ الله عنه بالحذف. فلما اريد اختصاصها بحكم بديع الشأن عدل إلىٰ ما هوعليه لينبه بالنعت الدال علىٰ التفضلة والتمييز. علىٰ أن أولئك الفتية ليسوا مثل كل ثلاثة أو خمسة أو سبعة اصطحبوا. ومن ثم قرن الله في كتابه العزيز أخس الحيوان ببركة صحبتهم بزمرة المتبتلين إلىٰ الله المعتكفين في جوار الله(٢).

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري،احمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت(٨/ ٣٢٥).

(٢) حاشية الشهاب الخفاجي المسماة(عناية القاضي وكفاية الراضي) علىٰ تفسير البيضاوي، دار صادر، بيروت،(٦/ ٨٩/ ٩٠)،وانظر تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور.

فالتنظير مجرد ذكر أمر عام يلوّح إلىٰ أمر خاص هو المقصود منه والداعي إلىٰ ذكره. وبهذا يتعين كونه صفة في الآية والحديث[١] ، لأنه الأصل في الجمل المادحة.

وقد استحسن الشيخ الشهاب[٢]، في حاشيته علي البيضاوي قول الطيبي[٣] وحرص علىٰ توضيحه واظهاره، رغم أنه قرر أن الثلاثة رجال لا يصيرون بكلبهم أربعة لاختلاف الجنس، واكد انه لا عبرة برأي المخالف. لكن الذي حمله علىٰ تفهم رأي الطيبي رحمه الله دقة مآخذه واحاطته بأساليب البلاغة.

****

(١) المقصود بالتنظير تشبيه(رابعهم) و(سادسهم) في الآية الكريمة(٢٢) من سورة الكهف التي نحن بصدد الحديث عنها تشبيهها بـ(ثالثهما) في الحديث الشريف الذي سبق تخريجه(ما ظنك باثنين اللهم ثالثهما".

(٢) الشهاب الخفاجي: سبقت ترجمة ص٦١.

(٣) الطيبي: سبقت ترجمته ص١١٨.

المبحث الخامس

لطائف العدد(سبعة)

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ البقرة(٢٦١) وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يوسف (٤٦).

- سبع سنابل وسبع سنبلات

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان(٢٧).

- السبعة للكثرة والمبالغة.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر(٨٧)

- السبع المثاني.

المطلب الرابع

- خصوصية العدد(سبعة) قدراً وشرعاً.

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ البقرة(٢٦١)

وقوله تعالى: ﴿وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ يوسف (٤٦).

يرد تمييز العدد(سبعة) في القرآن الكريم مره بصيغة جمع القلة وأخرى بصيغة جمع الكثرة، مع أن المعدود واحد في الآيتين. فما هي النكتة في ذلك؟!

ولتوضيح المسألة نورد بعض الأمثلة: يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة(٢٦١).

وكما نلاحظ فمعدود السبعة هنا ورد بصيغة جمع الكثرة (سنابل) وفي قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يوسف(٤٦) نلاحظ أن معدود السبعة ورد هنا بصيغة جمع القلة(سنبلات).

وفي الإجابة على هذه المسألة قال صاحب الدر المصون[(١)] : " اعلم أن جمعي السلامة - يقصد جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم- لا يميز بهما عدد الا في موضعين:

١. أن لا يكون لذلك المفرد جمع سواه، نحو سبع سموات، سبع بقرات، تسع آيات، لأن هذه الأشياء لم تجمع إلا جمع سلامة.

---

(١) هو الشيخ ابو العباس احمد بن يوسف السمين الحلبي المقريء النحوي الشافعي نزيل القاهرة، قرأ النحو على ابي حيان، له تصانيف حسنة منها (تفسير القرآن وأعراب القرآن المسمى الدر المصون، كان فقيهاً بارعاً في النحو والتفسير، والقراءات توفي سنة ٧٥٦هـ رحمه الله(طبقات المفسرين١/ ١٠١).

٢. أن يعدل إليه لمجاورة غيره كقوله تعالى: "وسبع سنبلات"، حيث عدل إليها من (سنابل) لأجل مجاورته(سبع بقرات). ولذلك إذا لم توجد المجاورة مُيز بجمع التكسير دون جمع السلامة، وإن كان موجوداً نحو: (سبع طرائق) المؤمنون(١٧) و(سبع ليال)(١) الحاقة (٧).

وذكر الشيخ الزركشي (٢) توجيهاً أخر، وهو أن آية البقرة سيقت لبيان المضاعفة والزيادة فناسبت صيغة جمع الكثرة. وآية يوسف لحظ فيها الجدب والقحط وهو قليل، فأتى بجمع القلة، ليصدق اللفظ المعنى.

وقد أيد هذا التوجيه قول الأمام ابن قيم الجوزية(٣) : " تامل كيف جمع السنبلة في هذه الآية على سنابل وهي من جموع الكثرة، إذا المقام مقام تكثير وتضعيف. وجمعها على سنبلات في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ يوسف(٤٦). فجاء بها على القلة، لأن السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير(٤).

---

(١) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، احمد بن يوسف المع روف بالسمين الحلبي، تحقيق د. احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى(٢/ ٥٨٠) البحر المحيط أبو حيان الاندلسي، دار الكتب العالمية،بيروت، الطبعة الاولى، (٢/ ٣١٦).

(٢) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي، من علماء مصر في القرن الثامن ولد سنة ٧٤٥هـ حفظ كتاب المنهاج للنووي وتتلمذ على يد الإمام ابن كثير في دمشق كان محمود الخصال عذب الشمائل توفي سنة ٧٩٤هـ (معجم المؤلفين٩/ ١٢١).

(٣) ابن قيم الجوزية: محمد بن ابي بكر بن أيوب بن مسعد بن جرير الزرعي الدمشقي، كان ابوه قيّما على مدرسة الجوزية بمدشق، ولد سنة ٦٩١هـ تتلمذ على يد عدد من الشيوخ منهم ابن تيمية، ومن تلاميذه ابن كثير وابن رجب الحنبلي، تميز بالدعوة إلى التحرر الفكري ودعا إلى ابطال التقليد تعرض للمحن والسجن عدة مرات مؤلفاته كثيرة في الفقه والاصول والتاريخ والسير، منها مدارج الساكين، وبدائع الفوائد ومفتاح دار السعادة، واعلام الموقعين، توفي سنة ٧٥١هـ ودفن بمقبرة باب صغير بدمشق(اعلام الموقعين- المقدمة).

(٤) بدائع التفسير الجامع لتفسير الامام ابن القيم الجوزية جمع يسيري السيد محمد- دار ابن الجوزي للنشر السعودية، الدمام، الطبعة الاولى(١/ ٤١).

٣. ويرىٰ الفراء[(١)] أن منع الصرف سببه العدل والتعريف، بنية الألف واللام، ولذلك يمتنع اضافتها عنده لتقدير الألف واللام. وامتنع ظهور الألف واللام عنده لأنها في نية الإضافة، كما كان بناء الثلاثة أن تضاف إلىٰ جنسها فيقال ثلاثة نسوة وثلاثة رجال.

٤. أما أبو اسحق الزجاج[(٢)]، فيرىٰ أن السبب هو عدلها عن مكررها وعدلها عن التأنيث.

٥. الأمام الزمخشري[(٣)] يرىٰ أن الوصفية ليست مانعة من الصرف في هذا الألفاظ، فيقول: أما الوصفية فلا يفترق الحال بين المعدولة والمعدول عنها، ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع، ورجال ثلاثة!؟ فلا يعرج عليها[(٤)]. أي أنه لا ينظر إلىٰ الوصفية هنا كمانع من موانع الصرف. وإنما منعت من الصرف لتكرار العدل فيها، حيث عدلت من صِيغٍ إلىٰ صِيَغ ،ومن تكرير إلىٰ غير تكرير، ففيها عدلان[(٥)].

---

(١) الفراء: أنظر الترجمة ص ، ومعاني القرآن، لأبي زكريا يحيىٰ بن زياد الفراء، عالم الكتب بيرو، الطبعة الثانية(١/ ٢٥٤).

(٢) ابو اسحق الزجاج: انظر الترجمة ص١٢٤.

(٣) الامام الزمخشري: هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، صاحب القدم في الأدب والنحو واللغة والتفسير، وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب. قال الزمخشري في مدحه:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... الجهل كالداء والكشاف كالشافي

ولد سنة ٤٦٧هـ وتوفي سنة ٥٣٨هـ رحمه الله ليلة عرفه.

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ابو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة، بيروت(٣/ ٢٩٨).

(٥) روح المعاني(٢٢/ ١٦٣) وقد تعقب أبو حيان هذا الرأي بأن الوصفية في المعدول عنه عارضه، وأنه يقبل تاء التأنيث. ومطلق الصفة لم يعدّوه علة للمنع من الصرف. بل اشترطوا أن تكون الوصفية غير عارضة، وأن لا يقبل تاء التأنيث.

٦. وللأخفش[1] رأىٰ طريف في سبب منع المعدول عن الصرف نقلهُ عنه بعضهم وهو : تكرار العدل، وذلك أنه عدل عن لفظ اثنين اثنين، وعدل عن معناه، لأنه قد يستعمل في موضع تستعمل فيه الاعداد المعدولة. تقول جاءني اثنان وثلاثة. ولا تقول: جاءني مثنىٰ وثلاث، حتىٰ يتقدم قبله جمع. لأن هذا الباب جعل بياناً لترتيب الفعل. فإذا قلت جاء القوم مثنىٰ، أفاد أن مجيئهم وقع من اثنين اثنين، بخلاف غير المعدول، فإنها تفيد الاخبار عن مقدار المعدود دون غيره. فقد بان بما ذكرنا اختلافهما في المعنىٰ. ولذلك جاز أن تقوم لعلة مقام علتين لايجابها حكمين مختلفين[2].

****

---

(١) الاخفش: انظر ترجمته ص١١٦.

(٢) الدر المصون(٣/ ٥٦٣).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لقمان(٢٧)

» السبعة للكثرة والمبالغة:

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ لقمان(٢٧) والمراد هنا بالسبعة الكثرة بحيث تشمل المئة والألف مثلاً لا خصوص العدد المعروف فحسب، وذلك كما في قوله عليه السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه: " إن المؤمن يأكل في معي الغالب، وليست حقيقة العدد مرادة ، قالوا: تخصيص السبعة للمبالغة في الكثير" أن المؤمن ياكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"[١] وقال ابن حجر[٢]: الحديث خرج مخرج الغالب، وليست حقيقة العدد مراده قالوا: تخصيص السبعة للمبالغة في الكثير" [٣] وقال في موضع آخر: " ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التسهيل والتيسير ، ولفظ

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن العسقلاني دار المعرفة بيروت(٩/ ٥٣٧) ومسلم بشرح الامام أبي زكريا يحيى محيي الدين النوري، دار الكتب العلمية- بيروت(١٤/ ٢٥).

(٢) ابن حجر : هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، مصري المولد والنشأة نزيل القاهرة، وبقية الحفاظ، ولد سنة ٧٧٣هـ ونشأ يتيماً حفظ القرآن وهو ابن تسع حبب اليه الحديث وطلبه من كبار الشيوخ في البلاد الحجازية والشامية والمصرية وأخذ اللغة عن الفيروزابادي، من مؤلفاته الاصابة في اسماء الصحابة وتهذيب التهذيب وتقريب التهذيب، ونخبة الفكر وشرحها، ولو لم يكن له الا فتح الباري لكفي في الاشادة به، توفي سنة ٨٥٢(شرح نخبة الفكر - المقدمة).

(٣) فتح الباري (٩/ ٥٣٩)

السبعة يطلق على إرادة الكثرة في الآحاد كما يطلق السبعين في العشرات، والسبعمائة في المئات ولا يراد العدد المعين"[١].

والسبعة لما لم تكن موضوعة في الأصل لذلك، بل للعدد المعروف جاء تمييزها(أبحُر) بلفظ القلة دون (بحور) وإن كان لا يراد بها الا الكثرة ليناسب بين اللفظين فكما تجوز في السبعة واستعملت للتكثير تجوز في (أبحر) واستعملت فيه أيضاً.لم تكن موضوعة في الأصل لذلك، بل للعدد المعروف جاء تمييزها(أبحُر) بلفظ القلة دون (بحور) وإن كان لا يراد بها الا الكثرة ليناسب بين اللفظين، فكما تجوز في السبعة واستعملت للتكثير، تجوز في (أبحر) واستعملت فيه أيضاً[٢].

قال الشيخ الحريري[٣]- رحمه الله -" والعلم في هذا الاختيار أن العدد من ثلاثة إلى عشرة وضع للقلة، فكانت إضافته إلى الجمع القليل المشاكل له اليق به،وأشبه بالملائمة له. وأمثلة الجمع القليل أفعال، وأفعل ،وفعلة، وأفعله. وهذا الاختيار في اضافة العدد إلى جمع القلة مطرد في هذا الباب، اللهم الا أن يكون المعدود مما لم يبن له جمع قلة"[٤].

وفي تاكيد استعمال العدد(سبعة) لبيان الكثرة قال الشيخ زاده[٥] في شرحه على تفسير البيضاوي : " قوله(سبعة أبحر) ليس لحصر الأبحر في سبعة، بل المراد الاشارة إلى

(١) المرجع السابق ٩/ ٢٣.

(٢) روح المعاني ٢١/ ٩٨

(٣) انظر ترجمته ص٧٨.

(٤) درة الغواص، القاسم بن محمد بن علي الحريري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة نهضة مصر ص٢٢٢.

(٥) الشيخ زاده: محمد بن مصلح الدين مصطفى القوجوي الحنفي المعروف بشيخ زاده المدرس الرومي، توفي سنة ٩٥١هـ له من الكتب حاشية انوار التنزيل على البيضاوي وشرح مفتاح العلوم للسكاكي وشرح الوقاية في مسائل الهداية (تاريخ الادب العربي، بروكلمان٩/ ٣٥٩).

كثرة المدد ولـو كان الف بحر، وقد خصت السبعة بالذكر من بين أسماء الأعداد لكونها عدداً يحصر أكثر المعدودات"[(١)].

وفي موضع آخر يقول: " السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر أسماء العدد من حيث دلالتها على الكثرة والمبالغة في العدد.[(٢)] قال تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ التوبة(٨٠) على معنى: إن تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار. فإذا ذكروا سبعة جاءوا بالواو لتدل على أن السبعة دالة على الكثرة والمبالغة في العدد وأن مدخولها ثامن فقالوا: وثامنهم وكان قريش إذ عدوا يقولون : واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة. فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة، وكان العقد عندهم سبعة كما أنه اليوم عندنا عشرة، فإذا جاوز السبعة جاءوا بالواو على الاستئناف ونظيره في قوله تعالى: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة(١١٢)[(٣)]

وقد تكرر ذكر السبعة والسبع والسبعين والسبعمائة في القرآن الكريم والحديث الشريف للدلالة على العدد المخصوص حيناً، وللدلالة على الكثرة حيناً آخر، والعدد سبعة كالعدد عشرة يدل كل منهما على نهاية نظام عددي دوري ، أي إن المرء يحتاج بعده إلى أن يبدأ في العد من جديد، ولعل هذا من أسباب تضمنهما لمعنى التكرار والكثرة.

---

(١) حاشية الشيخ زادة علي البيضاوي (٣/ ٥٦٢) ويقصد الشيخ من قوله إن السبعة عدد يحصر أكثر المعدودات أن السموات سبع وأن الأرض سبع، وأبواب جهنم سبع، والكواكب السيارة سبع، والأيام سبع والأقاليم سبع وغير ذلك. ولهذا عبر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود في مرتبتها.

(٢) انظر البيان في غريب اعراب القرآن، أبو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي تحقيق، د. طه عبد الحميد ، ومراجعة مصطفى السقا. مصر، المكتبة العربية ص١٠٤ .

(٣) انظر البيان في غريب اعراب القرآن، ابو البركات عبد الرحمن محمد بن أبي سعيد الانباري النحوي تحقيق د. طه عبد الحميد ومراجعة مصطفى السقا مصر، المكتبة العربية ص١٠٤ .

ولما كان هـذا العدد آخر النظـام العددي السـبعي ونهايتـه وتمامه فقـد كان له مفهوم التمام والكمـال والعظمة والكثرة فالسـباعي من الأبل هـو العظيم، والسـباعي البدن: التام البدن، ولا يكاد المرء يجد تفسيراً لربط اسم الاسد بالسبع الا من هذا الجانب أي إن السبع الذي بلغ ذروة الشراسة أو الشجاعة(١).

****

(١) حاشية الشيخ زاده(٣/ ٥٥٥).

المطلب الثالث

لطائف القول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الحجر(٨٧)

» السبع المثاني

ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد منها فاتحة الكتاب[١]، ووجه التسمية بالسبع المثاني لأنها سبع آيات ، ولأنها مثناة مكررة مثل: الرحمن الرحيم، إياك نعبد،إياك نستعين، الصراط المستقيم صراط، أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، وقيل لأنها نزلت مرتين[٢] مرة بمكة ومرة بالمدينة. وقال الزجاج[٣] : سميت الفاتحة مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى[٤]

وإذا صح ما ذهبوا اليه فقد دلت الآية على أن هذه السورة الكريمة أفضل سورة القرآن من و جهين:

١. إفرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لا بد أن يكون لاختصاصها بمزيد من الشرف والفضيلة .

---

(١) جاء في صحيح البخاري في قوله عليه السلام " الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" انظر فتح الباري (٨/ ١٥٧) رقم الحديث ٤٤٧٤ احكام القرآن محمد ادريس الشافعي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان طبعة ١٩٨٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الأندلس، بيروت الطبعة الاولى(١/ ١٧) قال الامام النسفي عن فاتحة الكتاب: " والأصح أنها مكية ومدنية نزلت بمكة حين فرضت الصلاة ثم نزلت بالمدينة عند تحويل القبلة" تفسير النسفي(١/ ٣).

(٣) الزجاج: هو ابراهيم بن السري ابو اسحق ، صاحب كتاب معاني القرآن، اتم تأليف كتابه هذا خلال ستة عشر سنة توفي سنة ٣١١هـ رحمه الله كان حسن الاعتقاد، جميل المذهب، كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو، فلزم المبرد، ومن كتبه النوادر، ومختصر النحو، (طبقات المفسرين١/ ٩).

(٤) حاشية الشيخ زاده على البيضاوي(٣/ ١٦١).

٢. إنه سبحانه لما أنزلها مرتين تدل ذلك على زيادة فضلها وشرفها.

وقيل إن المراد من السبع المثاني السبع الطول.

وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة، وسميت هذه السور مثاني لأنه يثنى فيها حدود القرآن وفرائضه وأمثاله وعبره وعامة أحكامه.

وقيل إن المراد بالسبع الحواميم بناء على أنه بينت فيها القصص وبعض الأحكام. وقيل المراد سبع صحائف وهي الاسباع(١).

فإن القرآن العظيم سبعة اسباع، كل سبع صحيفة. وعلى هذا القول فالسبع المثاني هو القرآن كله بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ الزمر (٢٣).

ووصفه بالمثاني لأنه كررت فيه دلائل التوحيد والنبوة، والتكاليف وإنه مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز ومثنٍ على الله تعالى بما هو أهله.

وعلى هذا يكون المعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي الجامع لهذين الوصفين ومثله قول المولى سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الانبياء(٢) (٤٨)

وتحدث المفسرون عن المعنى الذي أفاده حرف الجر(من) بهذه الآية: فقال الإمام النسفي " إذا جعلت السبع مثاني فـ(من) للتبين وإذا جعلت القرآن مثاني فـ(من) للتبعيض(٣).

(١) المصدر السابق (٣/ ١٦٢).

(٢) قال الامام النسفي في تفسير الآية: هذه الثلاثة هي التوارة فهي الفرقان بين الحق والباطل، وضياء يستضاء به ويتوسل به إلى سبيل النجاة، وذكر أي شرف أو وعظ وتنبيه. ودخلت الواو على الصفات كما في قوله تعالى (وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين) آل عمران(٣٩) تفسير النسفي(٢/ ٨١).

(٣) المرجع السابق (٢/ ٢٧٨).

وقال الشيخ الشوكاني: (من) للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطول، وللبيان إذا أردت الاسباع[١].

ويرى الزجاج أنه من الجائز أن تكون صلة ، والمعنى أتيناك سبعاً هي المثاني. كما في قوله ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ الحج(٣٠) المعنى اجتنبوا الأوثان لا أن بعضها رجس[٢].

****

(١) فتح القدير (٣/ ١٤٢).

(٢) تفسير الرازي١٠/ ٢١٤.

المطلب الرابع

خصوصية العدد(سبعة) قدراً وشرعاً

وقعت خصوصية هـذا العدد -كما يقول ابن القيم[(١)] - قدراً وشـرعاً[(٢)] - فخلق الله سبحانه السموات سبعاً حيث يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ البقـرة(٢٩) وكذلـك الارض لقولـه سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ الطلاق(١٢)، والإنسان كما خلقه في سبعة أطوار:

يقـول المولـىٰ سـبحانه :﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ المؤمنـون(١٢-١٤) وأشـواط الطواف المقررة في مناسـك الحج والعمرة سبعة وكذلك السعي سـبعة أشواط، والجمـار عددها سـبع حصيات عنـد كل مرمـىٰ. وتكبيـرات صلاة العيد سـبع، وقـوم عاد أهلكوا بريح سخرها الله تعالىٰ عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ الحاقة (٧).

ويدخـل الجنة من هـذه الأمة سـبعون الفاً بغيـر حسـاب[(٣)] ومثل المولـىٰ سـبحانه ما تضاعف بـه صدقـة المتصدق بحبـة أنبتت سـبع سـنابل ، قـال تعالـىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة(٢٦١).

---

(١) انظر ترجمته ص١٢٣.

(٢) زاد المعـاد، ابـو عبـد الله محمـد بـن ابي بكر الدمشـقي ، الملقب ابـن قيم الجوزيـة ، دار الكتـب العلمية، بيروت(٣/ ٩٥).

(٣) مـن حديث صحيح أخرجـه البخاري، انظر فتح البـاري(١١/ ٤٠٥) كتاب الرقـاق(٥٠) وفيه " قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفاً قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب".

وفي الحديث الشريف عن عامر بن سعد بن أبي وقاص[1] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر" رواه البخاري ومسلم وابو داوود[2] وغيرهم.

والسبعة جمعت معاني العدد كله وخواصه، فإن العدد شفع ووتر ، والشفع أول وثان، والوتر كذلك، ولا تجتمع هذه المراتب في أقل من سبعة، وهي عدد كامل جامع لمراتب العدد الأربعة[3].

قال الامام النووي[4] في شرحه على صحيح مسلم" وعدد السبع من الأمور التي علمها عند الشارع ولا نعلم نحن حكمتها فيجب الايمان بها واعتقاد فضلها والحكمة فيها. وهذا كأعداد الصلوات ونصاب الزكاة وغيرها وهذا هو الصواب في هذا الحديث[5]" يقصد حديث السبع تمرات- وهكذا يبدو أن الامام النووي رحمه الله يميل إلى عدم البحث عن الحكمة والسر في هذا العدد لكي لا نقع في شطط وتمحل مستغنى عنه.

****

(١) عامر بن سعد: هو عامر بن سعد بن أبي وقاص القرشي المدني تابعي، سمع أباه وعثمان وابن عمر و اسامة، وأبا سعيد وأبا هريرة وعائشة وغيرهم روى عنه ابنه داود وسعيد بن المسيب، وخلق من التابعين، واتفقوا على توثيقه توفي المدينة سنة اربع ومئة، وقيل ثلاث ومئة، (تهذيب الاسماء واللغات ١/ ٢٥٦) و(المعارف ص١٠٧).

(٢) فتح الباري (كتاب الاطعمة ٤٣) (٩/ ٥٦٩) صحيح مسلم بشرح النووي (كتاب الأثرية) (١٤/ ٢) سنن أبي دواد سليمان بن الاشعث السجستاني اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، حمص، سوريا، (٤/ ٢٠٨). وانظر (الأحاديث في فضائل المدينة، صالح بن حامد الرفاعي، طباعة مركز خدمة السنة والسيرة النبوية الشريفة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

(٣) الطب النبوي: شمس الدين أبو عبد الله بن قيم الجوزية، تحقيق شعب الارنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤، ص٩٩.

(٤) الامام النووي ، ترجمته في ص١٩٥.

(٥) مسلم بشرح النووي (١٤/ ٣).

المبحث السادس

لطائف واو الثمانية

» في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢)

١. العلماء المثبتون لهذه الواو وأدلتهم:

هذه الواو ذكرها من الأدباء كالحريري[١]، ومن النحويين كابن خالوية[٢]، ومن المفسرين كالثعلبي[٣]، وأبي البقاء العكبري[٤]. وقد عد ابن هشام[٥] هذا المذهب

(١) الحريري : انظر ترجمته ص٧٨

(٢) ابن خالوية : هو الحسين بن احمد بن خالوية الهمذاني (نسبة إلى همذان) من بلاد فارس بإيران، بغدادي المنشأ، حلبي المسكن كنيته ابو عبد الله، تلقى علوم النحو واللغة وعلوم القرآن والحديث عن شيوخ كثيرين مثل ابن دريد ونفطويه، وابن مجاهد وابن الانباري وغيرهم، توفي في حلب سنة ٣٧٠هـ له قدم راسخ في النحو، وله حواشي على جمهرة ابن د ريد. (طبقات المفسرين ١/ ١٥٢).

(٣) الثعلبي: احمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق النيسابوري الثعلبي، صاحب التفسير كان أوحد زمانه في علوم القرآن، يقال له الثعلبي والثعالبي اخذ عنه أبو الحسن الواحدي، له كتاب العرائش في قصص الأنبياء عليهم السلام، روى عن ابن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقريء وجماعة، توفي سنة ٤٤٧هـ رحمه الله(طبقات المفسرين للداوودي ١/ ٦٦).

(٤) العكبري : انظر ترجمته ص١١٧.

(٥) ابن هشام: ابو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف احمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري، ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ تفقه على مذهب الإمام الشافعي ، كان متواضعاً، براً ، حسن الخلق، شديد الشفقة، رقيق القلب، من كتبه أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك، شذور الذهب، شرح قطر الندى، مختصر الانتصاف من الكشاف ومغني اللبيب عن كتب الاعاريب وغيرها كثير، توفي سنة ٧٦١هـ (معجم المؤلفين ٦/ ١٦٣).

مذهب الضعفاء[(١)] . ويرى هؤلاء أن العرب يدخلون الواو بعد السبعة ايذاناً بتمام العدد.

واستدلوا على ذلك بآيات قرآنية:

- أولاً: قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف(٢٢). وقيل في ذلك لعطف جملة على جملة ، إذ التقدير: هم سبعة ، ثم قيل الجميع كلامهم، وقيل: العطف من كلام الله تعالى ، والمعنى نعم هم سبعة وثامنهم كلبهم. وإن هذا تصديق لهذه المقالة، كما ان (رجماً بالغيب) تكذيب لتلك المقالة. ويؤيده قول ابن عباس[(٢)] رضي الله عنهما: حين جاءت الواو انقطعت العدة، أي لم تبق عدة عاد يلتفت اليها، وعند قوله تعالى ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ الكهف(٢٢) كان رضي الله عنهما يقول: أنا من ذلك القليل، هم سبعة وثامنهم كلبهم[(٣)] . و استنبط السهيلي[(٤)] أن عدة أصحاب الكهف سبعة لأن الله تعالى تعطف عليهم الكلب بحرف الواو فقال " وثامنهم كلبهم" ولم يذكر الواو فيما قبل ذلك من كلامهم. والواو تقتضي تقرير الجملة الأولى ، حيث قال(هذه الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر) : (نعم وثامنهم كلبهم) وذلك أن قائلاً لو قال: إن زيداً شاعر فقلت :

---

(١) معني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن يوسف بن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة العصيرية- صيدا، طبعة ٨٧ (٢/ ٣٦٣).

(٢) انظر ترجمته ص.

(٣) تنوير المقباس ص٢٤٥.

(٤) السهيلي: ابو القاسم عبد الرحمن بن الخطيب الخثعمي السهيلي الامام المشهور . والسيهلي نسبة إلى سهيل قرية بالقرب من مالقة بالاندلس، ولد في مالقة سنة ٥٠٨هـ وكف بصره وعمره سبع عشرة سنة نبغ واتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه اليها وأكرمه وأحسن اليه واقبل بوجهه غاية الاقبال عليه، حيث أقام بها ثلاثة أعوام يصنف كتبه إلى أن توفي بها سنة ٥٨١ وهو مشهور في علم النحو وفنون الآدب، و هو صاحب كتاب (الروض الأنف في شرح سيرة الرسول) وهو كتاب زاخر بفوائد العلوم والآداب من أنساب وفقه ونحو (التفسير والمفسرون١/ ٢٧٢).

وفقيه ، كأنك قلت له: نعم هو كذلك ، وفقيه أيضاً ، وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه قال" قيل يا رسول الله ، أنتوضأ بما أفضلت الحمر؟!.

فقال : وبما أفضلت السباع[(١)]" .

وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة(١٢٦) هو من هذا الباب، فكذلك ما أخبره عنهم من قولهم: (ويقولون سبعة) فقال سبحانه (وثامنهم كلبهم) وليس كذلك سادسهم كلبهم، ورابعهم كلبهم لأنه في موضع النعت لما قبله، فهو داخل تحت قوله سبحانه " رجما بالغيب " ولم يقل ذلك في آخر القصة"[(٢)] .

وفي تعقيب لابن قيم الجوزية[(٣)]على استنباط السهيلي (رحمه الله) قال : (وما استنبطه حسن، غير أنه إنما يفيد إذا كان المعطوف بالواو ليس داخلاً في جملة قولهم، بل يكون قد حكى سبحانه أنهم قالوا(سبعة) ثم أخبر تعالى أن (ثامنهم كلبهم) فحينئذ يكون تقريراً لما قالوه وإخباراً بكون الكلب ثامناً، وأما إذا كان الإخبار عن الكلب من جملة قولهم، وأنهم قالوا هذا وهذا لم يظهر ما قاله، ولا تقتضي الواو في ذلك تقريراً ولا تصديقاً فتأمله) [(٤)].

- ثانياً: آية الزمر إذ قيل (فتحت) في آية النار لأن أبوابها سبعة، ثم قيل: (وفتحت)

---

(١) أخرجه الدارقطني وفيه ابراهيم بن اسماعيل بن أبي حبيبه وهو ضعيف ، انظر سنن الدار قطني، على بن عمر الدارقطني تحقيق عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن للطباعة القاهرة، (١/ ٦٢) باب الآسار.

(٢) الروض الانف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الخثعمي قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد، مؤسسة مختار للطباعة، طبعة جديدة مضبوطة ومنقحة (٢/ ٥٦).

(٣) ابن قيم الجوزية: (انظر الترجمة ص١٢٣).

(٤) بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية جمعه ودقق نصوصه وخرج احاديثه: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، جده(٣/ ١١٦).

في آية الجنة إذ أبوابها ثمانية[(١)]. وهي قوله سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ الزمر (٧١) إلى قوله سبحانه: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر(٧١-٧٣) حيث يقول الشيخ لحريري[(٢)](ومن خصائص لغة العرب الحاق الواو في الثامن من العدد كما جاء في القرآن...، ومن ذلك أنه جل اسمه لما ذكر أبواب جهنم ذكرها بغير واو لأنها سبعة فقال: (فتحت أبوابها) وتسمى هذه الواو واو الثمانية) [(٣)].

وفي بيان أهمية هذه الواو يرى الشيخ أن فتحها لهم قبل مجيئهم إنما هو من باب الأكرام لهم عن أن يقفوا حتى تفتح لهم. ثم قا ل : (فإن قيل هل يختلف المعنيان إذا حذفت الواو أو أثبتت؟ قلنا يختلفان بأن الفتح يقع عند مجيء أهل النار، لأن قوله فتحت جزاء الشرط، وحقه إذا كان فعلاً أن لا يدخله واو ولا فاء، ويكون عقيب الشرط. وإذا حذفت الجزاء وعطف عليه فعل ، فقيل حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها، كان التقدير (حتى إذا جاءوها وابوابها مفتوحة) وهذا حكم اللفظ، أما حكم المعنى فإن جهنم لما كانت أشد المحابس...وقع الفتح عقيب مجيئهم ليتطابق بذلك اللفظ والمعنى، ولم يكن هناك حذف. اما الجنة فلأن من فيها يتشوق للقاء أهلها فيفتح الأبواب استبشاراً بهم وتطلعاً اليهم، فيكون ذلك قبل مجيئهم . وحذف الجزاء وإدخال الواو على الفعل المعطوف لذلك فاعرفه، وهو من بديع اللطائف القرآنية[(٤)].

---

(١) يرى ابن هشام أنه لو كان لواو الثمانية حقيقة، لما كانت هذه الآية منها، إذ ليس فيها ذكر العدد البته(مغني اللبيب٢/ ٢٦٣).

(٢) الحريري: انظر ترجمته ص٧٨

(٣) درة الغواص- بشرح الشهاب الخفاجي ص١٤٣.

(٤) شرح درة الغواص- للشهاب الخفاجي ص١٤٣

- ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ التوبة(١١٢) فإنه الوصف الثامن وفي هذا يقول أبو البقاء العكبري: (إنما دخلت الواو في الصفة الثامنة إيذاناً بأن السبعة عندهم عدد تام) [(١)].
- رابعاً: قوله تعالى:﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم(٥) وقد اعترض ابن هشام بقوله: "إن (أبكاراً) صفة تاسعة لا ثامنة، إذ أول الصفات (خيراً منكن) لا (مسلمات) فإن أجاب بان مسلمات وما بعده تفصيل لخيراً منكن. فلهذا لم تعد قسيمة لها قلنا وكذلك "ثيبات وأبكاراً " تفصيل للصفات السابقة فلا نعدهما معهن.

٢. رأي المخالفين وادلتهم:

بعد هذه الجولة مع الآيات الكريمة التي استشهد بها من قال بوجود واو ثمانية نعود إلى الاية الكريمة موضوع بحثنا، والتي فيها قوله سبحانه ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢) قال ابن عطية[(٢)] : طريق النحويين فيها أنها واو عطف دخلت في آخر اخبار عن عددهم لتفصيل أمرهم. وتدل على أن هذا نهاية ما قيل ولو سقطت لصح الكلام[(٣)] قلت: وهذا كلام طيب لولا ما ذيل به من إشارة إلى أن الواو زائدة ليس لها كبير معنى في هذا المقام، وتمنيت لو أن الشيخ رحمه الله ذهب مذهب الشيخ البقاعي[(٤)] حيث يقول: قوله تعالى :﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ الكهف(٢٢) وتأخير هذا الرجم،

---

(١) معني اللبيب٢/ ٣٦٤

(٢) ابن عطية : عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الحاربي، ولد سنة ٤٨٠هـ، ويعتبر كتابه المحرر الوجيز من أشهر كتب التفسير بالمأثورات كان جليلاً عارفاً بالاحكام والحديث والتفسير، نحوياً أديباً بارعاً توفي ليلة خامس عشر من رمضان سنة٥٤٢هـ، تتلمذ على يده كثير من رواد العلم أمثال أبي بكر الاشبيلي وأبي القاسم الأنصاري وابن طفيل الفيلسوف والامام أبي جعفر اللخمي وغيرهم، (تذكرة الحفاظ الحفاظ ٤/ ١٢٦٩) (التفسير والمفسرون١/ ٢٣٨)

(٣) المحرر الوجيز(٣/ ٥٠٨) وهو قول القرطبي أنظر الجامع لأحكام القرآن(١٠/ ٣٨٢)

(٤) نظم الدرر٤/ ٤٦٠.

(وإن كان ظناً) مشعر بانه حق، ويؤيده هذه الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالاً عن المعرفة في النحو كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ الحجر(٤) فإن فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصاف الموصوف بالصفة أمر ثابت مستقر. فدلت هذه الواو على أن أهل هذا القول قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس. وهذا قول كثير من أهل التفسير[(١)].

وذهب الشيخ ابن عاشور[(٢)] إلى أن الواو واو الحال، وهي في موضع الحال من المبتدأ المحذوف، أو من أسم العدد الذي هو خبر المبتدأ. وهو وإن كان نكرة، فإن وقوعه خبراً عن معرفة اكسبه تعريفاً ، على أن وقوع الحال جملة مقترنة بالواو قد عُد من مسوغات مجيء الحال من النكرة،ولا وجه لجعل الواو فيه داخله على جملة هي صفة لقصد تأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما ذهب إليه الكشاف لأنه غير معروف في فصيح الكلام وقد رده السكاكي[(٣)] في المفتاح[(٤)].

ومن لطيف ما قيل في هذه الواو أنها جاءت في هذه الجملة دون غيرها مما تقدمها لتؤذن بأن الذين قالوا: أنهم سبعة كانوا على ثقة مما قالوه، ولم يرجموا بالغيب، ولهذا فصلوا بين القوم وكلبهم الذي ليس منهم الا في العدد، وإن ارتفاع هذه الواو من الجملتين الأوليين جعلهما لا تصفان الا الشك. وسياق الكلام يؤكد أن الحساب في الجملتين من الغلط، وأن القول به لم يصدر عن قطع وتحقيق[(٥)].

---

(١) تفسير النفي (٣/ ٨) الكشاف (٢/ ٤٧٨).

(٢) ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور عالم تونسي معاصر، صاحب تفسير التحرير والتنوير ، الفه خلال تسع وثلاثين وأتمه سنة ١٣٨٠ هـ بتونس.

(٣) السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المعروف بالسكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم، توفي سنة ٤٢٥ هـ.

(٤) التحرير والتنوير ١٥/ ٢٩٢ مفتاح العلوم ص٢٧٦.

(٥) اعجاز القرآن: مصطفى الرافعي، راجعه وضبطه محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة ، القاهرة، الطبعة الثامنة، ص٧١.

٣. مذهب توفيقي مقبول :

وقد حاول الشيخ الكافيجي[١] أن ينحو منحىً وسطاً بشأن هذه الواو فقال: " واو الثمانية في التحقيق هي واو العطف، ولكن لما اختص استعمالها بمحل مخصوص، أو بما ناسب ذلك المحل بوجه من الوجوه ، وتضمنت أمراً غريباً واعتباراً لطيفاً كأنها خرجت من واو العطف على ما هو المعهود في أمثال هذه فاشتاقت اليها النفوس أي اشتياق كما يشهد بذلك وجدانك بشهادة صدق فاستحقت أن تسمى باسم غير اسم جنسها، سميت بواو الثمانية لاختصاصها بها تمييزا لها عن سائر استعمالاتها في غير ذلك المحل، كما سميت الواو في نحو " لا تاكل السمك وتشرب اللبن" واو الصرف، وإن كانت هي في التحقيق واو العطف على ما عرفت، ونظائر هذه الفنون كثيرة جداً، ويؤيده قول بعض المفسرين إنها للايذان بانتهاء تعداد سبعة، وابتداء تعداد أمر آخر معطوف عليه. ولذلك تسمى واو الثمانية فإن قلت : فلم اختص استعمالها بالثمانية ؟ قلت لمناسبة بينها وبين السبعة، وابتداء تعداد أمر آخر معطوف عليه. ولذلك تسمى واو الثمانية. فإن قلت: فلم اختص استعمالها بالثمانية ؟ قلت لمناسبة بينها وبين السبعة، وذلك لأن السبعة عقد تام كعقود العشرات، لاشتماله على أكثر مراتب أصول الاعداد،وأن الثمانية عقد مستأنف فكان بينهما اتصال من وجه ، وانفصال من وجه، وهذا هو المقتضي للعطف ، وهذا المعنى ليس بموجود بين السبعة والستة"[٢].

---

(١) الكافيجي: محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان الرومي الكافيجي ،ولد سنة ٧٨٨هـ توفي سنة ٨٧٩ إمام محقق إمام عصره، وأوحد دهره، ونادر زمانه وفخر أوانه استوعب علوم عصره من الفقه والأصول والتفسير والاعراب والصرف والمعاني والبيان والمنطق، وتصدر للافتاء والتدريس في عدة مشيخات في دمشق والقاهرة، ومن كتبه المشتهرة عند أهل العلم شرح قواعد الاعراب لابن هشام (مقدمة شرح قواعد الاعراب).

(٢) شرح قواعد الاعراب لابن هشام، محيي الدين الكافيجي ، تحقيق فخر الدين قباوة، طبعة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق، ص٤٦٢.

٤. الفيروزأبادي يجمل الأقوال:

وقد أجمل الامام الفيروزابادي[١] أقوال العلماء فيها بقوله : " وفي هذه الواو أقوال:

- **الأول**: إن الأول والثاني وصفان لما قبلهما. أي هم ثلاثة رابعهم كلبهم ، وكذلك هم سبعة، ثم عطف عليهم " سابعهم كلبهم"
- **الثاني**: كل واحد من الثلاثة جملة، وقعت بعدها جملة، فيها عائد يعود منها إليها فأنت في الحاق واو العطف وحذفها بالخيار، وليس في هذين القولين ما يوجب تخصيص الثالث بالواو.
- **الثالث**: وقال بعض النحويين السبعة نهاية العدد، ولهذا كثر ذكرها في القرآن والأخبار. والثمانية تجري مجرى استئناف الكلام، ومن هنا لقبها جماعة من المفسرين بواو الثمانية، واستدلوا بقوله سبحانه " التائبون..." التوبة (١١٢) وبقوله " مسلمات...وأبكاراً" التحريم (٥)، وبقوله " وفتحت أبوابها" الزمر (٧٣) ولكل واحدة من هذه الآيات وجوه ذكرت في مباسيط التفسير.
- **الرابع**: وقيل إن الله تعالى حكى القولين الأولين ولم يرتضهما، وحكى القول الثالث فارتضاه، وهو " ويقولون سبعة" ثم استأنف فقال" وثامنهم كلبهم" . ولهذا قال عقيب الأول والثاني " رجما بالغيب" ولم يقل في الثالث فإن قيل: وقد قال في الثالث: " قل ربي أعلم بعدتهم" فالجواب تقديره: قل ربي اعلم بعدتهم وقد أخبركم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، بدليل قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل ولهذا قال ابن عباس أنا من ذلك القليل فعد اسماءهم.

---

(١) انظر ترجمته ص٧٣

▪ **الخامس:** وقال بعضهم الواو في قوله " ويقولون سبعة" يعود إلى الله تعالى، فذكر بلفظ الجمع كقوله: " إنا وأمثاله[١]"

****

(١) بصائر ذوي التمييز ١/ ٢٩٨.

المبحث السابع

لطائف العدد (تسعة عشر)

في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر(٣٠)

وفيه ستة مطالب:

١. **مقدمة حول هذا العدد وتمييزه.**

٢. **رأي الدكتور محمد رشاد خليفة.**

٣. **رأي السيد حسين ناجي محمد**

٤. **رأي علماء التفسير.**

٥. **الوجه الذي يرجحه الباحث ويميل اليه.**

٦. **الحكمة من تخصيص هذا العدد.**

****

المبحث السابع: لطائف العدد(تسعة عشر)

في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر(٣٠)

المطلب الأول

مقدمة حول هذا العدد وتمييزه

ورد هذا العدد في كتاب الله تعالى في موضع واحد في سورة المدثر في قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ المدثر(٢٦-٣١)وقد ثار جدل كبير حول المقصود من هذا العدد، بعد المحاضرة التي القاها الدكتور محمد رشاد خليفة [(١)]، حول " الدلالات الاعجازية" التي يشير اليها هذا العدد، والتي طورها فيما بعد فصارت كتاباً نيّف على مئتي صفحة، حيث تصدى لمعارضته السيد حسين ناجي محمد[(٢)] وألف في ذلك كتاباً أسماه" تسعة عشر ملكاً" وبلغ عدد صفحاته ستاً وسبعين ومئة صفحة.

أما علماء التفسير السابقون فقد اجتمعت أقوالهم على أن المقصود من هذا العدد خزنه جهنم المحيطون بها، الذين لهم جماع أمر زبانيتها. ولتوضيح ما تقدم نعرض بشيء من التفصيل لثلاث نقاط رئيسية نعقبها بالترجيح للوجه الذي نراه منسجماً مع الأدلة

---

(١) الدكتور محمد رشاد خليفة سبقت ترجمته ص٦.

(٢) حسين ناجي محمد، باحث معاصر عمل مستشاراً للفتوى بمجلس الوزراء الكويتي وهو محامي له عدة مؤلفات وأبحاث منها : فتنة القرن العشرين البهائية عملية الاستعمار والصهيونية، على ميزان القرآن وغيرها.

وأقوال المفسرين وذلك ضمن المطالب التالية:

١. رأي الدكتور محمد رشاد خليفة.

٢. رأي السيد حسين ناجي محمد

٣. أقوال أئمة التفسير.

٤. الوجه الذي يرجحه الباحث.

****

المطلب الثاني

رأي الدكتور محمد رشاد خليفة

يرى الدكتور خليفة أن هذا العدد هو معجزة القرآن الملموسة في هذا الزمن لأنه يمثل عدد حروف الآية الأولى" بسم الله الرحمن الرحيم" ويقول: " إن أحداً لا يستطيع أن يجادل في ذلك، لأن عدد الحروف ليس تفسيراً ولا تخميناً ولا استنتاجا"(١)، ويشير في رسالته "المحاضرة" أنه اكتشف أن كل كلمة في البسملة تتكرر في القرآن الكريم كله عدداً من المرات هو دائماً من مكررات الرقم (١٩).

ومع اعتراف الدكتور خليفة باتفاق علماء التفسير على أن" تسعة عشر " يقصد بها خزنة جهنم وزبانيتها، إلا أنه يرى في تفسيره الجديد، القائم على اعتبار أن " تسعة عشر" هي عدة حروف البسملة، دليلاً دامغاً على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون قول البشر.

وبعد قليل من الكلام ينشط الدكتور في محاضرته ليقرر أن الرقم " تسعة عشر" ليس هو عدد خزنة جهنم" كما كنا نعتقد وكما فسر العلماء القدماء"(٢).

وقدم على ذلك أدلة منها أن سورة العلق وهي أول ما نزل، مكونة من تسع عشرة آية، وأن مرتبتها بين السور" إذا بدأنا العد من سورة الناس" هي ايضاً التاسعة عشرة، وأن سورة الفاتحة المبدوءة بالبسملة نزلت تماماً بعد قوله تعالى في المدثر ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر (٣٠).

ومن الأدلة التي ساقها الدكتور أن كل كلمة في البسملة تتكرر في القرآن كله عدداً من المرات هو دائماً من مكررات التسعة عشر، ويسوق على ذلك مثلاً هو أن " اسم " تتكرر

---

(١) تسعة عشر (دلالات جديدة في اعجاز القرآن) محمد رشاد خليفة دار الفكر دمشق، ص(٧).

(٢) المرجع السابق ص١٢

في القرآن تسع عشرة مرة بالضبط، وكلمة " الله" تتكرر في القرآن(٢٦٩٨) مرة ، وهذا العدد يساوي (١٩×١٤٢) وكلمة " الرحمن" تتكرر في المصحف (٥٧) مرة، وهذا العدد يساوي (١٩×٣) و كلمة " الرحيم" تتكرر (١١٤) مرة، وهذا الرقم يساوي(١٩×٦).

****

المطلب الثالث

رأي السيد حسين ناجي محمد

تصدىٰ الاستاذ ناجي للدكتور رشاد خليفة بضراوة وعنف وألف في الرد عليه كتابين أحدهما كتاب أسماه " تسعة عشر ملكاً" يقع في خمس وسبعين ومئة صفحة عدا الملحقات والتقاريظ، وهو مصدر بثناء من الاستاذ الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً. يصف فيه المؤلف محاضرة الدكتور خليفة، التي طبعت ونشرت ووزعت علىٰ مدىٰ واسع يصفها بأنها" نشرة خبيثة" يروج لها تنظيم سري يعلن الحرب علىٰ الاسلام، تحت ستار من التظاهر بتصديقه، مع دس المغالطات والأكاذيب وصنع التوليفات والتلفيقات الكاذبة.

ويقول الاستاذ حسين أن الرقم (١٩) هو شعار البهائية وسر من أسرارها، وهذه الطائفة لا تؤمن بقيامة ولا بجنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب ، ويدعون أن للقرآن ظاهراً وباطناً[١].

ويشير إلىٰ علاقة البابية والبهائية بالماسونية العالمية التي تعمل دائبة لتقويض بناء الإسلام، وأن توزيع " النشرة الخبيثة" لا تقوىٰ عليه سوىٰ هذه المؤسسات الالحادية[٢].

وفي كتابه" فتنة القرن العشرين " يقول في الشرح الذي يرتضيه للآية الكريمة ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ سورة المدثر (٣٠-٣١): " إن هذه الآيات الكريمة ناطقة بأمرين:

- **الأول** : إن أصحاب النار ملائكة وعددهم تسعة عشر ملكاً.

---

(١) المرجع السابق ص١٦.

(٢) المرجع السابق ص٢١

- **والثانــي** : أن الذيــن يجادولــون في كونه التســعة عشــر ملائكــة وينفــون عنهم هذه الصفة.

وكذلك الذين يجادلون في كونهم تسـعة عشـر أو أقل أو أزيد هؤلاء وهؤلاء قدر الله عليهم الكفر، ووصـف الله تعالىٰ الجدال في الأمور السـابقة بانه فتنة يصيـب بها من علم في سـابق علمه بأن مآله إلىٰ الكفر، وهذه الفتنة التي ذكرها الله تعالىٰ هي التي يوقظها الآن البهائيون والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها" (١).

****

(١) فتنة القرن العشرين حسين ناجي محمد محيي الدين، مطبعة الفيصل الكويت، الطبعة الأولىٰ ص١٢

المطلب الرابع

رأي علماء التفسير

تكاد أقوال المفسرين تتفق على أن ال" تسعة عشر" هم خزنة جهنم من الملائكة الموكلون بأمرها القائمون بتعذيب أهلها[(١)]. ويقوى هذا الوجه أن فصحاء العرب الذين نزل الذكر فيهم فهموا أن المراد هو هذا حتى قال أبو جهل [(٢)] لقريش ثكلتكم أمهاتكم! أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم- أي الشجعان- فيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم [(٣)]؟ ويقويه أيضاً ما جاء في أسباب النزول من أن رهطاً من اليهود سألوا بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال: " الله ورسوله أعلم فجاء جبريل فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام، فنزلت ساعتئذ " عليها تسعة عشر" .

وعليه فقد رأى أكثر أهل التفسير أن تمييز " تسعة عشر" هو ملكاً أو صفاً أو صنفاً أو نقيباً وإن كان الأول هو الأولى وتحرج بعض المفسرين من الجزم بشيء في هذا الموضوع حيث رأوا أنه من المتشابه الذي لا يعلم حقيقته الا الله سبحانه وتعالى.

---

(١) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي، دراسة وتحقيق عادل احمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى(٨/ ٣٦٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي تحقيق وتعليق احمد صادق الملاح، طبعة القاهرة (٥/ ٣٩٦) تفسير الرازي (٥/ ٢٠٣) تفسير فتح القدير (٥/ ٢٣٨).

(٢) ابو جهل: هو عمر بن هشام بن المغيرة المخزومي من أشد الناس عداوة للنبي عليه السلام قتله الله تعالى يوم بدر على يد معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذبن عفراء، ووجده عبد الله بن مسعود وبه رمق فَحَزَّ رأسه، وهو خال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه(سيرة ابن هشام وعلى الحاشية الروض الأنف للسهيلي ، مؤسسة المختار للطباعة ٣/ ٤٢).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره بلفظ قريب من هذا(٧/ ١٦٠) وذكره القرطبي في تفسيره عن ابن عباس والضحاك وقتادة (١٩/ ٨٠) ولم أقف له على تخريج.

المطلب الخامس

خصوصية هذا العدد

يرى بعض أهل التفسير(١) أن الحكمة في تخصيص هذا العدد من المتشابه، وأن الأفضل ترك أمره إلى المولى سبحانه وأشاروا إلى أن ما ذكره بعضهم من وجوه الحكمة ليست إلا تكلفات(٢).

وذكر الشيخ الدين النسيابوري(٣) في بيان الخصوصية وجهاً آخر نراه الأقرب في بيان الحكمة من ذكر هذا العدد لا غيره، حيث قال: وقيل إن العدد على وجهين قليل هو من الواحد إلى التسعة، وكثير هو من العشرة إلى مالا نهاية فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير "(٤).

وقد وضح الشيخ محيي الدين الدرويش(٥) هذا الوجه فقال: " أما الجواب الفني الذي يحل الابهام حلاً أدنى إلى المنطق وأقرب إلى الاقناع، واشبه ببلاغة القرآن

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري، تحقيق ابراهيم عطوة: الطبعة الأولى(٢٩/ ٩٥) وحاشية الشهاب (المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي) على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية بيروت ط١، (٩/ ٣٣٠).

(٢) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي الاندلسي دراسة و تحقيق عادل احمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى(٨/ ٣٦٧).

(٣) النيسابوري: هو نظام الدين بن الحسن بن محمد بن الحسين الخراساني النيسابوري أصله وعشيرته من مدينة قم، نشأ في نيسابور، كان من أساطين العلم، وافر المعرفة بالتفسير والتأويل، وهو من كبار الحفاظ والمقرئين. وكان ورعاً تقياً، له شرح على متن الشافية في فن الصرف لابن الحاجب، وأهم مصنفاته تفسيره المعروف بغرائب القرآن،ورغائب الفرقان، توفي سنة ٣٢٨هـ رحمه الله (التفسير والمفسرون١/ ٣٢٢.

(٤) غرائب القرآن(٢٩/ ٩٥).

(٥) محيي الدين الدرويش انظر ترجمته ص٦٩.

الكريم فهو أن يقال: إنه لا مرية في أن أهل النار يزيدون على أهل الجنة بأضعاف مضاعفة ولأن المؤمنين من كل أمة عشر معشار كفارها[١] ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن الجنة أن عرضها السموات والأرض. فما ظنك بطولها؟! والطول من كل شيء في معترف العادة أكثر من العرض، فأهلها على هذا لا يحصيهم العد ولا يحصرهم الحد، وقد تبين أن أهل النار أضعافهم فهم إلى تجاوز الحد في العد أقرب وأقل ما يظن بالملائكة الموكلين بعذابهم أن تكون عدتهم وفق عدتهم ليكون إزاء كل معذب معذب وهذا عدد لا نهاية له ولا لكميته، فلما اراد الحق الاخبار بعدة هذه الملائكة عدل عن ذكر عددهم الذي هو معلوم عنده،وإن تجاوز النهاية بالنسبة الينا، لئلا يخرج الكلام بكثرة الألفاظ وطول الفصول عن حد البلاغة، إلى إشارة يفهم منها أن عدة هؤلاء الملائكة عدد لا يتناهى مرتبة فاقتصر سبحانه على ذكر آخر مرتبة الآحاد من العدد الأول ، وأول مرتبة العشرات منه. فإن مراتب العدد أربع آحاد، وعشرات، ومئون، وألوف . الأصول منها الآحاد وأول مرتبتها الواحدة ونهاية مرتبتها التسعة وهي عبارة عن تكرار الواحد تسع مرات ثم ينتقل إلى ذكر العشرة التي هي أول مرتبة العشرات، يكررها (كما كرر الواحد) من العشرين الى التسعين، كما فعل في المرتبة الأولى، ثم ينتقل إلى مرتبة الالوف فيكررها تكرير الواحد، وهكذا إلى غير النهاية.

وإذا انتهت مرتبة الألوف عاد إلى مرتبة العشرات ، فقال عشرة الاف إلى ما لا نهاية، لا يزيد على أن يضيف إلى الألف لفظ الآحاد والعشرات فيعود إلى أصول

(١) ورد في الحديث الشريف ما يؤيد ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أول من يدعى يوم القيامة أدم فتراءى ذريته فيقال هذا ابوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك فيقول: أخرج بعث جهنم من ذريتك فيقول : يارب كم أخرج ؟ فيقول أخرج من كل مئة تسعة وتسعين قالوا: يا رسول الله اذا أخذ منا من كل مئة تسعة وتسعون فماذا يبقى منا؟ قال إن أمتي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود" أخرجه البخاري أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري الامام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني دار المعرفة بيروت كتاب الرقاق(٥) باب الحشر رقم الحديث ٦٥٢٩ (١١/٣٧٨).

الأعداد التي لا تتناهى، وهي الآحاد وهي تسعة، وأول العشرات وهي العشرة، فالاقتصار على ذكرهما للعرب الواضعين لهذه الاسماء يشير إلى اعداد لا نهاية لها واستغنى عن لفظتي المئة والألف كما جاء في الكلام من المثال الذي يحتذى على مثاله، والأصل الذي يقاس عليه الفرع واللفظتان يعني المئة والألف عند المخاطب معروفتان والطريق في التكرار قد وضحت"(١).

وقد لمس الامام القرطبي(٢) هذا المعنى لمساً خفيفاً حيث قال : " قلت والصحيح (إن شاء الله) أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء أما جملتهم فالعبارة تعجز عنها"(٣).

وذكر ابن عطية(٤) والبقاعي (٥) رحمهما الله بصيغة التضعيف شيئاً من العلاقة بين البسملة وهذا العدد، حيث جاء في المحرر الوجيز: " وقد قال بعض الناس إنهم (أي زبانية جهنم) على عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم لأن بها تقووا" (٦)

---

(١) اعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش حمص سوريا طبعة ١٩٨٨م (١٠/ ٢٨٤).

(٢) الامام القرطبي: هو عبد الله محمد بن احمد الا نصاري الاندلسي القرطبي ، كان من العباد الصالحين والعلماء الزاهدين له عدة كتب نافعة، أهمها تفسيره المسمى (الجامع لأحكام القرآن) توفي سنة ٦٧١هـ ومن كتبه شرح اسماء الله الحسنى، وكتاب التذكرة بأمور الاخرة وغيرها، (طبقات المفسرين٢/ ٦٩).

(٣) الجامع لاحكام القرآن(١٩/ ٧٩

(٤) ابن عطية: عبد الحق بن غالب عبد الرحمن بن عطية المجازي الاندلسي ولد سنة ٤٨٠هـ ويعتبر كتابه المحرر الوجيز من أشهر كتب التفسير بالمأثور، كان جليلاً عالماً بالاحكام والحديث والتفسير، نحوياً لغوياً أديباً بارعاً، توفي ليلة الخامس عشر من رمضان سنة ٥٤٢هـ (تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٦٩) التفسير والمفسرون ١/ ٢٣٨.

(٥) البقاعي : هو برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي صاحب تفسير (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) اشتغل في تأليف كتابه في القاهرة ثم رحل إلى دمشق فأتم تفسيرن هناك توفي رحمه الله سنة٨٨٥هـ.

(٦) المحرر الوجيز٥/ ٣٦٩.

وجاء في نظم الدرر " ويروى عن عبد الله بن مسعود[١] رضي الله عنه أن قراءة البسملة تنجي من خزنة النار فإن عليها تسعة عشر حرفاً كل حرف منها لملك منهم"[٢] .

ونلاحظ من كلا القولين على ضعف سندهما أنهما يثبتان ما ذهب إليه المفسرون من أن الـ (تسعة عشر) هم خزنة جهنم ، وإن كان القول الثاني يثبت أن على النار تسعة عشر حرفاً هي حروف البسملة وأنها بعدد خزنة جهنم تحفظ من قرأها منهم. ومن الوجوه التي ذكرها المفسرون لتخصيص هذا العدد ما ذكره الأمام الرازي[٣] وغيره حيث قال:

" وذكر أرباب المعاني في تقدير هذا العدد وجوهاً:

- أحدها: وهو الوجه الذي يقوله أرباب الحكم، أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية، أما القوى الحيوانية فهي الخمسة الظاهرة والخمسة الباطنة والشهوة والغضب، ومجموعها اثنتا عشرة أما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغانية والنامية والمولدة وهذه سبعة فالمجموع تسعة عشر فلما كان منشأ هذه الآفات هو هذه التسعة عشر لاجرم كان عدد الزبانية هكذا.

(١) ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، يكنى أبا عبد الرحمن وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم بدراً وبيعة الرضوان وجميع المشاهد وكان على قضاء الكوفة وبيت مالها لعمر وصدراً من خلافه عثمان، ثم صار إلى المدينة فتوفي بها سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن بضع وستين سنة، ودفن بالبقيع، وكان نحيفاً قصيراً شديد الأدمة، وكان لا يغير شيبه، رضي الله تعالى عنة(التفسير والمفسرون١/ ٨٣) المعارف ص١٠٩.

(٢) نظم الدرر ٨/ ٢٣١.

(٣) الامام الرازي: ابو عبد الله محمد بن عمر الحسن التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين المعروف بابن الخطيب الشافعي ولد سنة ٥٤٤هـ كان فريد عصره، ومتكلم زمانه ك ان إماماً في التفسير وعلم الكلام واللغة، اكتسب شهرة عظيمة وكان العلماء يقصدونه من البلاد اخذ العلم عن والده المعروف بخطيب الري، من أهم مصنفاته تفسيره الكبير المسمى بمفاتيح الغيب والمحصول في أصول الفقه، ويقال إنه شرح المفصل في النحو للزمخشري وشرح الوجيز في الفقه للغزالي، توفي سنة٦٠٦هـ رحمه الله (التفسير والمفسرون١/ ٢٩٠).

- **ثانيهما:** أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار، وواحد للفساق ثم إنهم يدخلون النار لثلاثة أمور: ترك الاعتقاد وترك الأقرار وترك العمل فيكون لكل من تلك الأبواب الستة ثلاثة والمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك زبانية بسبب ترك الاعتقاد، ولا بسبب ترك القول بل بسبب ترك العمل فلا يكون على بابهم الا زبانية واحدة فالمجموع تسعة عشر.

- **ثالثهما:** إن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مشغولة بالصلوات الخمس، فيبقى تسع عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية تسعة عشر"[١] ويشبه هذا الكلام ما ورد أيضاً في كتاب غرائب القرآن للنيسابوري[٢].

وهذه الوجوه التي نسبها الامام الرازي لأرباب المعاني لا تخلو من تمحل وتكلف يمكن الاستغناء عنه برد الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وهو سبحانه أعلم بمراده، فقد ورد عن عمر بن الخطاب[٣] رضي الله عنه قوله : "نهينا عن التعمق والتكلف"[٤] خاصة وأن العلم بحقيقة هؤلاء التسعة عشر لا ينبنى عليه حكم تكليفي.

ويرى الإمام النسفي[٥] أنه لا يطلب في الاعداد العلل، ألا أنه ذكر بعض أقوال العلماء في تخصيص الخزنة بهذا العدد، فمن هذه الأقوال:

١. إن ستة منهم يقودون الكفرة إلى النار، وستة يسوقونهم ، وستة يضربونهم بمقامع من حديد، والآخر خازن جهنم ، وهو مالك ، وهو الأكبر .

---

(١) تفسير الرازي ٥/ ٢٠٣

(٢) انظر غرائب القرآن، ورغائب الفرقان نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري تحقيق ابراهيم عطوة، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الأولى،(٢٩/ ٩٩٥).

(٣) عمر بن الخطاب : أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، وسيرته لا تخفى.

(٤) اخرجه البخاري عن أنس في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ولفظة (كنا عند عمر بن الخطاب البخاري بيروت دار المعرفة (١٣/ ٢٧١).

(٥) الامام النسفي : سبقت ترجمته ص٨٦

٢. في سقر تسعة عشر دركاً وقد سُلط على كل درك ملك.

٣. يعذب فيها تسعة عشر لوناً من العذاب وعلى كل لون ملك موكل.

٤. إن جهنم تحفظ بما تحفظ به الأرض من الجبال وهي تسعة عشر وإن كان أصلها مئة وتسعين إلا أن غيرها يشعب عنها[١].

ومثل هذه الأقوال لا يصح ان تقال بالرأي وانه لم يرد دليل على صحتها فيمكن القول إنها كالأقوال التي سبقت، تحتاج إلى دليل يؤيدها.

وفي بيان وجه تسمية العدد(تسعة عشر) في الآية الكريمة(مثلاً حيث يقول المولى سبحانه ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ﴾ المدثر (٣٠) يقول الامام النسفي رحمه الله " ولما كان ذكر هذا العدد في غاية الغرابة، وأن مثله حقيق أن تسير به الركبان سيرها بالأمثال سمي مثلاً والمعنى أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب وأي معنى أراد في أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين"[٢]

****

(١) تفسير النسفي (٤/ ٣١٠)

(٢) المصدر السابق (٤/ ٣١١).

المطلب السادس

الوجه الذي يرجحه الباحث ويميل إليه

لا أرىٰ من الحكمة في شيء أن نقلل من قيمة البحث الذي أعده الدكتور محمد رشاد خليفة حول هذا العدد وما توصل اليه من نتائج، رغم ما فيها (من توليف وتلفيق ومغالطة) علىٰ حد قول الاستاذ حسين ناجي لمجرد أنها تتفق مع ما يزعمه البهائيون من قداسة لهذا العدد فإن ملاقاة الحق الباطل عند نقاط التقاطع ومفارق الطريق لا يعني ائتلافهما واتفاقهما وكم تمنيت لو أن الاستاذ حسين ناجي أتاح فرصة للاستفادة من المساحة الصافية في هذه الدراسة الخالية من (التواليفات والتلفيقات) فهي وحدها كافية للتوقف والتأمل فيما وراء ذلك من دلالة وربما اعجاز.

وأشعر أن في رد كلام الدكتور محمد رشاد كله خسارة ليس لها ما يبررها اذا تنبهنا للمخاطر التي نبهت لها دراسة الاستاذ حسين ناجي وأغلقنا المداخل علىٰ كل ما تروج له البهائية والاطراف المتعاونة معها عبر التاريخ.

ولكم رغبت في سماع رد الدكتور محمد رشاد علىٰ ما أثاره الاستاذ حسين ناجي من اعتراضات وما أرسله من صواعق علىٰ بحثه، تبرئة لنفسه من تهمة الوقوف في جانب البهائية وأشياعها، مثلما تمنيت لو أن المغالاة لم تأخذ منه مأخذها عندما زعم أنه بهذه الدراسة يستطيع تحديد عمر الرسالة المحمدية، وتحديد موعد القيامة وظلت هذه الأماني تطوف بخاطري إلىٰ أن قرأت ما نسبه اليه واحد من اصدقائه من أنه لا يعترف بالسنة ولا بأحاديث كتب الصحاح وأن له اقتراحات منها حذف كلمة (وأشهد أن محمداً رسول الله) من التحيات، وتقليص الفاظ الأذان !! " وأن الشطط بلغ به مبلغاً أكبر من ذلك حتىٰ قال – إن صح ما نسبته إلىٰ مجلة روز اليوسف في عددها رقم ٢٩٦١ الصادر في ١١/ ٣/ ١٩٨٥م إن مقام النبوة يمكن أن يصله أي مسلم وقد يتفوق عليه!! فترجح عندي

أن الدكتور رشاد مائل عن الحق، وأخشى أن يكون من جنود الباطل المستترين تحت قناع لم يعد يواري من يقف وراءه.

ولكن الحيرة تأخذ من الإنسان مأخذها وهو يطالع نص محاضرته التي طورها حتى صارت كتاباً حيث لا يجد فيها أية إشادة ببهائية ولا بابية ولا ماسونية، بل على العكس من ذلك فهو يشيد بالقرآن واعجازه وأنه رسالة الله تعالى إلى الناس كافة!!.

أقول هذا من أجل أمر واحد وهو ضرورة الاستفادة من القدر المتفق عليه غير المختلف فيه في هذه الدراسة، وتركه للباحثين فعسى أن يصلوا منه إلى شيء في يوم ما.

وأما ما بقي فنتركه على ما فيه من (توليفات وتلفيقات ومغالطات) لافتين النظر إلى أن من ضروريات البحث أن يلتزم الدكتور خليفة طريقاً واحداً ومكيالاً ثابتاً عند الاحصاء والعد وأن لا يترك للمزاج دوراً في هذه المسألة الحساسة.

وهذه الحلقة المفقودة تكون أكبر عوامل الضعف في بحثه ليعود كبالون هؤاء ثقب فعاد خواء (كما قال السيد حسين ناجي).

هذا اذا صرفنا النظر عما نمي اليه من أقوال تخرج صاحبها من الملة و تضعه في زمرة الدجاجلة والمشعوذين.

وبعيداً عما طرحه خليفة من رأي وما أثاره ضد الاستاذ حسين ناجي فإن رأي جمهور أهل العلم من المفسرين بالرواية والدراية هو الأحرى بالاتباع وهو الأقرب للصواب فالأدلة كلها تحتشد معه، وكذلك اسباب النزول وردود فعل الكفار إذ ذاك، حيث ظهر كيف أن هذا العدد في خزنة جهنم كان فتنة للذين كفروا وزيادة لإيمان المؤمنين.

والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل

****

المبحث الثامن

لطائف العدد المعدول عن أصله

وفيه ثلاثة مطالب

١. معنى العدل، وسبب منع المعدول من الصرف.

٢. رأي العلماء في تعريف المعدول.

٣. لطائف قول تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ النساء (٣).

****

المطلب الأول

معنى العدل وسبب منع المعدول من الصرف

العدل هو تحويل الاسم من حالة إلى أخرى مع بقاء المعنى الأصلي. وهو أحد موانع الصرف.

ويقع العدل في المعارف مثل عمر ، زفر، زحل، حذام، فإنها معدولة عن عامر وزافر وزاحل حاذم، ويقع ايضاً في الصفات مثل احاد وموحد وثناء ومثنى[(١)] وهذا النوع هو الذي يعنينا لأن العدل واقع فيه بالعدد، ففي قوله تعالى: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ النساء (٣) نجد أن هذه الكلمات (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن أعداد مكررة هي اثنان ، ثلاثة ثلاثة، اربعة اربعة.

وفي بيان سبب منع هذه الكلمات من الصرف أقوال:

قول سيبويه[(٢)] والخليل بن احمد[(٣)] وهو رأي الإمام الشوكاني[(٤)] في تفسيره : إن السبب هو العدل والوصفية.

---

(١) قطر الندى وبل الصدا ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري مطبعة السعادة مصر، الطبعة الأولى، ص٣١٤.

(٢) سيبويه : هو عمر بن عثمان بن قنبر، فارسي الاصل، كنيته أبو بشر ولد بالبيضاء في بلاد فارس، ونشأ في البصرة من شيوخه حماد بن سلمة ولأخفش الاكبر وابو عبد الرحمن الضبي و الخليل بن احمد، و الراجح أن وفاته كانت سنة ١٨٠هـ ارتحل إلى بغداد في خلافة الرشيد، وحصلت هناك مناظرته في المسألة الزنبورية المعروفة ولم يطب مقامه هناك فرحل إلى الاهواز حيث توفي هناك رحمه الله (كتاب سيبويه عالم الكتب،(١/ ٣).

(٣) الخليل بن احمد: هو ابو عبد الرحيم البصري الفراهيدي، كان ذكياً لطيفاً فطناً ، متفق على جلالته وفضله في العربية وهو شيخ سيبويه توفي البصرة سنة ١٧٠هـ عن اربع وسبعين سنة رحمه الله تعالى.

(٤) الشوكاني: سبقت ترجمته .

المطلب الثاني

رأي العلماء في تعريف المعدول

يرىٰ شيخ المفسرين الأمام الطبري[١] (رحمه الله) أن هذه الكلمات معارف لأسباب منها:

١. إنها لا تضاف إلىٰ ما تضاف إليه الأعداد الأصلية، فنقول مثلاً ثلاثة رجال، ولا نقول ثُلاث رجال، أو رُباع رجال.

٢. إن الألف واللام لا تدخل هذه الصيغ فلا نقول المثنىٰ والثلاث، والرباع. وفي ذلك دليل علىٰ أنها اسماء للعدد معرفة. ولو كانت نكرات لدخلت عليها الألف واللام، ولأضيفت كما تضاف (الثلاثة) و(الأربعة).

ويبدو أن هذا غير مسلم عند الشيخ النسفي[٢] (رحمه الله) فيرىٰ أنهن نكرات، يعرفن بلام التعريف. نقول: فلان لا ينكح المثنىٰ والثلاث والرباع[٣].

وهكذا فمن جعلها نكرة، وذهب بها إلىٰ الاسماء صرفها وأدخل عليها التنوين، واجاز أن نقول: أدخلوا ثُلاث ثُلاث، وثلاثاً ثلاثاً[٤].

****

---

(١) الامام الطبري: ابو جعفر محمد بن جرير، أمام جليل ومجتهد مطلق ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ واستقر في بغداد، برع في القراءات والتفسير والحديث والفقة والتاريخ، كان شافعي المذهب ثم انفرد بمذهب مستقل، توفي سنة ٣١٠(التفسير والمفسرون) وانظر تفسير الطبري ٢/ ٣٩٠).

(٢) الامام النسفي: انظر ترجمته ص٨٦.

(٣) تفسير النسفي (٢/ ٢٠٦).

(٤) معاني القرآن للفراء (١/ ٢٥٤).

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ النساء(٣) وقوله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ فاطر(١).

» المعدول: تكرار بقصد التوزيع

صيغة مَفْعَل وفُعال من أسماء الأعداد من واحد إلى أربعة وقيل إلى ستة وقيل إلى عشرة وهو الأصح. وهي كلها تدل على معنى تكرير اسم العدد لقصد التوزيع كقوله تعالى ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ فاطر(١) أي لطائفه جناحان، ولطائفه ثلاثة، ولطائفه أربعة. والتوزيع في آية النساء لاختلاف المخاطبين في السعة والطول[(١)].

قالت بنت الشاطي[(٢)]: "ويخطيء سر العربية من لا يفرق بين مثنى وثلاث ورباع، وبين اثنين وثلاث وأربع مجموعها تسع، فالأعداد لا تجمع إلا إذا جاءت على أصلها غير المعدول بها إلى مثنى وثلاث ورباع.

كما يخطئه(أي سر العربية) من لا يميّز بين مثنى وثلاث ورباع بما يفيد من اباحة التعدد مثنى وثلاث ورباع بحسب الظروف والاحوال، وبين مثنى وثلاث ورباع بما يفيد

---

(١) التحرير والتنوير(٣/ ٢٢٥) المحرر الوجيز لابن عطية(٤/ ٤٢٨).

(٢) هي الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن، استاذة معاصرة وباحثة اسلامية، لها كتاب الاعجاز البياني للقرآن، ومن كتبها أم النبي صلى الله عليه وسلم، نساء النبي رضي الله تعالى عنهن، بنات النبي رضي الله عنهن، السيّدة زينب عقيلة بني هاشم رضي الله عنها، وكتاب سكينة ينت الحسين. عملت استاذة للأدب في جامعة عين شمس، وعملت استاذة للدرسات القرآنية بجامعة القرويين في المغرب.

من أن دلالة التخيير تقتصر فيها إما على مثنى أو ثلاث أو رباع"(١).

وفي بيان فائدة (الواو) في النص الكريم من سورة النساء والفرق بينها وبين (أو) يمكن الا ستئناس لفهم هذه اللطيفة بالآية الكريمة من سورة فاطر وهي قوله تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فاطر(١) وآية سبأ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ (٤٦). فندرك دلالة الواو في مثل هذا السياق بما يفيد كون الملائكة ليسوا جميعاً سواء أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع بل منهم اولوا اجنحة مثنى ومنهم اولوا اجنحة ثلاث ومنهم اولوا اجنحة رباع. وفي آية سبأ يجوز لهم أن يقوموا فرادى أي وحداناً ومجتمعين. ولو كان القول مثنى أو فرادى للزم أن يقوموا جميعاً إما مثنى إما فرادى.

وبهذا الاستئناس لا نرى السياق يستقيم، بل لا نرى المعنى يصح إطلاقاً إذا ما وضعنا (أو) نيابة عن (الواو) في آية النساء لأن مقتضى التخيير بأو أن ينكحوا ثلاثاً أو رباعاً. وليس هذا هو الحكم المستفاد من الآية في إباحة تعدد الزوجات مثنى وثلاث ورباع(٢).

ولما كان الخطاب للجميع حَسُنَ اختيار الالفاظ المعدولة الدالة على العدد المكرر، وكانت من الايجاز ليصيب كل من يريد الجمع من أفراد المخاطبين ثنتين فقط أو ثلاثاً أو اربعاً فقط، وليس بعد ذلك غاية في التعدد.

"وليس انعطاف بعض هذه الاعداد على بعضها إنعطاف جمع، وإنما عدلت العرب بهذه الألفاظ إلى هذه الصيغ لتستغني بها عن تكرير الاسم، ويدل معناها على ما يدل عليه مجموع الاسمين. ولهذا امتنع أن يقولوا لواحد هذا أحاد ولا للاثنين هما مثنى. ولم يمتنعوا من ذلك الا لزيادة معنى في أحاد على واحد وفي ثناء على اثنين"(٣).

---

(١) الاعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الازرق، د.عائشة عبد الرحمن بنت الشاطيء، دار المعارف، القاهرة، ص.

(٢) الاعجاز البياني ومسائل ابن الازرق ص.

(٣) درة الغواص بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ص٢٠٠.

وقد زاد الامام الزمخشري هذا المعنى توضيحاً حيث قال: " الخطاب للجميع، فوجب التكرير لصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من الجمع الذي أطلق له، كما نقول للجماعة اقتسموا هذا المال درهمين درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، ولو أفردت لا يكون له معنى.

فإن قلت: فلم جاء بالعطف بالواو دون أو ؟!

قلت: جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك، ولو ذهبت تقول :"اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة علمت أنهم لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها، فيجعلوا بعض القسم على تثنية، ويعطيه على تثليث، وبعضه على تربيع، ولذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو.

وتحريره أن الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع، إن شاءوا مختلفين في تلك الأعداد، وإن شاءوا متفقين فيها محظوراً عليهم ما وراء ذلك"(١).

ويقول صاحب نظم الدرر(٢) أن صيغ العدد المعدول عن أصله مثل قوله تعالى ﴿مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ النساء(٣) تفيد إباحة النكاح حال كون هذا المأذون في نكاحه موزعاً هكذا اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً اربعاً لكل واحد.

وهذا الحكم عرف من العطف بالواو.ولو كان بأو لما أفاد التزوج الا على أحد الوجوه الثلاثة.ولم يفد التخيير المفيد للجمع بينهما على سبيل التوزيع(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فاطر(١) يفيد العدد المعدول أن

---

(١) الكشاف(١/ ٤٩٧) وانظر النسفي(١/ ٢٠٦) ونظم الدرر(٢/ ٢٠٩).

(٢) صاحب نظم الدرر: هو الشيخ برهان الدين البقاعي، انظر ترجمته ص١٥٣.

(٣) نظم الدر(٢/ ٢٠٩).

المولىٰ سبحانه خلق للملائكة لكل واحد جناحين جناحين لمن لا يحتاج فيما صرف الية اكثر من ذلك. ولعله ذكره للتنبيه علىٰ أن ذلك أقل ما يكون بمنزلة اليدين.

ولما كان ذلك زوجاً نبّه علىٰ أنه لا يتقيد بالزوج فقال: (وثلاث) أي وثلاثة ثلاثة لآخرين منهم. ولما كان لو اقتصر علىٰ ذلك لظهر الحصر فيه نبه بذكر زوج الزوج. علىٰ أن الزيادة لا تنحصر بهذا العدد، فقال ورباع أي أربعة لكل واحد من صنف آخر منهم.

وفي هذا إظهار لتمام قدرة المولىٰ سبحانه واختياره، حيث تتفاوت هذه المخلوقات بالهيئات حسب ما قرره المولىٰ سبحانه لها من وظائف. وأنه سبحانه ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ فاطر(١) من المخلوقات والهيئات والمعاني التي لا تدخل تحت حصر، من الذوات والمقادير والألوان والاشكال واللطافة والثقالة والكثافة وغير ذلك[1]. قال الشيخ محمد سيد طنطاوي[2]: " وما ذكر من عدٍّ للدلالة علىٰ التكثير والتفاوت، لا للتعيين ولا لنفي النقصان عن اثنين"[3].

****

(١) نظم الدرر٦/ ٢٠٠، هيمان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الوهبي الاياضي، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة- سلطنة عمان،(١٢/ ٢/ ٢٣٩).

(٢) محمد سيد طنطاوي : سبقت ترجمته ص١١٢.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن، محمد سيد طنطاوي، مكتبة المعارف القاهرة، طبعة١٩٩٢)(١١/ ٣٢-).

المبحث التاسع

لطائف جمع القلة والكثرة

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة (٢٢٨).

- دلالة الاتيان بجمع الكثرة موضع جمع القلة.

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ لقمان (٢٧)

- دلالة الاتيان بجمع القلة موضع جمع الكثرة.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ التوبة (٣٦).

- ضمير المفرد مع الكثرة وضمير الجمع مع القلة.

****

المطلب الاول

لطائف قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة(٢٢٨).

دلالة الايتان بجمع الكثرة موضع جمع القلة:

جمع القلة يكون لما بين الثلاثة والعشرة، وجمع الكثرة لما فوق ذلك. وقد ورد كلا نوعي الجمع في القرآن الكريم، إلا أنه يلاحظ أحياناً أن المميز يأتي في القرآن بصيغة جمع الكثرة في موضع جمع القلة. كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة(٢٢٨) فأية لطيفة في ذلك؟! ولماذا اختار(قروء) بدلاً من (أقراء)؟

اجاب المفسرون على ذلك بأجوبة كثيرة منها:

١. إن ذلك من باب الاتساع في الاستعمال لكل من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية(أي أن كلاً منهما جمع)، ألا ترى أنه قال: (بأنفسهن) وما هي الا نفوساً كثيرة، ومع ذلك لم يقل(بنفوسهن).

٢. لعل (قروء) كانت أكثر استعمالاً في جمع (قرء)من (أقراء) فأوثرعليه تنزيلاً لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم : شسوع؟[1]

٣. ذكر الشيخ السمين الحلبي[2] في تفسيره أنه لما جمع المطلقات جَمَعَ القروء لأن كل مطلقة تتربص ثلاثة أقراء، فصارت كثيرة بهذا الاعتبار[3]. وعبر الشيخ

---

(١) الكشاف(١/ ٣٦٦،٣٩٣) تفسير النسفي(١/ ١١٤) شرح ابن عقيل(٢/ ٤٠٦) البحر المحيط(٢/ ١٩٨).

(٢) السمين الحلبي: سبقت ترجمته ص١٢٢.

(٣) الدرر المصون(٢/ ٤٣٨) البرهان في علوم القرآن(٤/ ٢٣) درة الغواص، طبعة دار نهضة مصر- ص٢٢٣ املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب والقراءات في جميع القرآن، أبو البقاء العكبري، تحقيق ابراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية:(١/ ٩٥).

الحريري عند ذلك بقوله: " أي لتتربص كل واحدة من المطلقات ثلاثة أقراء فلما أسند إلى جماعتهن (ثلاثة)، والواجب على كل واحدة منهن ثلاثة، أتى بلفظة (قروء) ليدل على الكثرة المرادة والمعنى الملموح[١].

٤. إن (قروء) جمع (قَرء) بفتح القاف، فلو جاء على أقراء لجاء على غير قياس، لأن (أفعال) لا يطرد في (فَعْل) بفتح الفاء[٢].

****

(١) درة الغواص ص٢٢٣.

(٢) الدر المصون ٢/ ٤٣٨.

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لقمان(٢٧)

» دلالة الاتيان بجمع القلة موضع جمع الكثرة

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لقمان (٢٧) المراد بالسبعة هنا الكثرة بحيث تشمل المائة والألف مثلاً لا خصوص العدد المعروف، واختيرت لها لأنها عدد تام. ولما لم تكن موضوعة في الأصل لذلك بل للعدد المعروف القليل، جاء تميزها بلفظ القلة دون بحور، وإن كان لا يراد به إلا الكثرة ليناسب بين اللفظين، فكما تجوز في السبعة واستعملت للتكثير، تجوز في أبحر واستعملت فيه أيضاً[١].

وقد رأى صاحب درة الغواص[٢] أن من أوهام الخواص القول ثلاثة شهور أو سبعة بحور. وقرر أن الاختيار أن يقال ثلاثة أشهر وسبعة أبحر ليتناسب نظم الكلام، ويطابق العدد المعدود، كما جاء في القرآن الكريم ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ التوبة(٢)، وفيه ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ لقمان(٢٧)، والعلم في هذا الإختيار أن العدد من الثلاثة إلى العشرة وضع للقلة، فكانت اضافته إلى مثال الجمع القليل المشاكل له اليق به، وأشبه بالملائمة له[٣].

****

(١) روح المعاني(٢١/ ٩٨).

(٢) هو القاسم علي بن محمد الحريري وقد سبقت ترجمته ص٧٨.

(٣) درة الغواص ص٢٢٢.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ التوبة(٣٦).

» ضمير المفرد مع الكثرة وضمير الجمع مع القلة

يلاحظ أن الضمير في (منها) يعود إلى (اثنا عشر) وهو جمع كثرة.ولم يقل (منهن) ثم قال سبحانه: (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) فهذا عائد إلى الاربعة وهو جمع قلة.

فأية لطيفة في ذلك، ولماذا أتى مع الكثرة بضمير المفرد، ومع القلة بضمير الجمع؟ وهلا كان العكس ؟!

في توجيه ذلك سر لطيف ذكره الامام الزركشي(١) نقلًا عن الفراء(٢) وهو أنه لما كان المميز في جمع الكثرة واحداً وحد الضمير فقال(منها)، لأنه من أحد عشر يصير مميزة واحداً(أي مفرداً كما هو مقرر) وهو أندرهم. أما جمع القلة فمميزة جمع لأنك تقول: (ثلاثة دراهم، أربعة دراهم) وهكذا إلى العشرة تمييزه جمع. فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميز جمعاً وإفراداً. فقال في القلة(فيهن) وفي الكثرة(منها)فتأمل(٣).

ويرى الأمام الطبري(٤) شيخ المفسرين أن أولى الأقوال هو قول من قال: " المعنى فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم باستحلال الحرام في هذه الأشهر؛فإن الله عظمها

---

(١) سبقت ترجمته ص٧٠.

(٢) سبقت ترجمته ص.

(٣) البرهان في علوم القرآن(٤/ ٢٣).

(٤) سبقت ترجمته ص١٦٢.

وعظمّ حرمتها. وإنما استحسن الأمام ذلك لأن النص الكريم أخرج الكناية عن هذه الأشهر مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة. وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة إذا كنّت عنه: فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين. وإذا اخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة ليلة خلت، ولاربع عشرة مضت، فكان في قوله جل ثناؤه ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ التوبة (٣٦) وفي كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهنّ عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الأشهر الأربعة دون الاثنى عشر، لأن ذلك لو كان كناية عن الأثني عشر شهراً لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم"[١].

وقد اختصر الحريري[٢] هذه المسألة في جملتين، حيث قال: " جعل ضمير الاشهر الحرم الهاء والنون لقلتهن، وضمير شهور السنة الهاء والالف لكثرتها"[٣].

****

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق بشار عواد وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى(٤/ ١٠٥).

(٢) سبقت ترجمته ص٧٨

(٣) درة الغواص ص٣١٢.

المبحث العاشر

لطائف العمليات الحسابية

وفيه اربعة مطالب

المطلب الاول

لطائف قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة(١٩٦).

١. الحكمة من تفرقة الأيام على هذا النحو.

٢. فائدة الفذلكة في النص الكريم.

٣. وصف العشرة بالكمال.

٤. سبب حذف التمييز في (سبعة)

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت(١٤).

١. نكتة الاستثناء بهذه الطريقة.

٢. فائدة مجيء التمييز بالسنة أولاً وبالعام ثانياً.

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الأعراف(١٤٢).

١. الحكمة من ذكر الثلاثين واتمامها بعشر.

٢. الحكمة من ذكر المدة في سورة البقرة مجموعة غير مفَّرقة.

المطلب الرابع

لطائف قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا﴾ الكهف(٢٥)

١. إضافة المئة إلى الجمع!.

٢. إعراب(سنين)

٣. سبب العدول عن (ثلاثمائة وتسع سنين).

٤. السَّنةُ العام.

****

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة(١٩٦).

١. الحكمة من تفرقة الأيام على هذا النحو.

ليس من شك في أنّ هذا الحكم يلحظ فيه جانب التخفيف والرحمة على عباد الله انسجاماً مع مقاصد الشريعة المتعلقة بكف الأذى عن العباد. ورفع العسر والمشقة عنهم.

قال ابن عاشور[(١)] : " وقد سئلت عن الحكمة في كون الأيام عشرة، فأجبت بأنه لعله نشأ من جمع سبعة وثلاثة، لأنهما عددان مباركان. ولكن فائدة التوزيع ظاهرة وحكمة كون التوزيع إلى عددين متفاوتين لا متساويين ظاهرة، لاختلاف حالة الاشتغال بالحج، ففيها مشقة، وحالة الاستقرار بالمنزل.

وفائدة جعل الصوم في مدة الحج جعل بعض العبادة عند سببها، وفائدة التوزيع إلى ثلاثة وسبعة أن كليهما عدد مبارك ضبطت بمثله أعمال دينية وقضائية"[(٢)].

قال العلامة الالوسي[(٣)] (رحمه الله): " فإن قلت ما الحكمة في كونها كذلك حتى يحتاج إلى تفريقها المستدعي لما ذكر؟!أجيب بأنها لما كانت بدلاً عن الهدي، والبدل يكون في محل المبدل منه غالباً جعل الثلاثة بدلاً عنه في زمن الحج، وزيد عليها السبعة

---

(١) ابن عاشور: سبقت ترجمته ص٦٩.

(٢) التحرير والتنوير(٢/ ٢٢٩).

(٣) الألوسي: شهاب الدين محمد أفندي الالوسي البغدادي، ولد في بغداد سنة ١٢١٧هـ علامة في المعقول والمنقول،اشتغل بالتدريس وهو ابن ثلاث عشر سنة،سافر إلى قسطنطينية وعرض تفسيره على السلطان عبد المجيد فنال اعجابه، توفي سنة ١٢٧٠هـ رحمه الله(التفسير والمفسرون).

علاوة لتعادله من غير نقص في الثواب، لأن الفدية مبنية على التيسير، ولم يجعل السبعة فيه لمشقة الصوم في الحج.

وللإشارة إلى هذا التعادل وصفت العشرة بأنها كاملة. فكأنه قيل: " تلك عشرة كاملة" في وقوعها بدلاً من الهدي(١).

٢. فائدة الفذلكة في النص الكريم

الفذلكة هي خلاصة جمع الاعداد، لأن الحاسب إذا جمع ثلاثة إلى عشرة يقول فذلك عشرة.

وإنه من السهولة بمكان معرفة حاصل جمع الثلاثة إلى السبعة دونما حاجة إلى عمليات حسابية، فما هي النكتة فيما اختاره النص الكريم والذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة(١٩٦)؟!

وقد أجاب المفسرون عن ذلك إجابات كثيرة منها:

١. إن الواو قد تأتي للإباحة نحو قولنا: جالس الحسن وابن سيرين،الا ترى أنه لو جالسهما جميعاً أو واحداً منهما كان ممتثلاً؟! ففذلكت لنفي توهم الاباحة والتخيير الذي يجوز معه الجمع ولا يتعين(٢).

٢. أفاد الجمع معرفة عدد الأيام المطلوب صيامها جملة، كما عرفت تفصيلاً. وفي أمثال العرب: علمان خير من علم(٣).

---

(١) روح المعاني٢/ ٨٤.

(٢) الكشاف (١/ ٣٤٥) الشيخ زادة على البيضاوي(١/ ٥٠٥) التفسير الكبير(٥/ ١٦٨) زاد الميسر في علم التفسير(١/ ٢٠٨).

(٣) هذا المثل له قصة وهي أن رجلًا قال لابنه في سفر: يا بني استبحث لنا عن الطريق. قال: إني عالم. فقال يا بني علمان خير من علم(تيسير التفسير للقرآن الكريم) (١/ ٢٩٦).

٣. يمكن أن يكون للجمع فائدة اخرى، وهي نفي توهم انه قد بقي شيء بعد ذكر السبعة(١).

٤. الاعلام أن المراد بالسبعة حقيقتها لاكثرة العدد، وهذا احتراس(٢).

٥. انه لما فصل بينهما بالافطار قيدها بالعشرة ليعلم أنها كالمتصلة بالأجر(٣).

٦. قال الأخفش(٤): ذكر سبعة وثلاثة ليخبر أنها مجزية، ليس ليخبر عن عدتها. الا ترى قوله(كاملة)؟ وإنما هي وافية(٥).

٧. وقيل إن النص الكريم أتى بعشرة لإزالة الإبهام المتولد من تصحيف الخط لاشتباه سبعة وتسعة(٦).

٨. وقيل أتى بعشر لئلا يتوهم أن الكمال مختص بالثلاثة المصومة في الحج أو بالسبعة التي يصومها إذا رجع(٧). وقال الشيخ محيي الدين الدرويش(٨). "في هذه الآية فن بياني رفيع دقيق المأخذ، يسميه علماء البلاغة التكرير، وَحَدّهُ هو أن يدل على المعنى مردداً،وهو في الآية بقوله تعالى: " تلك عشرة كاملة" بعد ثلاثة وسبعة، تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين، ثم قال (كاملة) والأمر إذا صدر من الآمر على المأمور بلفظ التكرير، ولم يكن مؤقتاً بوقت معين. كان في ذلك إهابة إلى المبادرة

---

(١) فتح القدير(١/ ١٩٧) الجامع لاحكام القرآن(٢/ ٤٠٢)

(٢) تفيسير التفسير(١/ ٢٩٤) والاحتراس واحد من اغراض الاطناب شأنه المحافظة على المعنى من كل ما يفسده ويغيره(البلاغة فنونها وأفنانها(١/ ٢٩٤)

(٣) البحر المحيط (٢/ ٨٩)

(٤) الأخفش : (سبقت ترجمته ص٨٥)

(٥) معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، تحقيق الدكتور فائز فارس، دار البشير، (١/ ١٦٣)

(٦) البحر المحيط(٢/ ٨٠) تفيسير التفسير(١/ ٢٩٦).

(٧) البحر الميحط(٢/ ٨٠).

(٨) محيي الدين الدرويش : سبقت ترجمته ص٦٩.

لامتثال الأمر، والانصياع للحكم على الفور من غير ريث ولا إبطاء. ومن ثمّ، وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً فتفطن لها فإنها من الأسرار"[١].

٩. ويمكن القول إنّ ذلك لدفع توهم أن تتم السبعة بالثلاثة السابقة، ثلاثة في الحج وأربعة إذا رجع.

١٠. هذا وقد أضاف الشيخ الزركشي[٢] إلى الوجوه المذكور وجوهاً أخرى منها أن قاعدة الشريعة أن الجنسين في الكفارة لا يجب على المكفر الجمع بينهما؛ فلا يلازم الحالف أن يطعم المساكين ويكسوهم، ولا المظاهر العتق والصوم، فلما اختلف محل هذين الصومين، فكانت ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع، صار باختلاف المحلين كالجنسين، والجنسان لا يجمع بينهما.

وافادت هذه الزيادة وهي قوله(تلك عشرة) رفع ما قد يهجس في النفوس من أنه إنما عليه أحد النوعين. إمّا الثلاث وإما السبع.

ومنها : أن المقصود ذكر الكمال لا ذكر العشرة، فليست العشرة مقصودة بالذات لأنها لم تذكر للإعلام بأن التفصيل المتقدم عشرة، لأن ذلك من المعلوم بالضرورة، وإنما ذكرت لتوصف بالكمال الذي هو مطلوب في القصة[٣].

١١. جاء في (تنوير الأذهان) أن (كاملة) صفه مؤكدة لعشرة لأنها أفادت الموصوف معنى ذلك الوصف، نحو (الهين اثنين) وأن التأكيد إنما يصار اليه إذا كان الحكم المؤكد مما يهتم بشانه والمحافظة عليه.

والمؤكد هنا هو رعاية هذا العدد في الصوم،أكد لبيان أن رعايته من المهمات التي لا يجوز إهمالها البتة[٤].

---

(١) اعراب القرآن الكريم وبيانه(١/ ٢٩٠) وانظرزاد الميسر في علم التفسير(١/ ٢٠٨).

(٢) الزركشي: سبقت ترجمته ص١٢٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن(٢/ ٤٧٩).

(٤) تنوير الاذهان من تفسير روح البيان، البروسوي، تحقيق الصابوني(١/ ١٥٣).

وهذا يؤكد ما قاله الإمام الشافعي(١) رحمه الله من أن جملة العدد زيادة في التبيين(٢).

١٢. ومن غريب ما استنتجه ابن الأثير(٣) في كتابه (المثل السائر) إنَّ التكرير في الآية يفهم منهم ايجاب صوم السبعة عند الرجوع في الطريق على الفور(٤). وتعقبه ابن أبي الحديد(٥) في كتابه(الفلك الدائر على المثل السائر) بأن مجرد الأمر لا يدل على الفورية لأن الزمان من ضروريات وقوع الامتثال كما أن المكان من ضرورياته أيضاً،وكما لا يدل تكرار الأمر على وجوب إيقاع المأمور به في مكان

---

(١) الامام الشافعي: ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي، يلتقي بنسبة مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، ولد سنة (١٥٠) للهجرة سنة وفاة أبي حنيفة رحمه الله في مدينة غزة، وتوفي بمصر سنة(٢٠٤) هـ ليلة الجمعة، جمع الله تعالى له من كريم الخيرات فكان بالمقام الأعلى والمحل الاسنى، كان حجة في اللغة، وله حكم كثيرة مأثورة وكان سخياً كريم النفس، وكان حسن الصوت، حسن السمت، عظيم العقل(تهذيب الاسماء واللغات١/ ٦٧)، (الطبقات،ابو العباس بن الخطيب، ص١٥٥) غاية النهاية في طبقات القراء ٢/ ٩٦).

(٢) الرسالة، محمد ادريس الشافعي احمد شاكر، طبعة (بلا) ص٢٨.

(٣) ابن الاثير: ضياء الدين محمد بن محمد الجزري ثم الموصلي ولد سنة ٥٤٤هـ سمع الحديث من جماعة منهم الطوسي، كان ذا دين متين وبر وإحسان، جمع بين العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث والفقه، عرضت عليه الوزارة فأبى أقعد في آخر عمره فلزم بيته صابراً محتسباً يفد إليه السلاطين والامراء ويقصده العلماء، توفي بالموصل سنة ٦٠٦هـ رحمه الله.(جامع الأصول في أحاديث الرسول- المقدمة).

(٤) سبق في البند الثامن قول للشيخ محيي الدين الدرويش بوجوب الصوم عند الرجوع فوراً، ولعله منقول عن ابن الاثير، وهو على كل حال قول مستغرب، إذ لا يتضيق الواجب على الحاج الا اذا وصل وطنه، وهذا هو قول الإمام الشافعي والامام أحمد وغيرهم، (فتح القدير للشوكاني١/ ١٩٧).

(٥) ابن ابي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن ابي الحديد ولد سنة ٥٨٦هـ وأدرك غارة المغول على بغداد سنة ٦٥٦هـ توفي سنة ٦٥٦وله مؤلفات كثيرة منها شرح نهج البلاغة، العبقري الحسان، شرح المحصل، الفلك الدائر على المثل سائر له شعر كثير(البداية والنهاية١٣/ ٢١٣).

معين، فكذلك لا يدل تكراره على وجوب إيقاعه في زمن معين. وإنما يقصد من العبارة القرآنية الحث على المبادرة إلى الامتثال(١).

١٣. ومن جميل ما قيل قول الزجاج(٢) : إن المعنى هو بيان أن المفروض صوم عشرة كاملة على ما ذكر من تفرقها في الحج والرجوع(٣).

٣. وصف العشرة بالكمال

الذي يشد انتباه القارئ لهذه الآية الكريمة إضافة إلى ما فيها من الفذلكة هو وصف العشرة بالكمال. فماذا أفاد هذا الوصف، وأية لطيفة موجودة به؟!

وفي الاجابة على ذلك لا بد من التفريق بين الاكمال والاتمام. فقد قيل إن الاتمام لازالة نقصان الأصل، والاكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل . ولهذا كان قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ البقرة(١٩٦) أحسن من (تامة)؛ فإن التمام من العدد قد عُلم، وإنما بقي احتمال نقص في صفاتها(٤).

وأكد أهل التفسير هذا الوجه، حيث قالوا: إنها كاملة في البدلية عن الهدي، وأنها كاملة في المتمتع الصائم لها، كالحج بلا تمتع(٥).

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين ابن الاثير، قدمه وحققه د. أحمد الحوفي ود بدوي طبانه، ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر لابن ابي الحديد، القسم الرابع، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ص٢٨٧.

(٢) الزجاج سبقت ترجمته ص١٢٧.

(٣) معاني القرآن واعرابه، ابو اسحق الزجاج وتحقيق د.عبد الجليل عبده عالم الكتب، الطبعة الأولى (١/ ٢٦٩).

(٤) البرهان في علوم القرآن(٤/ ٨٤).

(٥) الكشاف (١/ ٣٤٥) فتح القدير(١/ ١٩٧) احكام القرآن للهراسي(١/ ١٠٨).

ويرىٰ الأمام الرازي[(١)] وجهاً آخر لوصف العشرة بالكمال وهو الأشارة إلىٰ أن العشرة عدد كامل تنتهي اليه الاعداد، وكل ما بعده مركب منه، ومما قبله. وأنه خال من الكسر والتركيب[(٢)].

وقال الشيخ البيضاوي(كاملة) "صفة مؤكدة تفيد المبالغة في المحافظة علىٰ العدد" [(٣)].

وجاء في غرائب القرآن[(٤)]: " يحتمل أن يراد كاملة في الإجزاء حتىٰ لا يتوهم بأنها بالتفريق غير مجزئه، كما لا يجزيء في كفارات الظهار والقتل ووقاع رمضان الا الصوم المتتابع، ويحتمل أن يكون خبراً في معنىٰ الأمر، أي فلتكن تلك الصيامات كاملة لتسد الخلل"[(٥)].

ويمكن القول أن وصف العشرة بالكمال إنّما جاء للتنويه بان هذا الصوم طريق الكمال لاعمال الحج،وأن الحاج إذا نسي بعضها لا يكون حجة تاماً حتىٰ يصوم ما أمره الله – تعالىٰ – به[(٦)].

قال العلامة ابو السعود[(٧)] رحمه الله : " كاملة " صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في

---

(١) الرازي: هو فخر الدين الشيخ وشيخ الاسلام محمد بن عمر، كنيته ابو عبد الله ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، كان عبل الجسم كبير اللحية، والده من كبار العلماء اشتغل في الفقه والاصول ،وحفظ المتون، وهو فيلسوف طبيب توفي سنة ٦٠٤هـ معجم الادباء(٦/ ٢٥٨٥) .

(٢) التفسير الكبير(٥/ ١٦٩).

(٣) شيخ زاده علىٰ حاشية البيضاوي(١/ ٥٠٥) تنوير الاذهان من تفسير روح البيان(١/ ١٥٣).

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للشيخ نظام الدينت النسيابوري.

(٥) المصدر السابق(٢/ ١٦٥) النكت والعيون تفسير الماوردي) ابو الحسن علي بن محمد الماوردي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولىٰ" ١٩٩(١/ ٢٥٧).

(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف، القاهرة الطبعة بلا سنة ١٩٩٢(٤٢٤).

(٧) ابو السعود: هو ابو السعود محمد بن محمد بن مصطفىٰ العمادي الحنفي المولود سنة ٨٩٣هـ قرب

المحافظة على العد، أو مبينة لكمال العشرة فأنها أول عدد كامل، إذ به تنتهي الاعداد وتتم مراتبها،أو مقيّدة تفيد كمال بدليتها عن الهدى" [١].

٤. سبب حذف المميز في (سبعة)

نلاحظ أن المميز محذوف بعد (سبعة) لأنه معلوم من السياق ودلت عليه التاء المضافة إلى (سبع) وهذا أحسن الاستعمالين. حيث يجوز عند حذف المميز إثبات التاء، كما يجوز حذفها.

وقد ورد في الحديث الشريف ما يشبه ذلك، فعن أبي أيوب الأنصاري [٢] (رضي الله تعالى عنه) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : "من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر [٣] " قال الامام النووي [٤] رحمه الله: " وقوله صلى الله عليه وسلم ستاً من شوال صحيح، ولو قال ستة بالهاء جاز أيضاً " قال أهل اللغة: يقال

القسطنطينية تولى أمر القضاء والفتوى مدة طويلة، سارت بذكره الركبان، وكان عالماً مبدعاً، توفي رحمه اللهع في القسطنيطينية ودفن في جوار الصحابي أبي أيوب الانصاري وذلك سنة ٩٨٢هـ (التفسير المفسرون١/ ٣٤٥) (تاريخ الأدب العربي٩/ ٣٦٢).

(١) تفسير أبي السعود(١/ ٢٤٣).

(٢) ابو السرب الانصاري: هو خالد بن زيد صحابي جليل غزا مع يزيد بن معاوية وتوفي بالقسطنطينية سنة(٥٠) للهجرة شهد العقبة وبدراً واحداً والخندق، وبيعة الرضوان مع الرسول صلى الله عليه وسلم، نزل عليه الرسول الكريم حين قدم المدينة مهاجرة وأقام عنده شهراً. روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم مئة وخمسون حديثاً، (المعارف ص١١٩) (تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ١٧٧).

(٣) رواه مسلم(صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية- بيروت(٨/ ٥٦).

(٤) الإمام النووي(رحمه الله): هو محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف صاحب التصانيف النافعة ولد سنة ٦٣١هـ وقدم دمشق سنة٦٤٩هـ له تصانيف كثيرة، منها شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والاذكار، والمجموع كان كثير التقوى والورع، وصاحب مواقف مشرفة مع الملوك والامراء. توفي سنة ٦٧٦هـ في بلدته نوى(شرح النووي على صحيح مسلم(١/ و).

صمنا خمساً وستاً، وخمسة وستة، وإنما يلتزمون الهاء في المذكر إذا ذكروه بلفظه صريحا فيقولون: صمنا ستة أيام، ولا يجوز ست أيام ، فإذا حذفوا الأيام جاز الوجهان. ومما جاء حذف الهاء فيه من المذكر، إذ لم يذكر بلفظه قوله تعالى: " والذين يتوفون منكم ويزرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً "البقرة(٢٣٤) أي عشرة أيام[(١)].

****

(١) مسلم بشرح النووي(٨/ ٥٦).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ العنكبوت(١٤).

١.نكتة الاستثناء بهذه الطريقة:

إن الاستثناء بهذه الصيغة تحقيق للعدد، حيث إن التجوز قد يدخل الألف؛ فيدخل في سياق المبالغة للتكثير، والاستثناء يرفع ذلك[(١)] فكأنه قال: تسعمائة وخمسين سنة وافية العدد. إلا أن النص المختار في الذكر الحكيم أخصر واعذب لفظاً ، وأملأ بالفائدة.

وفيه أيضاً أن قصة نوح عليه السلام مسوقة لبيان ما ابتلى به من أمته، وما كابده من طول المصابرة تسلية للرسول عليه السلام،وتثبيتاً له. فكان ذكر الألف أوقع وأوصل إلى الغرض، مع ما في ذكره أيضاً مع استطالة السامع لمدة صبره عليه السلام[(٢)].

ثم إن الاخبار بهذه الصيغة يمهد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم، إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة لما كان لهذه العبارة من التهويل ما للعبارة الأولى، وإن لفظة الألف في العبارة الأولى في أول ما يطرق السمع، فيشغل بها عن سماع بقية الكلام من الاستثناء، وإذا راجع الاستماع لم يبق للاستثناء بعد ما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف، فتعظم كبيرة قوم نوح عليه السلام في اصرارهم على المعصية مع طول مدة الدعوة[(٣)].

---

(١) فتح القدير(٤/ ١٩٦) البرهان في علوم القرآن(٤/ ١٢٠) النسفي (٣/ ٢٥٢).

(٢) الكشاف(٣/ ٢٠٠) روح المعاني(٢٠/ ١٤٢).

(٣) اعراب القرآن الكريم وبيانه(٧/ ٤١٢).

وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الاسلام، فبيّن النص الكريم أن نوحاً لبث في قومه هذا العدد الكبير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر وما ضجر، وأحرى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يصبر لقلة مدة لبثه في قومه وكثرة عدد أمته عليه السلام[١].

٢. فائدة مجيء المميز بالسنة اولاً وبالعام ثانياً

المعروف عند أهل البلاغة أن تكرار الكلمة في سياق واحد حري بالاجتناب إلا إذا وقع لغرض يقصده المتكلم من تفهيم أو تهويل أو تنويه أو غير ذلك[٢]. والسنة تطلق على الشدة والجدب[٣] بخلاف العام، فناسب اختيار السنة لزمان الدعوة الذي قاسى فيه عليه السلام ما قاسى من قومه[٤].

وذكر الشيخ زاده[٥] في حاشيته على البيضاوي كلاماً قريباً من هذا فقال: "إنه خص لفظ العام بالخمسين، إيذاناً بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما استراح من قومه بالاغراق، طاب زمانه، وصفا عيشه. فإن العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة[٦].

وقد ورد في الذكر الحكيم ما يؤيد هذا القول، حيث يقول المولى سبحانه: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ يوسف (٤٧) ومعلوم أن أعمال الزراعة لا تخلوا من صعوبة ومشقة. ثم

---

(١) المصدر السابق(٧/ ٣١٢) الفتوحات الالهية(٣/ ٣٧٠).

(٢) الكشاف٣/ ١٠٠ روح المعاني(٢٠/ ١٤٢) تفسير ابن جزي دار الكتاب العربي- بيروت، ط٨٣ ص٥٢٨.

(٣) العرب يسمون شدة القحط سنة، قال تعالى" ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين" الاعراف(١٣٠) ومن ثم قيل: أسنت القوم إذا قحطوا(الروض الأنف٢/ ٥٨).

(٤) روح المعاني(٢٠/ ١٤٢).

(٥) الشيخ زاده: سبقت ترجمته ص١٢٥.

(٦) حاشية الشيخ زاده على البيضاوي(٣/ ٥٢٩) وحاشية الصاوي على الجلالين العلامة أحمد الصاوي المالكي، دار احياء الكتب العربية مصر(٣/ ١٩٤).

قال سبحانه: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ﴾ يوسف(٤٩). فنلاحظ أن النص الكريم اختار لمدة الزراعة والدأب كلمة سنين واختار للانفراج والرخاء والغوث كلمة (عام) وتجنب ثقل اللفظ بالتكرار.

قال الشيخ البقاعي[١]- رحمه الله- (عبر بلفظ السنة ذماً لأيام الكفر، وقال: " إلاخمسين" فحقق أن ذلك الزمن تسعمائة وخمسون من غير زيادة ولا نقص، مع الاختصار والعذوبة، وقال (عاماً) إشارة إلى أن أيام حياته عليه الصلاة والسلام بعد أغراقهم كانت رغداً واسعاً حسناً بايمان المؤمنين وخصب الأرض"[٢].

****

(١) البقاعي: سبقت ترجمته ص٦٦.

(٢) نظم الدرر(٥/ ٥٤٣).

المطلب الثالث

لطائف قوله تعالى : ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ الاعراف (١٤٢)

١. الحكمة من ذكر الثلاثين واتمامها بعشر

كانت هذه المواعدة إعداداً لموسىٰ عليه السلام، وتهيئة له للقاء مولاه سبحانه والتلقي عنه، حيث كان قومه بحاجة ماسة إلىٰ رسالة ربانية مفصلة لتربيتهم، واعدادهم لما هم مقبلون عليه.

ولم يكن لموسىٰ عليه السلام بد من فترة الاعداد هذه، يروض فيها نفسه علىٰ اللقاء الموعود، وينعزل فيها عن شواغل الأرض، ليستغرق في هواتف السماء، ولتصفو روحه وتتقوىٰ عزيمته علىٰ مواجهة الموقف المرتقب، وحمل الرسالة الموعودة(١).

وكانت فترة الاعداد هذه مما كرم الله به موسىٰ عليه السلام، فكان وعده المناجاة اكراماً له(٢).

وروي عن ابن عباس(٣) ومجاهد(٤) ومسروق(٥) رضي الله عنهم أن الثلاثين ليلة

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت(٣/ ٦٣١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٧٥).

(٣) ابن عباس: سبقت ترجمته ص

(٤) مجاهد: هو مجاهد بن جبير المكي المقريء المفسر، ولد سنة ٢١هـ في خلافه عمر(رضي الله عنه)، توفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٤هـ و هو من تلاميذ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. قال الذهبي في الميزان:اجمعت الأمة علىٰ امامة مجاهد والاحتجاج به. ويروىٰ عنه انه قال : "حملت التفسير عن بضعة عشر رجلاً من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وسلم(التفسير والمفسرون (١/ ١٠٧).

(٥) مسروق: هو مسروق بن الاجدع الهمداني الكوفي، روىٰ عن الاربعة الخلفاء وابن مسعود وأبي بن كعب

التي أتمها الله بعشر هي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة، أمره فيها أن يصوم الشهر، وينفرد فيه بالعبادة، فلما صام أنكر خلوف فمه فاستاك، فقالت الملائكة: إنا كنا نستنشق من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فزيد عليه عشر ليال من ذي الحجة[١].

وإذا صحت هذه الرواية فقد استبان المقصد من إتمام الثلاثين بعشر. وإنما ذكر الـ(عشر) من غير تاء لأن المعدود ليال وهي مؤنثة.

والفائدة في قوله: " فتم ميقات ربه أربعين ليلة" وقد علم أن ثلاثين وعشرة أربعون، لئلا يتوهم أن المراد اتمام الثلاثين بعشر منها، فبين أن العشر سوى الثلاثين.

قال الأمام القرطبي[٢] رحمه الله : " وإن قيل :قد قال في البقرة أربعين،وقال هاهنا ثلاثين فيكون ذلك من البُداء: قيل ليس كذلك. فقد قال: وأتممناها بعشر، والاربعون،والثلاثون والعشرة، قول واحد ليس بمختلف وإنما قال القولين على تفصيل وتأليف؛ قال : أربعين في قول مؤلف، وقال ثلاثين(يعني شهراً متتابعاً) وعشراً. وهذا جائز في كلام العرب"[٣] والتمام ضد النقصان، وهو في الآية الكريمة لافادة عدم التجوز، لأن العرب قد تفعل ذلك، فيقولون: سرنا ثلاثة أيام، يريدون يومين وبعض الثالث"[٤].

تميز بورعه وعلمه وعدالته معروف عند علماء الجرح والتعديل بثقته وعدالته شلت يده يوم القادسية، توفي سنة ٦٣هـ وقيل سنة ٧٧هـ (تذكرة الحفاظ١/ ٤٩) (سير اعلام النبلاء٤/ ٦٣)

(١) الجامع لاحكام القرآن (٧/ ٢٧٥).

(٢) القرطبي: هو الامام ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي كان من العباد الصالحين، ومن العلماء الزاهدين، له عدة كتب نافعة أهمها تفسيره المسمىٰ" الجامع لاحكام القرآن، توفي سنة ٦٧١هـ رحمه الله، ومن كتبه شرح اسماء الله الحسنىٰ، وكتاب التذكرة بأمور الآخرة وغيرها (مقدمة تفسيره الجامع لأحكام القرآن).

(٣) الجامع لاحكام القرآن(٧/ ٢٧٥).

(٤) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن) احمد بن يوسف(السمين الحلبي) عالم الكتب، بيروت، الطبعة الاولى، ص(١/ ٣٠٩).

ويرى الشيخ ابن عاشور(١) أن المولى سبحانه أراد من موسى عليه السلام مناجاة أربعين ليلة، لكنه أبلغها اليه موزعة تيسيراً(٢) وقيل إن الثلاثين للتهيؤ للمناجاة، والعشر لإنزال التوارة وتكليمه عليه السلام(٣).

ويروى أن سيدنا موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى، فيه بيان ما يأتون وما يذرون. فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب، وهذه الآية في بيان كيفية نزول التوارة. وأن الله سبحانه وتعالى أمره أن يصوم ثلاثين يوماً، وأن يعمل فيها ما يزيده قرباً من الله تعالى، ثم انزلت " عليه التوارة في العشر البواقي(٤).

وذكر الامام القرطبي(٥) في تفسيره قولًا نسبة إلى ابن العربي(٦) في بيان معنى المواعدة وتفريقها يفيد أنه إذا ضرب الأجل لمعنى يحاول فيه تحصيل المؤجل، فجاء المؤجل ولم يتيسر زيد فيه تبصرة ومعذرة، وقد بين الله تعالى ذلك لموسى عليه السلام فضرب الله تعالى له أجلاً ثلاثين ثم زا ده عشراً تتمه الاربعين.

وأبطأ موسى عليه السلام في هذه العشرة على قومه، فما عقلوا جواز التأني

---

(١) ابن عاشور: سبقت ترجمته ص٦٩.

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ٢٢٩).

(٣) البحر الميحط(٤/ ٣٧٩).

(٤) لم أعثر لهذه القصة على تخريج، وإنما ذكرت في التفسير الكبير(١٤/ ٢٣٥) وذكرها الشيخ الالوسي في روح البيان(٩/ ٤٣) والزمخشري في الكشاف(٢/ ١١١).

(٥) القرطبي: سبقت ترجمته ص

(٦) ابن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد، ولد في اشبيليه بالاندلس سنة ٤٦٨هـ كان والده من كبار اعيان الدولة، وعندما سقطت دولة آل عباد سنة ٤٨٥هـ رحل مع والده إلى افريقيا حيث مر بالجزائر ومصر والتقى بكبار العلماء هناك، ثم واصل رحلته إلى بيت المقدس، وشرق الأردن، ورحل إلى الشام، والتقى بعلمائها. والتقى الامام أبا حامد الغزالي في بغداد، توفي سنة ٥٤٣هـ (مقدمة كتاب العواصم من القواصم)و(تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٩٤).

والتأخر حتىٰ قالوا: إن موسىٰ ضل أو نسي. ونكثوا عهده، وبدلوا بعده، وعبدوا الهاً غير الله تعالىٰ[1].

قال الزركشي[2]: " وأعاد قوله (أربعين) وإن كان معلوماً من الثلاثين والعشر أنها أربعون لنفي اللبس، لأن العشر لما أتت بعد الثلاثين التي هي نص في المواعدة، دخلها احتمال أن تكون من غير المواعدة فأعاد ذكر الاربعين نفياً لهذا الاحتمال، وليعلم أن جميع العدد للمواعدة، فإن قلت فإذا كان من زمن المواعدة أربعين، فلم كانت ثلاثين ثم عشراً؟! أجاب ابن عساكر[3] بأن العشر إنما فُصل عن أولئك ليتجدد قرب انقضاء المواعدة، ويكون فيه متأهباً مجتمع الرأي، لأنه لو ذكر الاربعين اولاً لكانت متساوية، فإذا جعل العشر فيها إتماماً لها استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم"[4].

٢. وفي بيان الحكمة من ذكر المدة في سورة البقرة بقوله:

"أربعين ليلة" وفي الأعراف بقوله" ثلاثين ليلة واتممناها بعشر" . قال الشيخ الزركشي: إنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والاخبار عن كيفية وقوعها، وفي البقرة إنما ذكر الامتنان علىٰ بني اسرائيل بما أنعم به عليهم، فذكر نعمه عليهم بالجملة حيث قال : ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ البقرة(٥٠) وقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾[5] البقرة (٤٩).

****

(١) الجامع لأحكام القرآن(٧/ ٢٧٥).

(٢) الزركشي: سبقت ترجمته ص٧٠.

(٣) ابن عساكر : ابو القاسم علي بن الحسن ولد سنة ٤٩٩هـ حافظ متقن، له (تاريخ دمشق) وعشرات الكتب الأخرىٰ، توفي رحمه الله سنة ٥٧١هـ(تذكرة الحفاظ٤/ ١٣٢٨).

(٤) البرهان في علوم القرآن(٢/ ٤٧٨).

(٥) المرجع السابق(٢/ ٤٧٩) هذا وقد اشار الفراء إلىٰ أن ذكر الثلاثين منفصلة إنما هو لمكان الشهر، وأنها ذو القعدة، وإتمامها إنما كان بعشر من ذي الحجة(معاني القرآن١/ ٢٦).

المطلب الرابع

لطائف قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ الكهف(٢٥).

١. إضافة المئة إلى الجمع:

كما هو مقرر في قواعد العدد مئة، فإن من حق العدد مئة أن يضاف إلى مميزة مفردا، فما وجه اضافته إلى الجمع؟!

إجاب السهيلي[١] (رحمه الله) فقال:" إن سنين في الآية بدل مما قبله، ليس على حد الاضافة، ولا التمييز، ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الاضافة إلى البدل لأنه لو قال ثلاثمائة سنة لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس، والناس فيهم طائفتان: طائفة عرفوا مدة لبثهم، ولم يعلموا كمية السنين، فعرفهم أنها ثلاثمائة، وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم، ولا شيئاً من خبرهم.

فلما قال ثلاثمائة معرفاً للأولين بالكمية التي شكوا فيها ومبيناً للأخرين أن هذه الثلاثمائة سنون، ليس أياماً ولا شهوراً، انتظم البيان للطائفتين مع ذكر العدد وجمع المعدود، وتبين أنه بدل . إذ البدل يراد به تبيين ما قبله. الا ترى أن اليهود كانوا قد عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيباً، ولم يكن العجب الا من طول لبثهم. غير أنهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل. فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة. ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب، ومن لم يسمع بخبرهم: ما هذه الثلاثمائة؟ فقال كالمبيّن لهم: سنين"[٢].

ويمكن القول إن وضع الجمع مكان المفرد أفاد المبالغة في الدلالة على الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ الكهف (١٠٣).

---

(١) السهيلي: سبقت ترجمته ص

(٢) الروض الأنف(٣/ ٥٧).

فإن الأصل فيه (بالأخسرين عملاً) لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد أخف ولكن أوثر الجمع مبالغة وتنصيصاً على الأنواع لأن كل نوع كأنه جنس مستقل يكفي لزيادة خسرانهم، وقد سوغ وضع الجمع موضع المفرد أمران أحدهما أن ما في (سنين) من علامة الجمع ليست متمحضة لهذه الغاية، بل هي جبر لما حذف من لفظة(سنة)[١] والثاني: أن الأصل في العدد أن يضاف إلى الجمع لكون المعدود جماعة. الا أنه قد يعدل عنه لغرض فلما أضافه إلى الجمع استعمل على الأصل المرفوض[٢]، مثل قولنا(ثلاثة ر جال ، خمس نساء) حيث أضيف العدد إلى الجمع.

وقال الضحاك[٣]: نزلت"ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة" الكهف(٢٥) فقالوا: أياماً أو شهوراً أو سنين؟! فنزلت: سنين، ولم يقل سنة[٤].

٢. إعراب (سنين)

١. قرأ الجمهور بتنوين (مئة) ونصب (سنين)، فيكون اعراب (سنين): بدلاً أو عطف بيان. قال ابو البقاء[٥] ، وابن الحاجب[٦] هي بدل من ثلاثمائة، وقال الزمخشري هي عطف بيان لثلاثمائة.

---

(١) قال ابن هشام"وسنة مؤنث غير عاقل، اصله سنهو أو سنهة" بدليل قولهم في جمعة بالألف والتاء:سنيهات وسنهات، وقولهم في اشتقاق الفعل منه: سانهت وسانيت، واصل سانيتُ سانوت فقلبوا الواو ياء حين تجاوزت متطرفة ثلاثة أحرف.شرح شذور الذهب ص٥٨).

(٢) حاشية الشيخ يزاده على البيضاوي(٣/ ٢٥٧) تفسير أبي السعود(٣/ ٣٧٦).

(٣) الضحاك: هو أبن مزاحم الهلالي(ابو القاسم الخراساني) المفسر يروي تفسيره عنه عبيد بن سليمان، وهو خراساني صدوق، كثير الارسال، من الطبقة الخامسة، مات بعد المائة (طبقات المفسرين(١/ ٢٢٢).

(٤) زاد المسير (٥/ ١٣٠).

(٥) ابو البقاء العكبري: سبقت ترجمته

(٦) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر ولد في مصر سنة ٥٧٠هـ حفظ القرآن الكريم والعلوم المتصلة به، رحل إلى دمشق، ودافع عن الشيخ العز بن عبد السلام تتلمذ على يد الشاطبي، والتوحيدي وابن عساكر، ومن تلاميذه المنذري، وابن مالك وابن المنير وله الكافية في النحو الصرف (تذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٥٥)(غاية النهاية في طبقات القراء. شمس الدين بن الجزري مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٣، ١/ ٥٠٨).

٢. وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج[١] والكسائي[٢]: فيه تقديم وتأخير والتقدير (سنين ثلاثمائة) ورجح أبو علي الفارسي[٣] الوجه الأول.

٣. وقرأ حمزة والكسائي باضافة (مئة) إلى (سنين) وعلى هذه القراءة تكون(سنين) تمييزاً.ويرجح الشيخ زاده عند تنوين(مائة) وقطعها عن الإضافة أن يكون اعراب (سنين) عطف بيان حيث قال: " لأن جعله بدلاً يستلزم أن لا يكون تعيين مدة لبثهم مقصوداً. وليس كذلك بل المقصود ذلك لأنه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف أنها أيام أو شهور أو سنون، فبين أنها سنون"[٤] .وهذه،التفاتة طيبة غفل عنها بعضهم.

٣. سبب العدول عن(ثلاثمائة وتسع سنين) إلى ما عليه النص الكريم

جاء في حاشية الشهاب[٥] على البيضاوي نقلا عن الشيخ الطيبي[٦] رحمه الله في بيان ذلك أنهم لما استكملوا ثلاثمائة سنة وقربوا من الانتباه، اتفق ما أوجب بقاءهم تسع سنين، وقيل : أنهم انتبهوا قليلاً، ثم ردوا إلى حالتهم الأولى فلهذا ذكر الأزدياد. قال الشهاب : وفيه نظر[٧].

---

(١) ابو عبيدة والفراء والزجاج: سبقت ترجمته لهم انظر ص

(٢) الكسائي: ابو الحسن علي بن حمزة امام الكوفيين بالنحو واللغة، احد القراء السبعة المشهورين سمي الكسائي لأنه أحرم في كساء توفي رحمه الله سنة ١٨٩هـ بعد أن انتهت اليه الامامة في العربية وله مصنفات كثيرة(البداية والنهاية١٠/ ٢٠٩).

(٣) ابو علي الفارسي : هو الحسن بن احمد الفارسي النحوي ولد سنة ٢٨٨هـ كان حافظاً للقرآن مطلعاً على اشعار العرب، تتلمذ على يديه ابن جني وعبد القاهر الجرجاني من مؤلفاته : الايضاح التكملة جواهر النحو، المسائل المشكلة توفي سنة ٣٧٧هـ (تذكرة الحفاظ ٣/ ٩٧٢).

(٤) حاشية الشيخ زاده(٣/ ٢٥٧) مشكل اعراب القرآن(١/ ٤٤٠).

(٥) الشهاب الخفاجي: سبقت ترجمته

(٦) الطيبي: سبقت ترجمته

(٧) حاشية الشهاب(عناية القاضي وكفاية الراضي)على تفسير البيضاوي،دار صادر،بيروت(٦/ ٩٣).

وذكر الشيخ السهيلي[١] أن حساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية، بها يؤرخون، وأصحاب الكهف من أمة أعجمية، والنصارىٰ يعرفون حديثهم ويؤرخون به، فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم. وتّمم الفائدة بقوله: "وأزدادوا تسعاً" ليوافق حساب العرب، فإن حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما[٢].

ويرىٰ بعض المفسرين[٣] أن وجه العدول عن ثلاثمائة وتسع هو موافقة رؤوس الآي المقطوعة بالحرف المنصوب. وهذا رأي لا نرجحهُ ولا نميل إليه، لما فيه من اشارة إلىٰ أن معاني القرآن منقادة لألفاظه، وهذا يخلُّ بمعاني الاعجاز كما هو معلوم.

ومن أحسن ما قيل أنّ النصّ الكريم لو ورد بصيغة ثلاثمائة وتسع سنين لما ذكر مميز الثلاثمائة. ولكنه لما ورد بما هو عليه النص القرآني ذكر المميز ونسق ذكر التسع عليه[٤].

٤. السنَة والعام

نلاحظ أن العبارة القرآنية اختارت لبيان مدة لبث أهل الكهف كلمة (سنين) وليس (أعوام) وفي هذا ا شارة إلىٰ شؤم هذه السنين بما وقع فيها من علو أهل الكفر وطغيانهم مما أوجب خوف الصديقين وهجرتهم[٥].

وتدل العبارة علىٰ أن الكفر استغرق مدة نومهم، بما في ذلك السنون التسع الأخيرة، وذلك بدلالة تذكير العدد (تسعة). حيث يبين ذلك أن المعدود سنوات وليس أعواماً.

---

(١) السهيلي: سبقت ترجمته.

(٢) الروض الانف(٢/ ٥٧).

(٣) هذا رأي الشيخ جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأولىٰ(١١/ ٤٠٤٧).

(٤) الروض الريان في اسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان، تحقيق عبد الحليم نصار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولىٰ.

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(٤/ ٤٦٢).

واستعملت (السنة) في القرآن الكريم في عدة مواضع للإشارة إلى القحط والجدب، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ الأعراف(١٣٠) وقوله سبحانه: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ يوسف (٤٧) ولم يقل أعواماً ثم قال ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ يوسف(٤٩) و قد سبق بيان ذلك.[1]

وفي قوله تعالى ﴿**حتى إذا بلغ أشده وبلغ اربعين سنة**﴾ الاحقاف(١٥) إنما ذكر السنين وهي أطول من الأعوام لأنه مخبر عن اكتهال الإنسان،وتمام قوته واستوائه، فلفظ السنين أولى بهذا الموطن لأنها اكمل من الأعوام. أما قوله سبحانه﴿**وفصاله في عامين**﴾ لقمان(١٤) فهو يشير الى ان العرب كانوا يؤقتون بالحساب القمري بدلالة قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج**﴾البقرة(١٨٩) والرضاع من الأحكام الشرعية، التي يقتصر فيها الحساب بالأهلة،وكذلك قوله سبحانه ﴿**يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً**﴾ التوبة(٣٧) ولم يقل "سنة" لأنه يعني شهر المحرم وربيع وغيرها، ولم يكونوا يحسبون بأيلول وتشرين وهي بالشهور الشمسية، وفي قوله تعالى﴿**فأماته الله مئة عام**﴾ هذا إخبار لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وحسابهم بالأعوام والأهلة: كما وقت لهم المولى سبحانه[2].

****

(١) انظر ص من هذا الرسالة

(٢) (الروض الأنف ٢/ ٥٨).

المبحث الحادي عشر

لطائف (مثل) و(أمثال)

وفيه مطلبان

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الانعام (١٦٠).

- اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ المؤمنون(٤٧)

- سر تثنية (بشرين) وإفراد (مثل).

****

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الانعام(١٦٠).

» إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف

الذي يظهر بادئ الأمر أن (أمثال) معدود (عشر) ولكن هذا يضعنا أمام مفارقة لقاعدة العدد، فلنبحث إذن عن اللطيفة في ذلك.

يقول أهل التفسير إن الصيغة القرآنية جاءت على إقامة صفة الجنس المميز وهو (الحسنة) مقام الموصوف، وتقديره" فله عشر حسنات أمثالها"(١). وإن تجريد (عشر) من التاء إشارة إلى أن المعدود مؤنث، لكنه حذف وأقيمت صفته مقامه، وعليه فإنه إذا كان المعدود صفة نائبة عن الموصوف اعتبر حال الموصوف لا حال الصفة.

وقيل: إن المعدود هو المذكور(أمثال) وأن التأنيث جاءه من المضاف اليه المحذوف(٢). قال محيي الدين الدرويش(٣): " والتقيد بالعشرة لأنها أقل مراتب التضعيف، والا فالجزاء لا يحصى(٤). وذكر عن الحسن البصري(٥)(رحمه الله) أنه كان

---

(١) الكشاف (٢/ ٦٤) العدد في اللغة، ابن سيده النحوي، دراسة وتحقيق عبد الله الناصير، وعدنان الظاهر، ص٦٧.

(٢) روح المعاني(٨/ ٦٩) البحر المحيط(٤/ ٢٦١) الدر المصون(٥/ ٢٤٦)

(٣) محيي الدين الدرويش: سبقت ترجمته ص٦٩.

(٤) اعراب القرآن الكريم(٣/ ٢٨٦)

(٥) الحسن البصري: هو أبو سعيد الحسن البصري الانصاري، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، أمه مولاه لأم سلمة أم المؤمنين، سمع من كثير من الصحابة، كان عالماً رفيعاً وثقة مأموماً عابداً ناسكاً كثير العلم وسيما فصيحاً، توفي سنة عشر ومئة رحمه الله تعالى.(الوفيات، أبو العباس أحمد بن الخطيب، الشهير بابن قنفذ القسطنطيني، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ ص ١٠٨.

يقرأ " فله عشر " بالتنوين(أمثالُها) بالرفع، وذلك وجه صحيح في العربية- كما قال ابن جرير[١] (رحمه الله) في تفسيره لكنه قال: (إن القراءة في الأمصار على خلاف ذلك، فلا نستجيز خلافها فيما هي عليه مجمعة) [٢].

وقال الأخفش[٣] "فإن قلت : كيف قال(عشر) والـ(مثل) مذكر؟! فإنما أنثَ لأنه أضاف إلى مؤنث، وهو في المعنى(حسنة أو درجة) فإن أنث على ذلك فهو وجه.

وقال بعضهم: "عشرٌ أمثالها" ، جعل الأمثال من صفة العشر وهذا وجه، الا أنه لا يقرأ، لأنه ما كان من صفة لم تضف اليه العدد ولكن يقال: هم عشر قيام، وعشرة قعودٌ، ولا يقال عشرة قيام"[٤].

ويرى بعض أهل التفسير أن تذكير العدد والمعدودُ مذكر يكون لأوجه منها:

١. إن الإضافة لها تأثير، حيث يكتسب المذكر التأنيث من المؤنث فأعطي حكمه في سقوط التاء من عدده.

٢. إن هذا المذكر عبارة عن مؤنث، فروعي المراد منه دون اللفظ، أي أن التانيث جاء من جهة المعنى.

٣. مراعاة الموصوف المحذوف وتقديره(حسنات) أي " فله عشر حسنات أمثالها" ثم حذف الموصوف، وأقيمت صفته مكانه، وترك العدد على حاله[٥].

---

(١) ابن جرير الطبري: سبقت ترجمته.

(٢) جامع البيان عن تأويل أي القرآن/ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري(١٢/ ٢٨١).

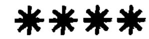
(٣) الاخفش: انظر الترجمة ص٨٥.

(٤) معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش تحقيق د. فائز فارس، دار البشير، طبعة ١٩٨١م، (٢/ ٢٩١).

(٥) الفتوحات الالهية، (٢/ ١١٦).

ونسب إلى أبي علي الفارسي [١] قوله:إنه اجتمع هنا أمران كل منهما يوجب التأنيث فلما اجتمعا قوى التأنيث أحدهما.

وتساءل ابن الانباري [٢] عن سبب عدم دخول الهاء على" عشر" مع انها مضافة إلى "أمثال" وهي جمع " مثل" وهو مذكر. حيث أشار إلى أن العلة في هذا ان المثل أصله النعت، والعدد واقع على النوع، لا على النعت، فالتقدير (والله أعلم) من جاء بالحسنة فله عشر حسنات أمثالها. فلم تدخل الهاء على (عشر) لأن العشر واقع على الحسنات وهي مؤنثة[٣].



(١) ابو علي الفارسي: سبقت ترجمته

(٢) ابن الانباري: ابو بكر محمد بن القاسم، ولد في الانبار سنة ٢٧١هـ ونشأ في كنف والده، كان كثير الحفظ عالماً بالنحو والادب، وافر الخلق كثير التواضع، ترك وراءه مؤلفات كثيرة في اللغة والنحو والحديث وعلوم القرآن والحديث توفي في بغداد ليلة عيد الاضحى سنة ٣٢٨هـ ومن تلاميذه أبو علي القالي: وابن خالويه، وأبو جعفر النحاس، وأبو الفرج الاصفهاني، من كتبه المطبوعة: الاضداد وايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل وشرح ديوان عامر بن الطفيل (معجم الادباء٦/ ٢٦١٤) وتذكرة الحفاظ(٣/ ٨٤٢).

(٣) كتاب المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن القاسم الانباري، تحقيق طارق عبد المنون، بغداد، مطبعة العاني، الطبعة الأولى، ص٦٢٨.

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ المؤمنون(٤٧)

» تثنية (بشرين) وافراد(مثل)

تطلق كلمة (بشر) على الواحد كما في قوله تعالى: "فتمثل لها بشراً سوياً" مريم(١٧) وعلى الاثنين كما في قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾المؤمنون(٤٧) وتطلق على الثلاثة والجمع كما في قوله تعالى ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ مريم(٢٦) وفي الآية الكريمة لم يثن النص القرآني (مثل) مع أنه ورد في القرآن الكريم بصيغة المثنى، كما في قوله تعالى: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ آل عمران(١٤) وورد بصيغة الجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ محمد(٣٨).

قال الشيخ زاده[١] : " إن من خصائص لفظ(مثل) أن يطابق الموصوف"[٢] وإذا كان ذلك كذلك فلم يقل: " أنؤمن لبشرين مثلينا" ؟!

ذكر الشيخ الالوسي[٣] لذلك وجهاً لطيفاً وهو أن تثنية " بشرين" وإفراد" مثل" اشارة إلى قلة وانفراد موسى وهارون عليهما السلام مع كثرة الملأ واجتماعهم، حتى كأنهم مع البشرين شيء واحد. وهذا أدل على ما قصدوا إليه[٤].

ويرى الشيخ البيضاوي[٥] – رحمه الله– أنه ثنى البشر لأنه يطلق للواحد كقوله:

---

(١) الشيخ زاده:سبقت ترجمته.

(٢) حاشية الشيخ زاده على البيضاوي(٤/ ٣٧).

(٣) الألوسي: سبقت ترجمته.

(٤) روح المعاني(١٨/ ٣٦).

(٥) الشيخ البيضاوي، عالم اذربيجان، ولي قضاء شيراز، وتوفي في تبريز سنة ٦٩١هـ

﴿بشراً سوياً﴾ مريم(١٧) كما يطلق للجمع كقوله: ﴿فإما ترين من البشر﴾ مريم (٢٦) ولم يثن المثل لأنه في حكم المصدر[1]. يعني بذلك أنه يوصف به المفرد والمثنى والجمع والمذكروالمؤنث، قال تعالى: ﴿إنكم إذن مثلهم﴾ النساء(١٤٠). وقال: ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ الطلاق (١٢) وقال : ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ البقرة(٢٣).

****

(١) حاشية الشيخ زاده على البيضاوي(٣/ ٤٠٤) تفسير النسفي (٣/ ١٢١).

المبحث الثاني عشر

لطائف الشرط والتكرار

وفيه مطلبان

المطلب الأول

لطائف قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الانفال(٦٥).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الانفال (٦٦).

- سر التكرار قبل التخفيف وبعده.

****

المطلب الاول

لطائف قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ الانفال(٦٥).

» المحسنات البديعية في القرآن الكريم

نلاحظ في النص القرآني الكريم في الآية الأولى أنه أثبت في الشرط الأول قيداً هو الصبر " إن يكن منكم عشرون صابرون" وحذف هذا من الشرط الثاني فقال سبحانه" وإن يكن منكم مئة يغلبوا الفا" دونما نص على شرط الصبر.

وفي الشرط الثاني اثبت النص الكريم قيداً هو كونهم من الكفرة، فقال تعالى" يغلبوا مئتين من الذين كفروا" وحذف هذا القيد من الشرط الأول حيث قال : " وإن يكن منكم مئة" فحذف من كل منهما ما أثبت في الآخر من القيود وهذا في غاية الفصاحة.

وجاء في " نظم الدرر" أنه لعل ما أوجبه عليهم من هذه المصابرة علة للأمر بالتحريض، أي حرضهم لأني أعنت كلاً منهم على عشرة.فلا عذر لهم في التواني(١).

وفي شرحه على الجلالين قال العلامة الصاوي(٢): " في الآية من المحسنات البديعية(٣)

---

(١) نظم الدرر٣/ ٢٤٠.

(٢) الصاوي: هو العارف بالله تعالى احمد بن محمد الصاوي المالكي ولد سنة ١١٧٥هـ له شرح لطيف على تفسير الجلالين، توفي رحمه الله سنة١٢٤١هـ،ومن تصانيفه بغية السالك لأقرب المسالك في فروع الفقه المالكي، وحاشية على جوهرة التوحيد للقاني، (معجم المؤلفين١/ ٢٦٩).

(٣) المحسنات البديعية: هي ما يوشى به الكلام بأوجه الحسن، وتكون معنوية يرجع الجمال فيها إلى المعنى، ولفظيه يرجع الجمال فيها إلى اللفظ..

الاحتباك الذي هو الحذف من كل نظير ما أثبت في الآخر. فقد أثبت "الصابرون" في الأول وحذف" الذين كفروا" منه وأثبت " الذين كفروا" في الثاني وحذف لفظ الصبر منه[١].

وفي الآية الثانية التي تضمنت التخفيف عن المؤمنين أثبت النص الكريم مطالبتهم بالصبر في الجملتين مبالغة في شدة المطلوبية[٢].

****

(١) حاشية الصاوي على الجلالين٢/ ١١٥ الدر المصون٥/ ٦٣٥ نظم الدرر(٣/ ٢٤٠) الفتوحات الالهية (٢/ ٢٥٦)..

(٢) البحر المحيط(٤/ ٥١٦).

المطلب الثاني

لطائف قوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ الانفال(٦٦)

» سر التكرار قبل التخفيف وبعده

هذا التكرار في النص الكريم قبل التخفيف وبعده يشير إلى أن حال اهل الايمان مع أعدائهم واحد لا تتفاوت.

وفي نكتة التنصيص على غلبة العشرين للمئتين والمئة للألف إشارة إلى أن سرايا النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يبعثها ما كان عددها ينقص عن عشرين ولم يكن يتجاوز المئة.

وفي نكتة التنصيص فيما بعد ذلك على غلبة المئة للمئتين والألف للألفين بشارة للمسلمين بأن عساكر الاسلام سيجاوز عددهم العشرات إلى المئات والألوف[1].

وفي الآية الأولى ما هي اللطيفة في بيان مقاومة المئة للألف مع أن بيان غلبة العشرين لمئتين يفيد نفس المفهوم؟! وفي الآية الثانية ما هي اللطيفة في بيان غلبة الألف للألفين مع أن هذا المعنى نفسه مستفاد من بيان غلبة المئة الصابرة لمئتين؟!

يمكن القول في هذه المسألة إن التكرير أفاد عدم اختصاص هذه البشارة بالعدد عشرين في الآية الأولى ولا بالعدد مئة في الأية الثانية، ولكنها بشارة جارية في كل عدد.

وفي الآية دليل على أن جماعة المؤمنين قليلاً كانوا أو كثيراً لا يغلبهم عشرة أمثالهم

(١) تفسير النسفي ١/ ١١ الكشاف (٢/ ١٦٢).

من الكفار. وإن وجد في الخارج ما يخالف ذلك فمرده إلى أن المؤمنين قد لا توجد فيهم صفة الصبر التي هي شرط النصرة والمعية الالهية. وقيل[١] : إن هذا الخبر في معنى الأمر كقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ البقرة (٢٣٣) وقوله: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ البقرة(٢٢٨) فالمؤمنون أمروا أن تثبت جماعتهم لعشر أمثالهم، ثم لما شق عليهم ذلك واستعظموه خفف الله عنهم ورخص لهم فقال سبحانه: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ الانفال(٦٦).

****

(١) تفسير الجلالين ، جلال الدين الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ص٢١٩.



الفصل الرابع

مسائل العدد وأحكامه في القرآن الكريم

ويتضمن أحد عشر مطلباً

١. مسائل العدد(واحد).
٢. مسائل العدد(اثنان).
٣. مسائل العدد (من ثلاثة إلى عشرة).
٤. مسائل العدد (عشرة).
٥. احكام الياء في العدد (ثمانية).
٦. مسائل العدد المركب.
٧. مسائل العدد المعطوف.
٨. مسائل الاعداد(مئة والف ومضاعفاتهما).
٩. احكام العدد الترتيبي.
١٠. كسور العدد في القرآن الكريم
١١. العدد الكنائي في القرآن الكريم

المطلب الأول

مسائل العدد[1] (واحد)

١. يوافق العدد(واحد) معدوده في جميع الحالات. فعندما يكون المعدود مذكراً فإن العدد(واحد) يكون موافقاً له. قال تعالى: ﴿ لا تدخلوا من باب واحد﴾ يوسف(٦٧) وقال: ﴿ انما الله اله واحد﴾ النساء(١٧١) ويوافق هذا العدد معدوده عندما يكون مؤنثاً، كما في قوله تعالى: ﴿ إن هذه امتكم أمة واحدة﴾ الأنبياء (٩٢) وقوله: ﴿ ولي نعجة واحدة﴾ص(٢٣) ويوافق معدوده عندما يقع ضمن العدد المركب، في قوله تعالى:﴿ إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ يوسف(٤) ويوافقه عند وقوعه ضمن العدد المعطوف، حيث نقول: (واحد وعشرون رجلاً، وإحدى وعشرون امرأة).

واخيراً يوافق هذا العدد معدودهُ فيما يصاغ منه على وزن فاعل، نقول: هذا اليوم الحادي عشر من رجب، وهذه الليلة الحادية عشرة من شعبان.

٢. العدد(واحد) لايحتاج إلى تمييز، فلا نقول واحدَ رجل لأن ذلك مرفوض لما تقرر في العربية من أن الواحد ندلُّ عليه بالاسم المفرد، الذي يدل على العدد وعلى الجنس معاً. وعند الحاجة إلى تخصيص المراد بالاسم المفرد عند ذلك نُتبع الاسم بالعدد(واحد) لهذه الغاية، فنقول رجل واحد، حيث يسبق المعدود العدد في هذه الحال، ويكون العدد نعتاً.

(١) العدد في أصل اللغة اسم للشيء المعدود، كالقبض والخبط بمعنى المقبوض والمخبوط، بدليل قوله تعالى: " قال كم لبثتم في الارض عدد سنين" المؤمنون(١١٢) والمراد به هنا الألفاظ التي تعد بها الاشياء (شذور الذهب ص٤٥٧).

٣. ورد ذكر العدد (واحد) في القرآن الكريم ثلاثين[(١)] مرة بصيغة المذكر، كقوله تعالى: ﴿ يسقى بماء واحد﴾ الرعد(٤) وقوله﴿ لن نصير على طعام واحد﴾ البقرة (٦١) وقوله سبحانه ﴿هو الواحد القهار﴾ الزمر(٤) ومعظم هذه الآيات تحدثت عن الاله الواحد.وورد العدد(واحد) بصيغة المؤنث احدى وثلاثين[(٢)] مرة كما في قوله تعالى: ﴿ كان الناس أمة واحدة﴾ البقرة (٢٣١)، وقوله تعالى ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ يوسف (٣١)، وقوله ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يس(٢٩)، وقوله﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ النازعات(١٣).

٤. من خصائص العدد(واحد) والعدد (اثنان) أن العلاقة بينهما وبين معدوديهما علاقة صفة بموصوف بخلاف باقي الأعداد فالعلاقة بينهما علاقة عددية خالصة تستهدف الحصر والعد.

وفي هذا ما يفسر تطابق العدد والمعدود فيهما لأن الصفة تتبع الموصوف، تذكيراً وتأنيثاً وتعريفاً.وفي هذا ما يفسر كذلك التطابق بين العدد والمعدود في نظام العد الترتيبي على صعيد هذين العددين وغيرهما[(٣)].

٥. آثرت العربية استخدام اسم الفاعل(واحد) في العد على (أحد) لأن اسم الفاعل أقرب إلى الوصف من المصدر مع أن الوصف بالمصدر قد حصل في العربية فقيل: رجل عدل بمعنى عادل[(٤)].

****

(١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص٧٤٥.

(٢) المصدر السابق ص٧٤٥.

(٣) العدد، دراسة لغوية مقارنة، د. اسماعيل عمايرة ، مطبعة جامعة الأمام محمد بن سعود، طبعة ١٩٨٨م،ص.

(٤) المصدر السابق ص.

المطلب الثاني

مسائل العدد (اثنان)

١. يتفق هذا العدد مع صنوه العدد (واحد) في أنه يوافق المعدود في جميع الحالات، كما في قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ النحل(٥١) في حالة المعدود المذكر، وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ﴾ النساء(١٧٦) في حالة المعدود المؤنث. وفي العدد المركب يوافق هذا العدد معدوده أيضاً، كما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا﴾ التوبة(٣٦). حيث المعدود هنا مذكر، وكما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنًاۖ﴾ البقرة(٦٠) حيث المعدود هنا مؤنث.

وهذا العدد يوافق معدوده في حال العدد المعطوف كما في قولنا: رأيت اثنين وعشرين رجلاً. ومررت باثنتين وعشرين امرأة. ويوافق معدوده فيما يصاغ منه على وزن فاعل، نقول: هذا اليوم الثاني من محرم، وهذه الليلة الثانية من صفر.

٢. العدد(اثنان) لايحتاج إلى تمييز، تماماً مثل العدد(واحد)، فلا نقول اثنان رجل، أو اثنتان امرأة. وما ورد من قول الشاعر:

كأن خصييه من التدلدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل(١)

---

(١) جاء في شرح المفصل في صنعة الأعراب للخوارزمي أن هذا البيت لشماء الهذلية، وذكر العجوز لأنها تدخر الحنظل ونحوه من الأدوية ولا يكون في ظرفها الطيب وأدوات الزينة بسبب يأسها من الرجال. ونسب محيي الدين الدرويش صاحب اعراب القرآن هذا البيت إلى جندل بن المثنى، وفي لسان العرب حكاه مع أبيات نسبها إلى امرأة دون أن يعينها.

انظر لسان العرب ١٤/ ١٣، شذور الذهب ٤٥٨ المفصل في علم العربية، محمود بن عمر الزمشخري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ص١٨٤.

فهـو لضرورة الشـعر والتدلدل هـو الترهل، وظـرف عجوز هـو وعاء من جلـد، وثنتا حنظل تريد حنظلتين. والشـاهد فيه قوله ثنتا حنظـل، حيث ذكرت الثنتان مـع العدد، وذلك ليس مستعملاً في العربية وإنما المستعمل أن يثنى المعدود.

٣. هـذا العدد(اثنان) إذا ذكـر معه المعـدود فإنه يجيء قبلـه، ويكون نعتاً كمـا في قوله تعالـى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ النحل(٥١)وقولـه ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هـود(٤٠) وقولـه سـبحانه ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ غافر (١١) والمعدود هنا محذوف، وهو المصدر، أي أمتنا إماتتين اثنتين.

٤. ورد العدد(اثنـان) في القـرآن الكريم اثنتا عشـرة مـرة للمذكر[١] ، كمـا في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ الانعام(١٤٣) وقوله ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هـود(٤٠) وقولـه: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ يس(١٤).وورد هـذا العدد للمؤنث اربـع مرات: منها قولـه تعالى: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ النساء (١١)، وقوله ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ غافر(١١).

٥. وهذا العدد مثـل الذي قبلـه علاقته مع معـدوده علاقة صفة بموصـوف، بخلاف باقي الأعداد، إذ العلاقة بينهما عددية خالصة تستهدف الحصر والعد لا أكثر.

٦. لا يجوز الاشـتقاق مـن لفظ الاثنيـن كما اشـتقوا من لفـظ الثلاثـة والاربعة نحو (الثلاثين والاربعين) لأنهم لـو فعلوا لما كان يتـم المعنى الابزيـادة واو ونون أو ياء ونون وكان ذلك سـيؤدي إلى أن يكـون له اعرابان: الأول عنـد الالف أو الياء والنون من كلمـة (إثنـان) والثاني عند الـواو أو الياء مـن كلمة(اثنينـون) وهذا لا يجوز في العربية[٢] .

****

(١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ص١٦١.

(٢) اسرار العربية، عبدالرحمن بن محمد الانباري، تحقيق محمد بهجت البيطار،مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٥٧، ص٢٢١.

المطلب الثالث

مسائل العدد من (ثلاثة إلى عشرة)

١. تضاف هذه الفئة من العدد إلى جمع التكسير للقلة، ويكون ما بعدها مضافاً اليه لا تمييزاً[١]. وقد جاء ذلك في ستة عشر موضعاً من كتاب الله تعالى، منها قوله سبحانه: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ مريم(١٠) وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ الطلاق(٤) وقوله:﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ الحجر(٤٤).

٢. قد يكون المفرد تمييزاً لهذه الفئة، كما في قوله تعالى:﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ النمل(٤٨) لأن (رهط) في معنى الجماعة، فكأنه قيل: (تسعة أنفس)[٢].

والمفرد هنا اسم جمع لا مفرد له من لفظه، ويجوز فيه الجر بـ(من) كما في قوله سبحانه ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ البقرة(٢٦٠) وهو الافصح في الاستعمال. وتجوز الاضافة كما في المثال السابق[٣]. وفي الشعر:

كلوا في بعض بطنكم تعفّوا ... فإن زمانكم زمن خميصُ[٤]

وضع البطن موضع البطون لأنه اسم جمع ينوب مفرده عن جمعه فافرد اجتزاء بالجمع عن الواحد قال في (درة الغواص): وانما أضيف العدد إلى النفر والرهط لأنهما

---

(١) التطبيق النحوي،عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة١٩٧٢م، ص٤٠١.

(٢) الشيخ زاده على البيضاوي(٤/ ٤٩٥).

(٣) الدر المصون٢/ ٥٧٥، البحر المحيط٢/ ٢٩٩).

(٤) هذا البيت من شواهد المفصل في علم العربية، ولم يعرف قائله،انظر المفصل ص٢١٣.

اسمان للجماعة، فكان تقدير قوله ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي تسعة رجال، ولو كان بمعنى الواحد لما جازت الاضافة اليه. كما يقال: تسعة رجل[1]. وهكذا فتمييز هذه الفئة إذا كان اسم جنس (وهو ما يفرق بينه وبين معدوده بالتاء كشجر وثمر)، أو اسم جمع (وهو ما دل على الجمع وليس له مفرد من لفظه كقوم ورهط) جُرَّ بـ (من) [2]. نقول ثلاثة من الثمر اكلتها، وعشرة من القوم لقيتهم، وقال تعالى: " فخذ أربعة من الطير " البقرة(٢٦٠).

وقد يجر باضافة العدد اليه، كما في قوله تعالى السابق ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ النمل(٤٨)، وكما في الحديث الشريف عن ابي سعيد الخدري[3] رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" ليس فيما دون خمس ذودٍ صدقة من الإبل، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة"[4].

٣. تمييز هذه الفئة إذا كان بلفظ مئة كان مفرداً كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ النور(٢).

٤. اعداد هذه الفئة إذا أضيفت إلى الآلاف وجب أثبات التاء سواء كان المميز مذكراً أم مؤنثاً، لأن المميز هو الآلاف لا ما أضيفت الآلاف اليها، فنقول: ثلاثة آلاف رجل، وأربعة الاف امرأة.

---

(١) درة الغواص٢٣٧.

(٢) اعراب القرآن الكريم وبيانه٧/ ٢٣٦.

(٣) ابو سعيد الخدري:هو سعد بن مالك منسوب إلى الخدرة وهم من اليمن،رده الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد لصغر سنه، وبعدها غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثنتا عشرة غزوة والده مالك بن سنان صحابي استشهد في غزوة احد، أبو سعيد مكثر في الحديث حيث روي له الف ومئة وسبعون حديثاً، وروى عن كبار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، توفي بالمدينة سنة اربع وستين للهجرة الشريفة رضي الله تعالى عنه.(المعارف ص١١٦) ،(تهذيب الاسماء واللغات ٢/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه البخاري في باب زكاة الورق، في انظر فتح الباري، بشرح صحيح البخاري(٣/ ٣١٠).

٥. إذا أضيفت اعداد هذه الفئة إلى المئات وجب حذف التاء سواء كان المميز مذكراً أم مؤنثاً، لأن المميز هو المئات لا ما أضيفت المئات اليها فنقول ثلاثمائة رجل، وثلاثمائة امرأة.

٦. إذا كان جمع القلة شاذاً أو قليل الاستعمال فهو بمثابة غير الموجود، فإنها تضاف إلى جمع التكسير للكثرة[١]. وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ البقرة(٢٢٨) وقوله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ البقرة(٢٦١).

٧. تخالف هذه الفئة معدودها، فان كان المعدود مذكراً كان العدد مؤنثاً، وإن كان المعدود مؤنثاً، كان العدد مذكراً[٢].

كما في قوله تعالى: ﴿فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍ﴾ النور(٦).

وقوله: ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ النمل(١٢).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الحديد(٤).

وقوله: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ آل عمران(٤١).

وقد يكون سبب ذلك أن الأصل في العدد التأنيث، ويكون التأنيث عادة بالهاء، ولما كان المذكر هو الأصل أعطي الهاء، وبقي المؤنث بغير هاء[٣].

---

(١) شرح ابن عقيل، عبد الله بن عقيل العقيلي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة١٤،(٢/ ٤٠٦).

(٢) السبب في ذلك أن العدد مبني على الجمع، وقد كان العرب يثبتون الهاء في جمع المذكر فيقولون صبي وصبية، غلام وغلمه، رغيف وأرغفة. وكانوا لا يثبتون الهاء في جمع المؤنث فيقولون: ركبه وركب قرده وقرد. (كتاب المذكر والمؤنث، أبو عبدالله محمد بن قاسم الانباري، تحقيق طارق عبد المنون، بغداد، الطبعة الأولى،ص

(٣) أسرار العربية،أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري،عني بتحقيقة محمد بهجت البيطار،مطبعة الشرقي، دمشق ١٩٥٧، ص٢١٨.

وهناك وجه آخر يمكن اعتباره سبباً للمخالفة بين العدد والمعدود في هذه الفئة وهو أن المذكر أخف من المؤنث فاحتمل الزيادة، ويمكن أن الهاء زيدت للمبالغة كما في (علامة ونسابة) فاعطيت للمذكر لفضله[١].

٨. اسماء العدد في هذه الفئة لا تضاف إلى الأوصاف، فلا يقال: عندي ثلاثة ظريفين، الا في ضرورة إقامة الصفة مقام الموصوف، وعلى هذا فقد رجح ابن جني[٢] قراءة أبي زرعة عمرو بن جرير[٣] وعبد الله بن مسلم[٤] لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ﴾ سورة النور(٤) بتنوين أربعة، على قراءة الجماعة بدون تنوين، وذلك لأن شهداء صفة، ولو كانت نحو (رجال) لكانت الاضافة وحذف التنوين أولى[٥].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) هو أبو الفتح عثمان ابن جني، ولد في الموصل سنة ٣٢٢هـ أخذ النحو من الأخفش، كان ممتعاً بأحدى عينيه، كان عفيف اللسان والقلم، اشتغل بالعلم والتدريس كان على صلة قوية بشيخة أبي علي الفارسي ولازمه في السفر والحضر، التقى المتنبي في حلب، وكان المتنبي يحيل اليه المسائل الدقيقة في النحو والصرف. اشتهر ابن جني ببلاغة العبارة وحسن تصريف الكلام، كان حنفي المذهب، توفي رحمه الله سنة ٣٩٣هـ (معجم المؤلفين٦/ ٢١٥)(الوفيات: ص٢٢٤).

(٣) ابو زرعه بن عمرو بن جرير بن عبدالله البجلي الكوفي: اسمه كنيته على الاشهر من ثقاة التابعين وعلمائهم، قيل أنه رأى عليا رضي الله عنه، وحدث عن جده جرير وعن أبي هريرة وعبدالله بن عمر كان ثقة نبيلاً شريفاً كثير العلم. وقد وفد مع جده جرير على معاوية رضي الله عنه(سير اعلام النبلاء٥/ ٨)

(٤) عبد الله بن مسلم: ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزل بغداد وصنف وجمع، وذاع صيته، كان ثقة ديناً فاضلاً، من تصانيفه: غريب القرآن وغريب الحديث، مشكل القرآن، ومشكل الحديث، أدب الكاتب، عيون الاخبار ولي قضاء ديناور، وكان رأساً في علم اللسان العربي(سير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٩٦).

(٥) العدد، دراسة لغوية مقارنة، ص٥٧.

ويؤيد هذا أن النحاة الذين خرّجوا القراءة بحذف التنوين في الآية السابقة فسروا ذلك بأن (شهداء) صفة أقيمت مقام الاسم قال أبو حيان[١]:

(الصفة إذا جرت مجرىٰ الاسماء وباشرتها العوامل جرت في العدد وفي غيره مجرىٰ الأسماء) [٢].

****

(١) أبو حيان: محمد بن يوسف بن علي الاندلسي الغرناطي، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤هـ علم من أعلام التفسير، درس كتب اللغة، ودواوين الشعر، وتلقى علوم البلاغة بانواعها، وأصول الفقه، كان سلفي العقيدة توفي سنة ٧٤٥هـ (التفسير والمفسرون ١/ ٣١٧).

(٢) البحر الميحط (٦/ ٤٣١).

المطلب الرابع

مسائل العدد(عشرة)

١. ورد العدد(عشرة) مفرداً في القرآن الكريم تسع مرات[١]، كما في قوله تعالى ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ الاعراف(١٤٢) وقوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ الفجر(١، ٢) وقوله:﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ المائدة (٨٩).
وورد العدد(عشرة) ضمن العدد المركب في القرآن الكريم خمس مرات كما في قوله تعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة(٦٠) وقوله:﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ التوبة(٢٦).

٢. العدد(عشرة) في الإفراد يخالف المعدود، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ هود(١٣)، وقوله سبحانه : ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ المائدة (٨٩) وفي التركيب يوافق هذا العدد معدوده، كما في قوله سبحانه: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ الاعراف (١٦٠) وقوله: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المائدة (١٢).

٣. كما بيّنا في البند السابق فإن العشرة تكون في حال التركيب في المذكر بغيرهاء، وفي المؤنث بالهاء، والسبب أنهم لما ركبوا الآحاد مع العشرة صارت معها بمنزلة الاسم الواحد، فكرهوا اثبات الهاء لئلا يصير بمنزلة الجمع بين تأنيثين في اسم واحد[٢].

٤. بني ما زاد على العشرة، من أحد عشر إلى تسعة عشر على الفتح لأن الأصل في

(١) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن ص٤٦٢.

(٢) أسرار العربية، ابن الانباري، ص٢١٩.

أحد عشر أحد (و) عشر فلما حذفنا العطف فكأننا ضمنّا معناه فيهما فوجب أن يبنيا، وكان البناء على الفتح لأنه أخف الحركات[١].

٥. حذفت الواو من أحد عشر إلى تسعة عشر وجعل الاسمان اسماً واحداً وذلك حملاً على العشرة وما قبلها من الآحاد لقربها منها لتكون على لفظ الأعداد المفردة، وإن كان الأصل هو العطف، بدليل أنهم اذا بلغوا العشرين ردوها إلى العطف لأنه الأصل ولبعده عن الآحاد[٢].

****

(١) المرجع السابق ص٢٢٠.

(٢) المرجع السابق ص٢٢١هـ.

المطلب الخامس

أحكام الياء في العدد (ثمانية) [(١)]

١. إذا كان العدد(ثمانية) مضافاً بقيت ياؤه، قال تعالى: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖ﴾ القصص(٢٧).

٢. إذا كان غير مضاف والمعدود مذكر بقيت ياؤه مع تأنيثه. قال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ الحاقه(١٧).

٣. إذا كان غير مضاف والمعدود مؤنث عوامل معاملة الاسم المنقوص، تحذف ياؤه بالجر والرفع، فنقول: "مررت بثمانٍ، وجاء من البنات ثمانٍ، وتثبتُ ياؤه بالنصب، فنقول:(رأيت ثمانياً).

٤. حين يكون هذا العدد مركباً نحو (ثماني عشره) تثبت ياؤه في الرفع والنصب والجر، فنقول: في البيت ثماني عشرة امرأة، قرأت ثماني عشرة سورة ختمت القرآن في ثماني عشرة ليلة، وهذا الحكم سواء في المعدود المذكر والمؤنث، فنقول: في الصف ثمانية عشر طالباً، اكرمت ثمانية عشر طالباً، سلمت على ثمانية عشر طالباً.

٥. علامة الرفع في(ثماني) سكون الياء، نقول: عندي ثمانيْ نسوة والأصل فيه ثمانيُ نسوة فاستثقلت الضمة فحذفت، وبقيت الياء ساكنة.

---

(١) العدد- دراسة لغوية مقارنة ص١٠٣ ازاهير الضحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعارف، مصر ض١٢٩. درة الغواص، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص١٦٤، دراسات نحوية في القرآن – العدد والمجرورات، د. ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، طبعة ثالثة ص٢٢.

٦. علامة الخفض في (ثماني) أيضاً سكون الياء، فنقول : مررت بثماني نسوة، حيث استثقلت الكسرة في الياء فحذفت وبقيت الياء ساكنة.

٧. في النصب تثبت الفتحة في الياء لخفتها فنقـول: رأيت ثمانياً، وتثبت الألف لأنها بدل من التنوين(١).

****

(١) كتـاب المذكـر والمؤنث ، ابو عبدالله محمد بن القاسـم الانبـاري، تحقيق طارق عبد المنـون، بغداد الطبعة الاولى ص٩٢٦.

المطلب السادس

مسائل العدد المركب

وهي الأعداد من (أحد عشر) إلى (تسعة عشر)

١. هذه الفئة من العدد مبنية على فتح الجزأين. كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف(٤) وقوله سبحانه: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر(٣٠).

٢. يستثنى من هذه القاعدة: اثنا عشر واثنتا عشرة، فهما معربان بالحروف اعراب المثنى: فهما يرفعان بالالف، وينصبان ويجران بالياء، فنقول: رأيت اثنتي عشرة امرأة ف(اثنتي) هنا مفعول به منصوب بالياء لأنه مثنى، وعشرة: بدل من النون والمحذوفة، مبنية على الفتح، لا محل لها من الإعراب.

وفي القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ الأعراف(١٦٠) حيث نلاحظ أن تمييز(اثنتي عشرة) محذوف تقديره(فرقة) و(اسباطاً): بدل من اثنتي عشرة[(١)].

وامتنع أن نجعل (أسباطاً هي التمييز لأمرين:

١. إن المعدود مذكر لأن (أسباطا) جمع سبط، فكان الملائم لقواعد العدد أن يقال: وقطعناهم اثني عشر اسباطاً.

٢. إن تمييز العدد المركب مفرد منصوب وهذا جمع[(٢)]، قال الشيخ البقاعي[(٣)]

---

(١) التفسير الكبير(١٥/ ٣٧) شذور الذهب، جمال الدين بن هشام، مطبعة السعادة، مصر،الطبعة العاشرة،ص٤٥٩.

(٢) الدر المصون(٥/ ٤٨٤) جامع البيان(١٣/ ١٧٥).

(٣) الشيخ البقاعي: سبقت ترجمته ص.

(رحمه الله): وميزه بالجمع للإشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثرته على عدة قبائل بقوله (اسباطاً) والسبط بالكسر ولد الولد[(١)].

٣. هذه الفئة من العدد تحتاج إلى تمييز مفرد منصوب وذلك كما في قوله تعالى ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ يوسف(٤)، وقوله ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ البقرة(٦٠)، وقوله ﴿ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ المائدة(١٢).

٤. يصاغ اسم الفاعل من أعداد هذه الفئة من الجزء الأول ويتوافق الجزءان مع المعدود تذكيراً وتأنيثاً لأنه صفة، مع البناء على فتح الجزأين نقول: هذا كتابي الخامسَ عشرَ، احتفل بالسنة التاسعةَ عشرةَ.

****

(١) نظم الدرر: (٣/ ١٣٧).

المطلب السابع

الأعداد المركبة تركيب عطف

وهي من (واحد وعشرين) إلى (تسع وتسعين)

هذه الأعداد ينطبق على جزئها الأول ما ينطبق على الاعداد من (الثلاثة إلى تسعة) من حيث التذكير والتأنيث والاعراب.

أمثلة:

١. رأيت ثلاثة وعشرين رجلاً(نلاحظ هنا أن العدد خالف معدوده، حيث لحقت به تاء التأنيث، ومعدوده مذكر).

٢. في المدرسة أربع وعشرون طالبة، وهنا نلاحظ أن العدد خالف معدوده، حيث حذف التأنيث مع أن المعدود مؤنث، وهذه الفئة ملحقة بجمع المذكر السالم، وتعرب اعرابه. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ ص(٢٣).

٣. تمييز أعداد هذه الفئة يكون مفرداً منصوباً، فنقول: في الخزانة ثمانية وستون دفتراً وأربع وخمسون بطاقة.

٤. في العقود يكسر أول العشرين ويفتح أول الثلاثين وما بعده إلى ثمانين الاستين، وذلك بأن عشرين من عشرة بمنزلة اثنين من واحد فتكسر كما كسر اثنان، والدليل على هذا قولهم: ستون وتسعون كما قيل ستة وتسعة(١).

(١) اعراب القرآن، أبو جعفر احمد بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق، د.زهير غازي، مطبعة العاني، بغداد١٩٧٧،(١/ ٦٨٦).

ويرىٰ ابن الانباري[1] أنه لما كان الأصل أن يشتق من لفظ الاثنين، وأن أول الاثنين مكسور، كسروا أول العشرين ليدُلوا بالكسر علىٰ الأصل[2].

****

(١) سبقت ترجمته ص

(٢) اسرار العربية ، ص٢٢١.

المطلب الثامن

الأعداد مئة والف ومضاعفاتها

١. تمييز هذه الأعداد مفرد مجرور بالإضافة[(١)] كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ البقرة (٢٥٩) وقوله﴿فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾البقرة(٢٦١) وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الحج(٤٧) وقوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ العنكبوت(١٤) وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر(٣).

٢. هذه الأعداد تلزم حالاً واحدة في التذكير والتأنيث، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾الحج(٤٧)نلاحظ هنا أن المعدود مؤنث، وفي قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر(٣) وهنا نلاحظ أن المعدود مذكر، والعدد بقي كما هو في الحالين.

٣. في القليل النادر تضاف (مئة) إلى الجمع كما في قوله تعالى: "ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين" الكهف(٢٥) على قراءة حمزة والكسائي، ف(سنين) هنا تمييز، وسهل ذلك شبه المئة بعشر في أن كل واحد منهما عشرة من آحاد الذي قبله.

وقريء بتنوين (مئة)، فيجب أن تكون (سنين) بدلاً من ثلاثمائة أو بياناً له، ولا يجوز جعله تمييزاً، لأن مقتضى ذلك أن يكون كل واحد من الثلاثمائة سنين، وهذا غير مراد قطعاً[(٢)].

---

(١) أضيفت المئة إلى الواحد حملًا لها على العشرة من وجه لأنها عقد مثلها، وحملت على التسعين لأنها تليها فبينت بالواحد(أسرار العربية ص٢٢٢).

(٢) شرح ابن عقيل ص٤٠٧.

٤. يذكر ال (الـف) في القـرآن الكريـم ويراد بـه التكثيـر[١] احيانـاً، كما في سـورة القدر، يقول المولىٰ سبحانه: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر(٣) قال الشيخ البقاعي[٢]: " ذكر الالف إما للمبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون ابلغ من السبعين في تعظيمها، أو لأن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ذكر شخصاً من مؤمني بني اسرائيل لبس السلاح مجاهداً في سبيل الله الف شهر، فعجب المؤمنون منه فتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطاهم الله ليلة من قامها كان خيراً من ذلك"[٣].

وعند قوله تعالىٰ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ البقرة(٩٦) يقول الشيخ زاده[٤] في شرحه علىٰ البيضاوي: " المراد التكثير، والتحية بهذا القول من عادة المجوس فانهم يقولون فيما بينهم عند العطاس عش الف سنة"[٥].

٥. الألوف جمع كثرة، فلا يقال في عشرة الآلف فما دونها الوف. وقيل: ألوف ليس جمع الف الذي هو من جملة اسماء العدد، بل هو جمع الف كقعود وقاعد، وجلوس وجالس ومعناه: مؤتلفون تمكنت بينهم بالمحبة والائتلاف[٦].

وعليه نستطيع أن نفهم قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ البقرة (٢٤٣) حيث أفادت كلمة (ألوف بيان عددهم أو بيان ائتلافهم واجتماعهم.

---

(١) أبي السعود(٥/ ٨٩٠). نظم الدرر٨/ ٤٩٢، تفسير

(٢) الشيخ البقاعي: سبقت ترجمته

(٣) نظم الدرر ٨/ ٤٩٢، وقصة مؤمن بني اسرائيل موجودة في معظم كتب التفسير، وذكرها الواحدي في اسباب النزول عن مجاهد، ولم اعثر لها علىٰ تخريج،(اسباب النزول، ابو الحسن الواحدي، تحقيق احمد صقر، دار الكتاب الجديد، الطبعة الاولىٰ سنة ١٩٦٩ ص٤٩٥.

(٤) سبقت ترجمته ص١٢٥.

(٥) حاشية الشيخ زاده(١/ ٣٥٩).

(٦) المصدر السابق(١/ ٥٤٤).

٦. وردت كلمة ألـف بصيغة المفرد عشر مرات، وبصيغة المثنى مرة واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ﴾ الانفال(٦٦) ووردت بصيغة الجمع (الاف) مرتين، مرة في قوله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ ال عمران(١٢٤) والثانية في قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ال عمران(١٢٥) ووردت كلمة (الوف) مرة واحدة في كتاب الله تعالى. وقد سبق الحديث عنها في البند السابق.

أما كلمة (مئة) فقد وردت في كتاب الله تعالى ثماني مرات، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ البقرة (٢٥٩) وقوله: ﴿فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ البقرة(٢٦١) ووردت تثنيتها مرتين، مرة في قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ﴾ الانفال(٦٥) ومرة في قوله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ الانفال(٦٦) صدق الله العظيم.

****

المطلب التاسع

أحكام العدد الترتيبي

وهو ما دل على رتبة صاحبه، ويكون على وزن(فاعل)

١. يوافق معدوده في جميع الحالات.قال تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ التوبة(٤٠)وقال سبحانه:﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ المائدة (٧٣) وقال: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢) وقال: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ النجم(٢٠).

٢. يصاغ اسم الفاعل من الجزء الأول في العدد المركب، شريطة توافق الجزأين مع المعدود، لأنه صفة، ويبنى على فتح الجزأين.نقول: جاء الرجل الثالث عشر، مررت بالرجل التاسع عشر، جاءت المرأة الثالثة عشرة.

٣. العدد الترتيبي تابع للمعدود ويتابعه في تذكيره وتأنيثه. قال تعالى: ﴿ ومناة الثالثة الأخرى﴾ النجم (٢٠) وقال : ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الكهف(٢٢).

٤. يستثنى من القاعدة السابقة العقود، والمئة والألف والمليون فأنها تبقى على حالها في التذكير والتأنيث.

٥. للعدد الترتيبي أربع حالات:

أ. الإفراد عن الإضافة: حيث يفيد الاتصاف بمعنى العدد الذي كان أصلاً للإشتقاق، كقولنا: ثالث ، رابع والمعنى: واحد متصف بهذه الصفة، وفائدته الدلالة على رتبة صاحبه بين الأفراد أو على ترتيبه الحسابي بالنسبة لغيره، كما في قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يس(١٤) وقوله: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ﴾ النجم(٢٠) وقوله : ﴿وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ النور(٧)

ب. الإضافة إلى ما هو مشتق منه ليفيد أن الموصوف به هو بعض تلك العدة المعينة، ومنه قول الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ التوبة(٤٠) وقوله سبحانه ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ المائدة(٧٣) ومعناه واحد من اثنين، وواحد من ثلاثة[1].

ت. الإضافة إلى ما دونه، كقولك: ثالث اثنين، رابع ثلاثة. ومنه قول المولى سبحانه:﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ المجادلة(٧) ومعناه: مصير أو جاعل الاثنين بنفسه ثلاثة.

ث. أنه ينصب ما دونه، فنقول: رابعٌ ثلاثةً بتنوين(رابع) ونصب (ثلاثة).

قال ابن السكيت[2]: " إذا قلت رابع ثلاثة كان لك الوجهان، الإضافة إن شئت والتنوين، كما قلت: هو ضاربٌ عمراً، ضاربُ عمرٍ، لأن معناه الوقوع، أي كملهم أربعة بنفسه"[3].

****

(١) اصلاح المنطق، ابن السكيت، شرح وتحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ص٣٠٠.

(٢) ابن السكيت: ابو يوسف يعقوب بن اسحق، والسكيت ابوه لأنه كان طويل الصمت، كان من أهل الفضل والدين، موثوقاً بروايته، ولد سنة ١٨٦هـ(البداية والنهاية١٠/ ٣٦٠.

(٣) اصلاح المنطق ص٣٠٠، وانظر شرح المفصل (٣/ ٦١).

المطلب العاشر

الكسور في القرآن الكريم

للكسور حضور ملحوظ على ساحة النص القرآني الكريم، حيث ورد الـ (نصف) في سبعة مواقع من كتاب الله العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ النساء(١٢) وقوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ المزمل(٣).

وورد الـ(ثلث) في ثلاثة مواقع مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ النساء (١١) وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ النساء(١٢) وورد الـ(ربع) في موقعين من كتاب اله أحدهما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ﴾ النساء(١٢) والـ(خمس) هو الآخر ورد في موضع واحد من كتاب الله هو: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الأنفال(٤١) أما الـ(سدس) فقد ورد في ثلاثة مواقع منها قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ النساء(١١) ولم يأت للسُّبُع ذكر في القرآن الكريم، بينما ذكر(الـ(ثمن) في موضع واحد من كتاب الله هو قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ﴾ النساء(١٢) ، أما الـ(تُسُع) فليس لـه حضور في ساحة النص القرآني الكريم في حين جاء ذكر العُشْر في موضع واحد بلفظ (معشار) [١] في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ سبأ(٤٤) وأكبر كسر ورد في القرآن الكريم هو الثلثان حيث تردد ذكر هذا الكسر ثلاث مرات في كتاب الله تعالى منها قوله سبحانه: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ النساء(١١) وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ﴾ المزمل(٢٠).

****

(١) معشار الشيء: عُشره ، ولا يقال المِفعال في غير العشر، مختار الصحاح ص٤٣٤.

المطلب الحادي عشر

العدد الكنائي في القرآن الكريم

ويتضمن ثلاثة مباحث

المبحث الأول: كم

وهي نكـرة لاتتعرف لأنها مبهمـة في العدد، وهـي مثل(أين) في الأمكنـة و(متى) في الأزمنة،و(كيف) في الأحوال(١) وهي على نوعين : استفهامية، وخبرية.

النوع الأول: كم الاستفهامية:

ويستفهم بها من عدد مبهم يراد معرفته، مثل كم ديناراً عندك، وهذا يعني أنها تستدعي من المخاطب جواباً، وهي مبنية دائماً، ويختلف أعرابها على حسب جملتها، فهي مبتدأ في قولك: كم ديناراً عندك؟وخبر في قولك: كم مالك؟! وكم سطراً كان خطابك؟!، ومفعول به في : كم كتابـاً قرأت، ومفعول مطلق في: كم مرة قرأت درسـك؟! ومفعـول فيه: كم ليلة سهرت؟!.

يعرب الاسم بعدها تمييزاً منصوباً مفرداً في جميع الحالات(٢)، وإذا سبقها حرف جر أو مضاف كانت في محل جر، مثل: بكم اشـتريت هذا الكتاب، برأي كم رجل أخذت(٣). ويجوز خفض تمييزها إذا دخـل عليها حرف جر، نقـول: بكم درهم اشـتريت؟ والخافض

---

(١) البرهان في علوم القرآن(٤/ ٣٢٨).

(٢) مذكرات في قواعد اللغة العربية، سعيد الافغاني، مطبعة طربين الطبعة الخامسة، ص٢٠٥ شذور الذهب ص٤٦٠.

(٣) المعجم في النحو والصرف، زين العابدين التونسي، ص١٦٢.

له(من) مضمرة، لا الإضافة[١]. خلافا للزجاج[٢]. فيكون اعراب مثل هذه الجملة على النحو التالي: بكم: الباء حرف جر، كم اسم استفهام مبني على السكون في محل جر بالباء، درهم: اسم مجرور ب(من) المضمرة، اشتريت: فعل وفاعل.

النوع الثاني: كم الخبرية:

هي اسم دال على عدد مجهول الجنس والمقدار، ولا يسأل بها عن شيء، وإنها يخبر بها عن الكثرة، والإسم بعدها مضاف إليه مجرور ويغلب عليها أن تستعمل في مقام الافتخار[٣] والمباهاة ولا تستعمل الا في الإخبار عما مضى مثل إن اخفق فكم مرةٍ نجحت!! ولها الصدارة مثل اختها الاستفهامية، لا يتقدم عليهما الا الجار أو المضاف مثل: بكم عبرةٍ تمر فلا تتعظ، أجرة كم عاملٍ دفعت؟!

واعرابها مثل اعراب الاستفهامية تماماً، ومميزها مفرد نكرة مجرور بالإضافة إليها أو بمن[٤] كما في قوله تعالى: ﴿**وكم من قرية اهلكناها**﴾ الأعراف(٤)، وقوله ﴿**وكم قصمنا من قرية**﴾ الأنبياء(١١) و(كم) مفردة اللفظ، ومعناها الجمع، فيجوز في ضميرها الامران بالاعتبارين: قال تعالى: ﴿**وكم من ملك في السموات**﴾ ثم قال ﴿**لا تغني شفاعتهم شيئاً**﴾ النجم(٢٦) فأتى به جمعاً. وقال: ﴿**وكم من قرية أهلكناها**﴾ الأعراف(٤) ثم قال: " أوهم قائلون" ولما كان معناها التكثير فقد ميزت بما يميز به العدد الكثير وهو مئة وألف، فكما أن (مئة) تميز بواحد مجرور فكذلك (كم)[٥]، قال الحريري[٦] في درة الغواص:" الصواب

---

(١) شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين بن هشام، مطبعة السعادة،مصر، الطبعة التاسعة، ص(٢٤٠) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين بن هشام(١/ ١٨٥).

(٢) الزجاج: سبقت ترجمته

(٣) قطر الندى(١/ ٢٤٠) شذور الذهب ص٤٦٠.

(٤) المعجم في النحو والصرف، زين العابدين التونسي ص١٦١.

(٥) البرهان في علوم القرآن(٤/ ٣٢٩) شرح ابن عقيل(٢/ ٤٢١).

(٦) الحريري: سبقت ترجمته ص

أن يوحد المستخبر عنه بكم فيقال: كم عبداً لك؟ لأن (كم) لما وضعت للعدد المبهم أعطيت حكم نوعي العدد، فجُرَّ الاسم الواقع بعدها في الخبر تشبيهاً بالعدد المجرور بالإضافة. ونصب في الاستفهام تشبيهاً بالعدد المنصوب على التمييز، فلهذا السبب جاز أن يقع بعد كم الخبرية الواحد والجمع. كما يقال: ثلاثة عبيد، والف عبد. والزمُ في الاستفهامية أن يقع بعدها الجمع، لأن العدد بعدها منصوب على التمييز والمميز بعد المقادير لا يكون جمعاً"[1].

الأمور المشتركة بين (كم) الاستفهامية والخبرية:

١. الاسمية فكل منهما اسم يعبر به عن عدد مبهم غير محدد.

٢. الابهام فكل منهما لا تدل على عدد محدد بذاتها.

٣. الافتقار إلى تمييز: فهما محتاجان الى تمييز ليزيل ما فيهما من ابهام.

٤. البناء كل منهما اسم مبني على السكون.

٥. لزوم التصدير فلا تكون أي منهما وسط الجملة الا اذا تقدم عليهما الجار أو المضاف، كما تقدم.

المفارقات الموجودة بينهما:

١. الكلام مع الخبرية يحتمل التصديق والتكذيب، وفي الاستفهامية لا يحتمل.

٢. المتكلم مع الخبرية لا يستدعي من مخاطبه جواباً لأنه مخبر، والمتكلم مع الاستفهامية يستدعيه لأنه مستخبر.

٣. إن الإسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة بخلاف المبدل من الإستفهامية، يقال في الخبرية: كم عبيد لي، خمسون بل ستون وفي الاستفهامية : كم مالك؟! أعشرون أم ثلاثون؟!

---

(١) درة الغواص، ص٦٥.

٤. إن تمييـز كم الخبريـة مفرد أو مجمـوع، نقول:كم عبـد ملكت وكـم عبيد ملكت وتمييز الاستفهامية لا يكون الا مفرداً.

٥. إن تمييز الخبرية واجب الخفض، وتمييز الاستفهامية دائمـاً منصوب، ولا يجوز جره مطلقـاً، خلافاً للزجـاج[١] والفـراء[٢] وغيرهم بـل يشـترط أن تجر بحرف الجر.

****

(١) الزجاج: سبقت ترجمته ص.

(٢) الفراء: سبقت ترجمته ص.

المبحث الثاني: كأيّن

اسم كناية يكنىٰ بها عن العدد الكثير علىٰ جهة الاخبار وهي بمعنىٰ (كم) في الاستفهام والخبر، ومؤلفة من كاف التشبيه ومن أي الاستفهامية المنونة. وقد حدث فيها بعد التركيب معنىٰ التكثير، المفهوم من كم الخبرية، ولا تتعلقان بشيء لأنهما صارتا بمنزلة كلمة واحدة. والتنوين لما دخل في التركيب أشبه النون الأصلية. ولهذا رسم في المصحف نوناً[(١)] ،وهي توافق (كم) الخبرية في خمسة أمور[(٢)]:

١. الابهام

٢. الافتقار إلىٰ تمييز.

٣. البناء.

٤. لزوم التصدير.

٥. إفادة التكثير تارة والاستفهام تارة أخرىٰ.

وتخالف (كم) في خسمة أمور:

١. إنها مركبة و(كم) بسيطة.

٢. مميزها مجرور ب(من) غالباً كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ الطلاق(٨)، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ العنكبوت(٦٠).

٣. إنها لا تقع استفهامية عند الجمهور.

(١) مغني اللبيب١/ ١٦٨.

(٢) المصدر السابق.

٤. لا تكون مجرورة، فلا نقول: كأين تبيع هذا؟ وأجازه بعضهم.

٥. خبرها لا يقع مفرداً،ففي قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ العنكبوت(٦٠) كأين: اسم كناية في محل رفع مبتدأ، من حرف جر، دابة: اسم مجرور وهو تمييزها، وجملة (لا تحمل رزقها) : صفة لدابة، وجملة(الله يرزقها وإياكم) : الجملة من المبتدأ والخبر في محل رفع خبر كأين[١].

****

(١) المعجم في النحو والصرف ، ص١٥٧.

المبحث الثالث: كذا

ترد على ثلاثة أوجه:

- **أحدها**: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما. وهما كاف التشبيه، واذا الإشارية كقولك: " رأيت زيداً فاضلاً ورأيت عمراً كذا" وتدخل عليها ها للتنبيه،كقوله تعالى ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ النمل(٤٣).
- **الثاني**: أن تكون كلمة واحدة مكنياً بها عن غير عدد: كقول أئمة اللغة"قيل لبعضهم: أما بمكان كذا وكذا وَجْدٌ[(١)] ؟ فقال: بلى وجاذا" فنصب بإضمار أعرف.وكما جاء في الحديث : (إنه يقال للعبد يوم القيامة أتذكر يوم كذا وكذا؟ فعلت فيه كذا وكذا) [(٢)]. فهي هنا كناية عن الأعمال.
- **الثالث**: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن العدد، فتوافق كأين في أربعة أمور: التركيب، البناء، الابهام، الافتقار إلى التمييز.

وتخالفها في ثلاثة أمور:

١. ليس لها الصدر، نقول: قبضت كذا وكذا درهماً.
٢. تمييزها واجب النصب فلا يُجر بمن ولا بالإضافة.
٣. لا تستعمل غالباً الا معطوفاً عليها. ويقل استعمالها مفردة أو مكررة بلا عطف[(٣)].

---

(١) وجذ: نقرة في الجبل(مجمل اللغة/ ابن فارس ص٩١٦.)

(٢) ذكره ابن هشام في المغني، ولم اعثر له على تخريج. (المغني١/ ١٨٧) وقد ورد في مسند الامام احمد عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لرجل: " فعلت كذا وكذا؟قال: لا والله الذي لا اله الا هو ما فعلت. قال: فقال له جبريل عليه السلام: قد فعل، ولكن قد غفر الله له بقوله: لا اله الا الله".(مسند الامام أحمد طبعة دار الفكر٢/ ٦٨).

(٣) المعجم في الصرف والنحو/ زين العابدين التونسي، ص١٥٨.

خاتمة

النتائج والتوصيات

يمكن تلخيص أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث بما يلي:

١. ضرورة الاهتمام باللغة العربية في المناهج التعليمية في المستويات المدرسية، والكليات المتوسطة، والجامعات وذلك ضمن الأطر التالية:

أ- الاهتمام بتدريس قواعد اللغة العربية في النحو والصرف والاشتقاق وغيرها.

ب- ابراز العلاقة بين القرآن الكريم وهذه اللغة، وبيان الأثر الكبير الذي قدمه التنزيل الحكيم لهذه اللغة في حفظها وحمايتها ونشرها.

ت- التصدي لمحاولات النيل من هذه اللغة وتهميش دورها أو محاولة تدميرها تحت أستار الخداع المعروفة، وصولاً إلى تدمير البنية الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي.

٢. عقد مؤتمرات ثقافية تتناول الموضوع إياه، وتؤكد دور اللغة العربية في التعليم، ومخاطر استبدالها بلغة أخرى خاصة في مستويات التعليم الجامعي.

٣. التوصية بأن تكون الشواهد اللغوية في المناهج المدرسية ضمن مباحث النحو والأعراب من النصوص القرآنية ما أمكن. وفي هذا خدمة للنص القرآني في استظهاره وحفظه والتخلق به والنيل من بركاته، وخدمة أيضاً للعربية وطلابها، إذ إن الشواهد القرآنية نصوص لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

٤. التأكيد على أهمية فرض رقابة لغوية على الصحف والمجلات ووسائل الأعلام المسموعة والمرئية لكتابة الاعداد والنطق بها بطريقة سليمة.

٥. التوصية في كليات واصول الدين بأن تتناول الدراسات القرآنية موضوع النظم والمعاني التركيبية بتركيز أكثر واهتمام أكبر، وأن تخرج عن المباحث التقليدية مثل المكي والمدني وأول ما نزل والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه وغيرها، رغم أهمية هذه الموضوعات.

٦. توصي هذه الدراسة بالتعرف على حالة المجتمع العربي قبل الإسلام، والوصول إلى معرفة حقيقية بالمقصود من الأمية التي كان يعيشها هذا المجتمع. آخذين بعين الاعتبار أن القرآن الكريم خاطبها في هذا القرآن بلغة الأرقام. واستعمل أعداداً مؤلفة من ستة أرقام مثل(مئة الف وخمسين ألفاً) وخاطبها بلغة الكسور وهي لغة تحتاج إلى صفاء ذهن واتقاد قريحة وفراغ قلب حتى تتم الفائدة ويكتمل الاستيعاب، كما في آيات الميراث في أوائل سورة النساء وفي آخرها.

٧. معاني الحروف واحد من المواضيع الهامة التي يحتاج اليها طلاب العلم لفهم كلام الله تعالى، إذ تختلف معاني الحروف باختلاف مواقعها، ولهذا فإن هذه الدراسة توصي بأن تركز المساقات الجامعية في الدراسات القرآنية واللغوية على هذا الموضوع، ويكاد ذلك أن يكون العُدة الرئيسية في فهم النصوص، حيث يروى عن ابن هشام انه لما سئل عن السبب في أنه لم يفسر القرآن أجاب: لقد فسرتُه في المغني، يقصد كتابه(مغني اللبيب عن كتيب الأعاريب) الذي خصصه للحديث عن معاني الحروف.

٨. إن(لطائف العدد في القرآن الكريم) موضوع لا يزال بحاجة ماسة إلى جهد الباحثين والدارسين لبيان هذا الجانب الهام من جوانب البحث في اسرار الجملة القرآنية والنظم القرآني. وتوصي هذه الدراسة أن يكون لهذا الموضوع حظ من النظر عند أرباب هذه الصنعة.

الخلاصة

١. يؤكد هذا البحث ارتباط العربية بالقرآن الكريم، ويبين أثر الذكر الحكيم في حفظ العربية وبقائها، وتوحيد لهجاتها وتهذيب الفاظها، وتعميق معانيها، وتوسيع رقعة انتشارها، وبيان فضله على أساليب العربية واغراضها ومعانيها.

٢. . تحدث البحث عن التحديات التي تواجه العربية، وبين سبل مواجهة هذه التحديات، ورد على جميع الشبهات التي يطلقها اعداء العربية.

٣. أشار البحث إلى ظاهرة عددية شاملة ومتناسقة موجودة في كتاب الله العزيز، وبين أثرها في صيانة السليقة اللغوية وأبرز أهم الأغراض التي يحققها وجود هذه الظاهرة في كتاب الله تعالى.

٤. أظهرت هذه الدراسة بدائع العدد في القرآن الكريم، وكشفت عن كثير من اللطائف في هذا الباب، وبينت أثر النص القرآني في إفاضة الروح على الأرقام الجامدة.

٥. تناول حديث اللطائف لطائف الأعداد المفردة والعدد المعدول ولطائف جمع القلة والكثرة، ولطائف واو الثمانية ومذاهب أئمة اللغة في ذلك. ولطائف العمليات الحسابية ولطائف العدد(تسعة عشر)، وبيان رأي الدكتور محمد رشاد خليفة وبيان ردود معارضيه في ذلك، ثم ترجيح رأي الجمهور بالدليل. إضافة إلى عدد من اللطائف الأخرى المتفرقة.

٦. خصصت هذه الدراسة فصلاً كاملاً لبيان مسائل العدد النحوية وأحكامه، مركزة على شواهد القرآن الكريم، والذكر الحكيم، بما في ذلك أحكام العدد الترتيبي والكنائي.

٧. أبرزت هذه الدراسة في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث. وتبدو هذه التوصيات جدية وممكنة، ولم تخرج عما نحن بصدده في هذا الموضوع.

٨. عرفت هذه الدراسة بنيّف ومئة علم ممن ورد ذكرهم في ثنايا البحث واعتمدت في ذلك على مصادر ومراجع متنوعة، رغبة في توثيق المعلومة وإثرائها.

٩. اكتمل البحث بمجموعة من الفهارس التي شملت الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة، والمراجع، واسماء الاعلام والموضوعات وعلى الله قصد السبيل.

****

المراجع

١- كتب التفسير وعلوم القرآن الكريم

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧١.

٢. أحكام القرآن، عماد الدين بن محمد (الكياالهراسي) المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

٣. أحكام القرآن،محمد أدريس الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت طبعة ١٩٨٠.

٤. الاعجاز البياني ومسائل ابن الازرق، د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دراسة بيانية قرآنية لغوية، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.

٥. ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي، طبعة دار الفكر.

٦. إعجاز القرآن، مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٦٥.

٧. إعجاز النظام القرآني، اللواء احمد عبد الوهاب، طبعة ١٩٨٠.

٨. أسباب نزول القرآن،أبو الحسن الواحدي،تحقيق احمد صقر،دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى سنة١٩٦٩.

٩. البحر الميحط، ابو حيان محمد بن يوسف الاندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

١٠. بدائع التفسير الجامع لتفسير ابن قيم الجوزية، جمعه ودقق نصوص يسري محمود، دار ابن الجوزي، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.

١١. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

١٢. بصائر ذوي التمييز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣. تفسير ابن جزي، محمد بن احمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ١٩٨٣م.

١٤. تفسير التبيان، شيخ الطائفة الطوسي، تحقيق وتصحيح احمد حبيب قصير العاملي.

١٥. تفسيرالتحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور،الدار التونسية للنشر، تونس، طبعة ١٩٨٤م.

١٦. تفسير الثعالبي(الموسوم بجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد، مؤسسة الايهمي للمطبوعات ، بيروت لبنان.

١٧. تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

١٨. تفسير الخازن(لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين على بن محمد البغدادي،شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر الطبعة الثانية، ١٩٥٥م.

١٩. تفسير روح البيان، اسماعيل حقي البروسوي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٠. تفسير سورة الأخلاص، الرئيس ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، مخطوطة مودعة في مركز الوثائق والمخطوطات في مكتبة الجامعة الأردنية، رقم الشريط(١٦٢) مصور من جامعة برنستون رقم(٢٩٠٥) مجموعة غاريت، عدد الورق(٨).

٢١. تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق احمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان طبعة ١٩٧٨م.

٢٢. تفسير القاسمي (محاسن التأويل)، محمد جمال الدين القاسمي، دار احياء الكتب العربية، بيروت.

٢٣. تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الاندلس، بيروت، الطبعة الأولى١٩٦٦.

٢٤. تفسير القرآن وأعرابه وبيانه، محمد علي طه الدره، دار الحكمة ، دمشق.

٢٥. التفسير الكبير ومفاتح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥.

٢٦. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

٢٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي، دار احياء الكتب العربية.

٢٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار المعارف ، طبعة ١٩٩٢.

٢٩. تنوير الأذهان من تفسير روح البيان للبروسوي، تحقيق محمد علي الصابوني.

٣٠. تنوير المقباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣١. تيسير التفسير، محمد بن يوسف طفيش، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.

٣٢. الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد الانصاري القرطبي، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت.

٣٣. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ابو جعفر بن حرير الطبري، تحقيق بشار عواد وعصام فارس، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

٣٤. حاشية ابن المنير على الكشاف(الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال)، ناصر الدين بن محمد بن المنير، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٥. حاشية الجمل على الجلالين(الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية). سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل،دار احياء التراث العربي، بيروت.

٣٦. حاشية الشهاب(المسماه عناية القاضي وكفاية الراضي)، على تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، دار صادر، بيروت.

٣٧. حاشية الشهاب على البيضاوي، شهاب الدين احمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

٣٨. حاشية الشيخ زاده على البيضاوي،محمد بن مصلح الدين القوجوي المعروف بشيخ زاده، مطبعة وقف الاخلاص، استانبول، تركيا، ١٩٩١م.

٣٩. حاشية الصاوي على الجلالين، احمد الصاوي المالكي، دار الفكر،طبعة ١٩٧٧م.

٤٠. دراسات قرآنية ، عدنان محمد زرزور، مطبعة دار الفتح،دمشق، الطبعة الاولى.

٤١. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق د.احمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى١٩٨٧م.

٤٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيد محمود الالوسي، بيروت، دار احياء التراث العربي.

٤٣. الروض الريان في اسئلة القرآن، شرف الدين الحسين بن سليمان بن ريان، ريان تحقيق عبد الحليم نصار السلفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة الطبعة الأولى،١٩٩٤م.

٤٤. زاد المسير في علم التفسير، ابو الفرج جمال الدين بن الجوزي البغدادي، المكتب الاسلامي، بيروت الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م.

٤٥. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ(معجم لغوي لالفاظ القرآن)، الشيخ احمد بن يوسف السمين الحلبي، عالم الكتب ، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٣م.

٤٦. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسين بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق ابراهيم عطوه، شركة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٩٧٠م.

٤٧. فتح البيان في مقاصد القرآن،صديق حسن خان، مطبعة العاصمة، شارع الفلكي، القاهرة.

٤٨. فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، شيخ الإسلام ابو زكريا الانصاري، تحقيق بهاء الدين عبد الموجود محمد، دار الكتاب الجامعي.

٤٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

٥٠. الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر ، الشافعي العجيلي الشهير بالجمل، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٥١. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، بيروت الطبعة الخامسة.

٥٢. معاني القرآن واعرابه، أبو اسحق الزجاج، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده، عالم الكتب، الطبعة الأولى١٩٨٨م.

٥٣. معاني القرآن، ابو زكريا يحيى بن زكريا الفراء، عالم الكتب، بيروت ، طبعة ١٩٨٠م.

٥٤. معاني القرآن،ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش المجاشعي، تحقيق د. فائز فارس، دار البشير، طبعة١٩٨١م.

٥٥. معترك الاقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد علي بجاوي، دار الفكر العربي.

٥٦. من روائع القرآن، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفارابي، الطبعة الخامسة، ١٩٧٧م.

٥٧. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،برهان الدين أبو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي،دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٥م.

٥٨. النهر الماد من البحر المحيط، ابو حيان الاندلسي، تحقيق الدكتور عمر الأسعد، دار الجيل ، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٩. النكت والعيون(تفسير الماوردي)، ابو الحسن علي الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٦٠. هميان الزاد إلى دار المعاد، محمد بن يوسف الوهبي الاباضي، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة،١٩٩١م.

كتب الحديث النبوي الشريف وعلومه

٦١. الاحاديث الواردة في فضائل المدينة، صالح الرفاعي، مركز السنة والسيرة، الطبعة الاولى١٩٩٢.

٦٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني.

٦٣. الجامع الصحيح(سنن الترمذي)،أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، مطبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٥ .

٦٤. رياض الصالحين،ابو زكريا يحيىٰ بن شرف النووي، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثالثة.

٦٥. سنن أبي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، أعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، دار الحديث، الطبعة الأولىٰ، ١٩٧٠.

٦٦. سنن الدار قطني، علي بن عمر الدار قطني، تحقيق عبد الله هاشم يماني، دار المحاسن للطباعة، القاهرة.

٦٧. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدرامي، دار احياء السنة النبوية.

٦٨. شرح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، احمد بن حجر العسقلاني، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية.

٦٩. صحيح مسلم بشرح النووي، ابو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٠. فتح الباري شرح البخاري،احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت.

٧١. الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية، محمد بن علان الصديقي الشافعي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٧٢. مسند الأمام أحمد بن حنبل،طبعة دار الفكر.

٧٣. معالم السنن(شرح سنن أبي داود)، حمد بن محمد ابن ابراهيم الخطابي ، اعداد عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، سوريا.

٢- كتب العقائد والأديان والفرق:

٧٤. تفسير اسماء الله الحسنىٰ،ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج، تحقيق احمد يوسف الرقاق، دار المأمون للتراث، دمشق الطبعة الثانية.

٧٥. عقيدة المسلم، محمد متولي شعراوي، دار القلم، بيروت، طبعة بلا.

٧٦. كبرى اليقينيات الكونية، محمد سعيد رمضان السيوطي، مكتبة الفارابي، دمشق، الطبعة الأولى.

٧٧. الملل والنحل، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣- كتب العربية وعلومها

٧٨. اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر،د. محمد محمد حسين، دار الارشاد، بيروت، الطبعة الثانية، سنة١٩٧١.

٧٩. الاتجاهات الوطنية في الآدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، دار الارشاد،بيروت، طبعة ١٩٧٠م.

٨٠. أدب العرب في صدر الإسلام، د. حسين الحاج حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، طبعة ١٩٩٢م.

٨١. أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية.

٨٢. أزاهير الضحى في دقائق اللغة، عباس ابو السعود، دار المعارف، مصر طبعة بلا.

٨٣. أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد الانباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الشرقي، دمشق، طبعة٩٥٧.

٨٤. إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن اسحق (ابن السكيت)، شرح وتحقيق احمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، طبعة بلا.

٨٥. إعراب القرآن، ابو جعفر بن محمد بن اسماعيل النحاس، تحقيق زهير غازي، مطبعة العاني، بغداد١٩٧٧.

٨٦. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش، سوريا، طبعة١٩٨٨ .

٨٧. الأمالي النحوية، عثمان بن عمر ابي بكر (ابن الحاجب)، تحقيق هادي حسن حمودي،عالم الكتب، الطبعة الأولى،١٩٨٥ .

٨٨. املاء مامن به الرحمن،ابو البقاء العكبري، تحقيق ابراهيم عطوة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية.

٨٩. البلاغة (فنونها وأفنانها)، د.فضل حسن عباس، دار الفرقان، الطبعة الأولى،١٩٨٥ .

٩٠. البيان في غريب اعراب القرآن، ابو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري النحوي، تحقيق ومراجعة طه عبد الحميد ومصطفى السقا، المكتبة العربية، مصر.

٩١. تأسيس النظر، ابو الحسن عبيد الله الكرخي الدبوسي.

٩٢. التطبيق النحوي،عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، طبعة ١٩٧٢م.

٩٣. دراسات في الأدب الجاهلي والإسلامي، د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى١٩٢٢م.

٩٤. دراسات في فقه اللغة العربية،د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٣ .

٩٥. دراسات قرآنية في اللغة العربية، أحمد ماهر البقري.

٩٦. دراسات نحوية في القرآن الكريم، احمد ماهر البقري، مؤسسة الجامعة للطباعة والنشر الاسكندرية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٩٧. درة الغواص، القاسم بن محمد بن علي الحريري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، طبعة دار نهضة مصر.

٩٨. شرح ابن عقيل، عبد الله بن عقيل العقيلي، مطبعة السعادة، مصر، الرابعة عشرة.

٩٩. شرح شذور الذهب، ابو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، المكتبة التجارية الكبرئ، القاهرة الطبعة العاشرة.

١٠٠. شرح درة الغواص، شهاب الدين الخفاجي، تحقيق عبد الحفيظ فرعلي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولىٰ، سنة١٩٩٦م.

١٠١. شرح قواعد الأعراب للكافيجي، ابن هشام، تحقيق فخر الدين قباوه، دار طلاس للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، الطبعة الأولىٰ.

١٠٢. شرح المفصل في صفة الأعراب، القاسم بن الحسين الخوارزمي، تحقيق الدكتور عبد الرحمن العثيمين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٩٩٠م.

١٠٣. شرح المقاصد، مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير بـ(سعد الدين التفتازاني)، تحقيق عبدالرحمن عميرة، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٠٤. العدد (دراسة لغوية مقارنة)، د، اسماعيل عمايره، طبعة محمد بن مسعود١٩٨٨ .

١٠٥. العدد في اللغة (فصل مأخوذ من كتاب المذكر والمؤنث لابن سيده النحوي)، دراسة وتحقيق عبد الله الناصير وعدنان الظاهر.

١٠٦. العصر الاسلامي، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، مصر الطبعة السابعه.

١٠٧. الفصحىٰ لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٠٨. الفلك الدائر علىٰ المثل السائر، (ملحق بكتاب المثل السائر- القسم الرابع منه)، عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

١٠٩. في أصول النحو، سعيد الافغاني، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

١١٠. قطر الندىٰ وبل الصدا، جمال الدين بن هشام الانصاري، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة التاسعة١٩٥٧م.

١١١. كتاب التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي، تقديم وتحقيق د. هادي عطية، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١١٢. كتاب سيبويه، ابو بشر عمرو بن قنبر، عالم الكتب، طبعة بلا.

١١٣. كتاب المذكر والمؤنث، ابو بكر محمد بن القاسم الانباري، تحقيق طارق عبد المنون، مطبعة العاني، بغداد الطبعة الأولى.

١١٤. المثل السائر، ضياء الدين محمد الجزري، تحقيق د. احمد الحوفي، دار نهضة مصر، الفجالة.

١١٥. المخصص، ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١١٦. مذكرات في قواعد اللغة العربية، سعيد الافغاني، مطبعة طربين، الطبعة الخامسة.

١١٧. مشكل اعراب القرآن، ابو محمد مكي بن أبي طالب، تحقيق حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٤.

١١٨. المعجم في النحو والصرف، زين العابدين التونسي.

١١٩. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، ابن هشام، المكتبة العصيرية، صيدا بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

١٢٠. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه وشرحه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢١. المفصل في علم العربية، ابو القاسم جار الله محمود الزمخشري، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية.

٤- كتب دراسات اسلامية

١٢٢. أثر القرآن في اللغة العربية، احمد حسن الباقوري، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.

١٢٣. تسعة عشرة(دلالات جديدة في اعجاز القرآن)، د. محمد رشاد خليفة، دار الفكر، دمشق.

١٢٤. تسعة عشر ملكاً، حسين ناجي محمد، الصفاة، الكويت، الطبعة الثالثة.

١٢٥. حصوننا مهددة من داخلها (في أوكار الهدامين)، د. محمد محمد حسين، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة الأولى١٩٦٧م.

١٢٦. الرياضيات في القرآن الكريم، خليفة عبد السميع خليفة، مطبعة الفجر الجديد، مصر، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ.

١٢٧. الطب النبوي،شمس الدين بن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة،١٩٨٤م.

١٢٨. فتنة القرن العشرين، حسين ناجي محمد، الصفاة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٢٩. معجزة القرآن الجديدة(بنية الآيات والسور)، عمر النجدي.

١٣٠. معجزة القرآن الكريم، محمد رشاد خليفة، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.

١٣١. هكذا فلنفهم الإسلام، محمد رابيعة، دار البشير، الطبعة الأولى١٩٩٦.

٥- كتب الأعلام والتراجم والسير والتاريخ

١٣٢. الأغاني، ابو الفرج علي بن الحسين الاصبهاني، مصور عن طبعة دار الكتب، مصر.

١٣٣. البداية والنهاية، ابو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

١٣٤. تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، الطبعة الرابعة، ١٩٧٠.

١٣٥. تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة١٩٩٥م.

١٣٦. التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

١٣٧. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة بلا.

١٣٨. الجواهر المضية في طبقات الحنيفة، محيي الدين ابو محمد الحنفي، دار أحياء الكتب العربية الرياض، الطبعة الأولى.

١٣٩. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، عبد الرحمن بن الخطيب السهيلي،مؤسسة مختار للطباعة والنشر، القاهرة، طبعة ١٩٧١م.

١٤٠. سيرة أبن هشام وعلى حاشيتها الروض الأنف للسهيلي، مؤسسة المختار للطباعة.

١٤١. شخصيات كتاب الأغاني، داود سلوم ود.نوري القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٢م.

١٤٢. صفة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٤٣. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد الذهبي، تحقيق وتخريج شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة.

١٤٤ .طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤٥ .عبقري الاصلاح والتعليم(الاستاذ محمد عبده)،عباس محمود العقاد، مكتبة مصر، الطبقة الثانية.

١٤٦ .العواصم من القواصم،محمد بن عبد الله بن العربي، مكتبة لجنة الشباب المسلم، طبعة١٣٧١هـ.

١٤٧ .المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.

١٤٨ .معجم الادباء،ياقوت الحموي، تحقيق د. احسان عباس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى١٩٩٣م.

١٤٩ .معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٣م.

١٥٠ .الوفيات ، ابو العباس احمد بن حسين بن الخطيب المشهور بابن قنفذ القسطنطيني، تحقيق عادل نويهض، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠م.

٦- كتب الفقه الإسلامي وأصوله

١٥١ . أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين ابو عبد محمد المعروف بابن قيم الجوزية، راجعه وقدم له طه عبدالرؤوف، دار الجيل ، بيروت، طبعة ١٩٧٣م.

١٥٢ .الرسالة، محمد ادريس الشافعي،تحقيق أحمد شاكر، طبعة بلا.

١٥٣ .زاد المعاد في هدئ خير العباد، ابو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن الجوزية، دار الكتب العلمية،بيروت.

١٥٤ .المبسوط، ابو بكر محمد بن أبي سهل السرخسي، دار المعرفة،بيروت، طبعة ١٩٨٦.

١٥٥ .محاضرات في الفقه الاسلامي العام لطلاب السنة الأولى جامعة دمشق، فقه الطهارات محمد فوزي فيض الله، امالي جامعية غير مطبوعة، سنة١٩٦٧ .

٧- كتب المعاجم

١٥٦ .تاج العروس، الامام اللغوي السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة بلا .

١٥٧ .القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، مكتبة النوري، دمشق، دار العلم، للجميع، بيروت.

١٥٨ .العلوم عند العرب والمسملين، قدري حافظ طوقان، الطبعة الثالثة، ١٩٦١م لسان العرب.

١٥٩ .مجمل اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

١٦٠ .مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار القلم، بيروت.

١٦١ .المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، احمد بن محمد الفيومي.

١٦٢ .المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي،لفيف من المستشرقين، مكتبة بريل، ليدن،١٩٤٦م.

١٦٣ .المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، طبعة ١٣٦٤هـ.

١٦٤ .معجم مقاييس اللغة ،ابو الحسين احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٦٥ .لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر ، بيروت.

٨- المجلات

١٦٦. رسالة الطالب المسلم،عماد شؤون الطلاب، جامعة محمد بن سعود، العدد الرابع سنة١٤٠١هـ.

١٦٧. محاضرات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الموسم الثقافي ١٣٩٨/ ١٣٩٩هـ.

١٦٨. مجلة كلية اللغة العربية، جامعة محمد بن سعود، العدد الثاني عشر، ١٩٨٢م.

١٦٩. مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١٥٧، شهريوليو١٩٧٥م.

****

المحتويات

الفصل الأول: أثرالقرآن الكريم في اللغة العربية...٢٩

الفصل الثاني: ظاهرة العدد في القرآن الكريم......٤٧

الفصل الرابع: مسائل العدد وأحكامه في القرآن الكريم

****


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



العدد في القرآن الكريم

لطائفه ومسائله

الدكتور عبد الرحمن سعود إبداح







